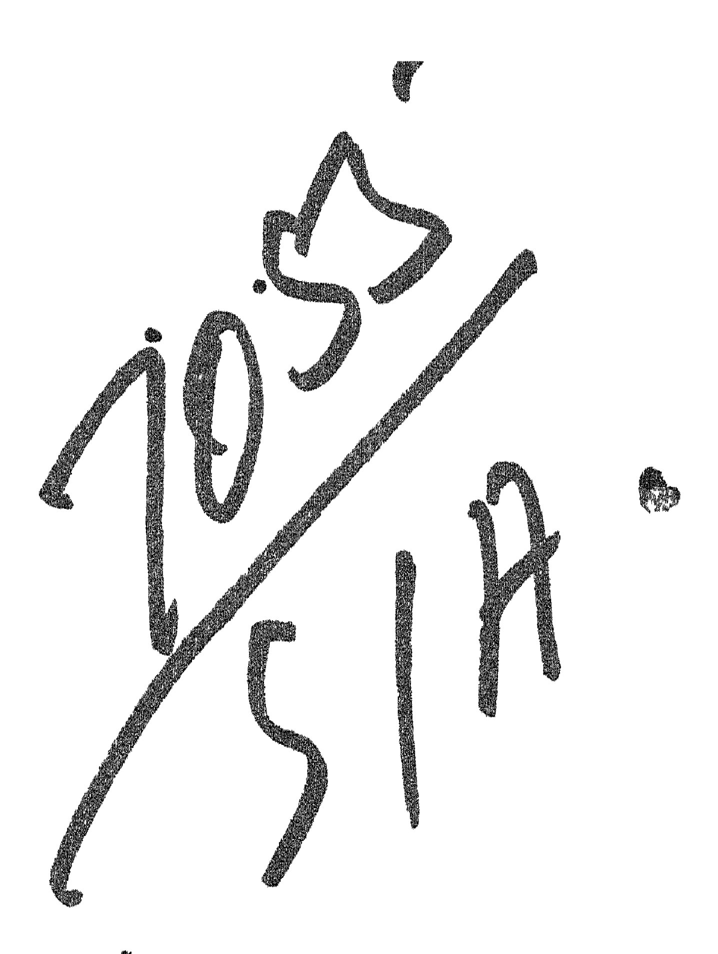


فهرست العقد الفريد للملك السعيد

صحيفة

صحيفة

صحيفة

كتاب العقد الفريد للملك السعيد
تأليف أبي سالم محمد بن طلحة
الوزير تغمده الله بغفرانه
وأسكنه بحبوحة
جنانه آمين
آمين

قال في كشف الظنون

(العقد الفريد للملك السعيد) لابي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الوزير المتوفى سنة ٦٥٢ اثنتين وخمسين وستمائة أوله الحمد لله حامي حوزة بلاده بملوك الخ جعله على أربعة قواعد (الاولى) في مهمات الاخلاق والصفات (الثانية) في السلطنة والولايات (الثالثة) في الشرائع والديانات (الرابعة) في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات اه

صحيفة

أنفع ذخائره التي يعتدّها من عتاده وامداده * فلاجرم يمدحه كل ذي فضل ونهى ثناء لسانه وشكر فؤاده * ويمحضه كل ذي زهد وتقى بقسط من صالح دعائه في وظائف أوراده * كالمقام الكريم العالي المولوي السلطاني الملكي السعدي النجمي أفاض الله عليه من لباس التأييد موفوف أبراده وراض جوامح الاقدار لطاعته لتكون من أعوانه وأجناده * وجعل طلى اضداده وكلى حساده يوم جلاده أغماد الحداده * فانه لما تولاه الله بعين عنايته في اصداره وايراده * وحباه من خفي ألطافه بشرف نفس شفع به شرف ميلاده * وآتاه زمام ذلك كله فاذعن له الاقبال باصحابه وانقياده * (شعر)

ودرت له أخلاف كل سجية * نماها الى العلياء طول نجاده

وحاز رهان السبق في حلبة العلا * بذي شرف من صافنات جياده

وانضاف الى ذلك أن غمرني في الايام السالفة من صيب احسانه بمدراره وحباني من سيب عطائه بتياره وأنزلني من قلبه الشريف على تعهد عهدي بعقامه الكريم المنيف منزلة فرضت على ترتيل حمده بتلاوته وتكراره فالانسان ان لم يقم بشكر المحسن اليه فانه لكنود وانه ان جنح الى الانكار والجحود فهو من آثار البوار التي شملته بين شاهد ومشهود فرأيت انني لا أقوم في هذا المقصد المطلوب والمطلب المقصود بشكر سيل احسانه السابغ البرود وحمد منهل انعامه الشائع البرود الابتأليف كتاب تكون جواهر معرفته أزين لعارفه من حلي العقود ويزداد العالم به مهابة وجلالا لاسيما يوم حضور الجمع ووفود الوفود ويطلع بمطالعته على قيم الحاضرين بين يديه في كل صدور وورود ويدلو على الحقيقة خلاصة الصفات البشرية وزبدة الاخلاق الانسانية التي عليها مدار قطب شرف السجايا وبها تدرأ خلاق كرم المزايا وهي شجرة مثمرة لاباذة الاخلاق التي بها سعد الغارسون وفي مثلها فليتنافس المتنافسون فأخذت في تأليفه وشرعت في تصنيفه قضاء لما أسداه من احسانه السالف وقياما بحقه الذي يقصر عن حقه فصاحة لسان الواصف وأنا أرجو من الله تعالى أن يجعله كتابا تقر بمطالعته العيون وتصدق في انتاجه الظنون فانه في جمع فرائد الفوائد ونوادر المقاصد كالفلك المشحون كلما قرأته مطالعه شيأ دفعه الى حديث ذي شجون وحيث صنفته برسمه ووسمته باسمه سميته * (بالعقد الفريد * للملك السعيد) * وجعلته مشتملا على مقدمة وقواعد * أما المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى مولاه الراجي عفوه ورضاه محمد بن طلحة غفر الله له وعفا عنه * الحمد لله حامي حوزة بلاده * بملوك اجتباهم لحراسة عباده * وحباهم من ألطاف امداده * بلطائف ارفاده * وصلواته على رسوله محمد المصطفى الذي جاهد في الله حق جهاده * حتى ثقف من الاسلام أود منآده * صلاة يحوز بها قائلها من عتاده * ويكررها على تعاقب أحقاب الزمان وآباده ﴿وبعد﴾ فان القلم اذا جرى في القدم بتأييد الله واسعاده * من اختصه من ملوك الدنيا بتوفيقه وارشاده * ألهمه اكتساب السجايا الحميدة فورى في اقتباسها قدح زناده * وأكرمه بالمزايا الشريفة فأجناه من غراسه ثمار مراده * وأيقظ طرف عزمه في مكارم الأخلاق فتنبه من وسن رقاده * وركض طرف فهمه في مضمار الوقائع فأدرك غامضها بجري جواده * حتى يرى أن استعباده رقاب الاحرار باسداء طارف احسانه وتلاده * واستنفاد في احياء سنة العدل وامانة سنة الظلم غاية جهده ونهاية اجتهاده *

قوله منآد على وزن منقاد يعني المنحني والمعوج ومصدره الانئياد كالانقياد انتهى

شغله الفقر وان جهده الجوع أقعده الضعف وان أفرط فى الشبع كظته البطنة وكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد * فقد وضح بما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الكلمات التى هى جواهر الكلم وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استعداد النفس البشرية لانواع الاخلاق والشيم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سببا يحدثها وموجبا يقتضيها وهى تنقسم الى صفات حسنة مرغوب فيها كالسرور والانبساط والرضا والشجاعة والجود والقوة والاحسان والطاعة والتيقظ وغير ذلك من الصفات الحميدة والاخلاق المرضية والى صفات مذمومة وحالات قبيحة تنفر النفس المطمئنة عن التحلى بشئ منها كالحزن والانقباض والسخط والجبن والبخل والضعف والاساءة والمعصية والغفلة وغير ذلك من الصفات المذمومة والاخلاق الرديئة فلاجرم من أراد أن يحصل له شئ من الحالات المرغوب فيها والصفات الممدوح صاحبها سعى فى تحصيل السبب المقتضى لذلك ومن أراد ازالة شئ من الحالات المذمومة والصفات القبيحة سعى فى ازالة سببه أو فى تحصيل سبب يقتضيه فانه اذا حصلت له الصفة الحميدة زالت عنه الصفة القبيحة المناقضة لها ولا يمكن ذلك الا بعد معرفة الاسباب فلاجرم كانت مطالعة هذا الكتاب المشتمل على معرفة هذه الاسباب وملازمة قراءته تؤدى الى تحصيل المرغوب ودفع المرهوب فحينئذ تتصور فى النفس صورة ذلك السبب المقتضى للحالة المحموده المرغوب فيها فيتسمها وصورة ذلك السبب الموجب للحالة المذمومة المرهوب عنها فيعدمها او يحصل له من معرفة الاسباب وتفاصيل لوازمها علم يستحضر به أجوبة ما يسئل عنه وما يجرى بين يديه من أنواع المخاطبات وأصناف المحاضرات اذ كم من ملك يختلف لديه عظائم الامور وتتعارض بين يديه أسباب الحزن والسرور ويرد عليه رسل ملوك الاطراف بمختار ومحذور فيحتاج فى ذلك الى ردّ وقبول وعلوّ ونزول واشراق وأفول واسعاف بمأمول وايصال لمقطوع وقطع لموصول بحسب ما تقتضيه مصلحة المملكة التى لا يجوز عنها صدوف ولا عدول فاذا عرف أصول قواعد الاسباب ومحصول عقائد ذوى الالباب وضح له على الحقيقة صواب الجواب وأتى بالغرض المطلوب فى هذا الباب ونطق بما يشهد له بان الله تعالى قد آتاه الحكمة وفصل الخطاب فمن طالع ما قد اشتمل عليه هذا المصنف من المقاصد وأدمن

فهى الغرض المطلوب من هذا الكتاب والحكمة المنشودة من مطالعته والحث على ادمان قراءته وملازمة النظر فيه وفى أمثاله * (فأقول والله الموفق)

(مقدمة الكتاب)

قد ترشح فى أذهان أهل الدراية والعرفان وثبت عند ذوى العقول بالدليل والبرهان ان الانسان وان كان نوعا من الحيوان فهو العالم الاصغر فان الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والاخلاق المتناسبة والشهوات الغالبة ما يقتضى خروجه فى أكثر الاوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو ان رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخائل التجبر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وان رأى عجزه واحتياجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وان رأى كمال يقظته ورزانة عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره فى الوساوس والتقديرات والتنته ريح وهمه فى أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وان رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخائل التفتيش فأسرعت به الى التلبس بالامور قبل وقت تمامها وحملته الى مباشرة الاشياء قبل ابرامها ودليله من التنزيل قوله تعالى خلق الانسان من عجل * وباعتبار هذه الاسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسرورا وتارة محزونا وتارة منبسطا وتارة منقبضا وتارة راضيا وتارة ساخطا وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة جوادا وتارة بخيلا وتارة قويا وتارة ضعيفا وتارة مطيعا وتارة عاصيا وتارة مستيقظا وتارة غافلا وتارة ذاكرا وتارة ناسيا وتارة متجاوزا وتارة منتقما فما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات الا والانسان متعرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى بعض كلامه الى كشف الغطاء عما عليه الانسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذى شرحناه والتقسيم الذى أوضحناه فقال عليه السلام * أعجب ما فى الانسان قلبه له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها ان سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الغضب اشتد به الغيظ وان أسعف بالرضا نسى التحفظ وان ناله الخوف فضحه الجزع وان استفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة

الغايد أنا أولا بذكر العقل اذ به نفع الوصول الى معرفة الاشياء وعليه مدار التكليف الذى جاءت به شرائع الانبياء وهو شرط فى ترتب الثواب والعقاب على الاعمال يوم الجزاء ولولا العقل وفضائله لم الحكم بالاستواء بين ذوى الدراية والاغبياء فأقول والله الموفق لما يرضاه واياه أسأل الاعانة على ما أقصده وأتوخاه

(الباب الاول فى العقل)

وماقص الله فى محكم كتابه ومنزل خطابه وقد ضرب الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ونقل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى و جلالى ماخلقت خلقا أعز على منك بك آخذ و بك أعطى و بك أحاسب وبك أعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وهو قوة غريزية يتأتى بها درك المعقولات وهذا القسم هو الذى به يناط تكليف الاحكام و يجرى القلم على صاحبه عند حصوله اما بالسن أو بالاحتلام وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع و باعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأرضعه الدهر من وقائع الايام أخلاف درته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو فى قومه بمنزلة النبى فى أمته وقد يختص الله سبحانه بالطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرج عن حد الاكتساب يصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قضية يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له من الله سبحانه سابقة فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية لحظته بعين الرعاية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وتشابه

الفكر بما يتضمنه من الحكم الشوارد وحلى جيد فكره بجواهر ما فيه من فرائد القلائد وبنى عقيدته وعبادته على ما فيه من قواعد العقائد واقتفى سيرة من عرض بذكره من العظماء الاماثل والملوك الاماجد حصل لنفسه زيادة شرف توجب تعظيمه ونبله واستفاد به نباهة تشفع فى اقتراع ذوى الفخار أصله وتزكى فعله وتحقق بذلك أنه قد رزق فضل عناية من الله سبحانه فانه يؤتى كل ذى فضل فضله * وحيث انتهى القول فى المقدمة الى هذا المقام فلنشرع الآن فى بسط الكلام وشرح القواعد المشتملة على اتمام المرام فنقول مقصود ما أومت الاشارة اليه وثمرة ما وقع التنبيه عليه يحصل بأربع قواعد كل قاعدة منها تشتمل على جواهر اذا نظمت فى عقود الاجياد ظهر حسن وجهها الوسيم ورجح وزنها فى نظر الخبير العليم وشهدت للمتحلى بها انه على خلق عظيم

(وهذا تفصيلها)

(القاعدة الاولى) فى مهمات الاخلاق والصفات *(القاعدة الثانية)* فى السلطنة والولايات *(القاعدة الثالثة)* فى الشرائع والديانات *(القاعدة الرابعة)* فى تكملة المطلوب بأنواع من الزيادات

(القاعدة الاولى فى مهمات الاخلاق والصفات وهى تشتمل على عشرة أبواب)

(الباب الاول فى العقل وما ينبنى عليه من عقيدة التوحيد الواجبة وفرائض العبادات اللازمة)

(الباب الثانى فى مدح الصبر والتثبت وذم الجزع والتسرع)

(الباب الثالث فى صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه)

(الباب الرابع فى المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها)

(الباب الخامس فى العدل والانصاف وذم الظلم والاجحاف)

(الباب السادس فى الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف)

(الباب السابع فى الوفاء وذم الغدر)

(الباب الثامن فى التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التوانى والغفلة)

(الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف واغاثة الملهوف)

(الباب العاشر فى الصدق وذم الكذب)

[illegible] الاعمال [illegible] عما اكتسب

[illegible] الرجل فقال

[illegible] كان [illegible] باحد

[illegible] قائم مقام

[illegible] يكون

[illegible] على عقل

[illegible] صاحبه

[illegible] الله عليه وسلم انه قال من

[illegible] كمال عقل الرجل

[illegible] ونظافته

[illegible] كم من [illegible] بالبصره

[illegible] دخل

[illegible] فقال أبو

[illegible] قلة

[illegible] ولم يدفع ذلك [illegible] وقد يكون الرجل

[illegible] تكشف حقيقته

[illegible]

[illegible]

([illegible])

[illegible] عضد الدولة بن بويه انه كان

[illegible] كمال عقله

وزرانه [illegible] واعتماده في أمر

[illegible] كله وكان [illegible] الخدم

والاتباع لعضد الدولة [illegible] عظماء الدولة تعرض

[illegible] وهو [illegible] بدعوى [illegible] وهو أجهل من باقل و يتحلى

بحسن التدبير وهو بعيد عن المعرفة [illegible] الاستطالة على فضلاء

الاماثل [illegible] عن [illegible] ذلك برهة من الدهر الى ان أتاح

القدر المحتوم [illegible] أن سافر عضد الدولة من العراق الى

من فرط ادراكه وحدسه وعلمه وأدركت خفايا الامور فكرته ولا يكاد يخطئ الا أن يشاء الله فراسته وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قضية سليمان وهو صبي حيث رد حكم داود عليهما السلام في أمر الغنم والحرث

(فراسة سيدنا سليمان)

(مطلب)

وشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه في الليل الى حرثي فاهلكته وأكلته ولم تبق لي فيه شيأ فقال داود في الحكم بينهما الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره ذلك الوقت على ما نقله بعض أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود وقالا له ما قال ولده سليمان فدعاه داود وقال ما هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وعنقوده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل من لبنها و ينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم اليه ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التي كانت ليلة دخل الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته التي كانت عليه فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به على ما قال سليمان وفي هذه القضية نزل قول الله تعالى في محكم التنزيل وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف الهية واذا قذف الله تعالى شيأ من أنوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوي التجارب في كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما يؤخذ منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام ومما لا ينفك عنها بل يعرف بآثاره وأحكامه فأقول

(الاستدلال على عقل الانسان)

يستدل على عقل الرجل بأمور متعدده (منها) ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه

أو جدك ولا لك من العقل ما تميز به بين ما يكسب حمدا أو ذما فلم ألزمت
نفسك أن يخاطبوك بسيدنا وتحديدك لقولها الداخلون ويقوم لك عظماء
المملكة عند طلوعك عليهم ثم ان أبا محمد قام وركب وعاد قال أبو بكر
ابن شاهويه فعدت وقد سبقني الذي كان معي مشرفا وذكر ذلك للملك
عضد الدولة فلما حضرت عنده وأبو القاسم بين يديه سكت فقال لي هات
الجواب الذي ذكره أبو محمد فاستحييت من أبي القاسم ان أذكره فعلمت
معه الملك من المشرف الذي أنفذه معي قال دل فانت كنت الرسول
فاذكر الحديث على صورته كله فوالله ان تركت منه حرفا لم تلق خيرا فما
أمكنني الا انني سردت كلام أبي محمد كما قاله ولم أترك منه شيأ وأبو القاسم
يتعدد في اهابه ويحترق في جلده ويتغير وجهه ويتلون ألوانا عند كل كلمة منه
فاقبل عليه عضد الدولة فقال كيف ترى يا عبد الرحمن لا جزاك الله خيرا الآن
علمت انك لا تعتمد حالة ترضى الله تعالى ولا تقتني مكرمة ولا تحفظ مروأة ولا تحرس
أمانة ولا تخرج فكرك عنك ولا همتك الا في مال تجتذبه واقطاع لنفسك تثمره
وتجعلني بابا من باب معاشك وجهة من جهات أرباحك تبعد من ينفعني وتقرب
من ينفعك فذمتك معروفة وسيرتك معلومة وكنت أسمع من جرك النار الى
قرصك وشرهك في جميع أحوالك وأذاك لمن يقصد أبوابنا ولكن لكل
أجل كتاب ثم أمر به فاخذ فطولب بسوء فعله وقلة عقله وقبح قصده وضعف
رأيه * وفي أمثال هذه الوقائع الشاهدة لاربابها باختلال الدراية وقلة العقل
كثرة وانما خوف الاكثار أوجب الاقتصار على هذا المقدار وما أحسن
جواب بزرجمهر وقد سأله أنوشروان فقال ما خير ما أعطي الرجل فقال العقل
فقال فان لم يكن قال أخ شفيق يستشيره قال فان لم يكن قال صمت طويل يستره
قال فان لم يكن قال خلق حسن يعاشر به الناس قال فان لم يكن قال منية عاجلة
تريحه وتريح منه وقال أبو الرشيد الرازي دخلت بغداد ولا أعرف بها أحدا
ولم أعلم ما أعمل في أمري فرأيت شيخا عليه أثر الديانة وزي الصلاح فسلمت
عليه وقلت له يا سيدي أنا رجل غريب وقد وصلت الآن الى هذه البلدة
ولا أعرف فيها أحدا وقد ضاق صدري اذ لم أجد بها معرفة من بلدي يهديني
الى سلوك طريق الارتفاق فلما سمع كلامي لم يزدني على ان أنشدني هذين
البيتين شعر

همدان فتبعه أبو محمد الخرنبازي يطلب خدمته وكان ذا درا فوفضل وسؤ لل
ورزانه ونبل فلما رآه أبو القاسم قد خرج في جملة الجماعة خشي من بعده
عند عضد الدولة فيفتضح مستوره وتقبح أموره فحسن لعضد الدولة رده
من الطريق وابعاده عن الصحبة وأن يجري عليه شيء من الرزق بالبصرة
ويقيم بها قال أبو علي ابن القاضي كنت بين يدي عضد الدولة وقد قال
لابي بكر بن شاهويه وهو من أصحاب أبي القاسم عبد العزيز امض الى
أبي محمد الخرنبازي وتقول له تمضي الى البصرة ونحن نجري لك معيشة
ترتزق منها فقد طال تعبك لنا وتعبك معنا وقد تبرمنا منك وليس في
حضرتنا ما تحبه والسلامة لك في بعدك عنا وصاحبنا أبو القاسم عبد العزيز
قد استصحب جماعة كثيرة في بعضهم غنية عن أمثالك فانصرف عنا وا كتف
بما رتبته لك ان شاء الله تعالى ثم ان عضد الدولة سير من خاصته شخصا مع
أبي بكر ليشهد ما يقوله وليسمع ما يجاوبه به أبو محمد بحيث لا يكتم أبو بكر
شيأ من الجواب لكونه من أصحاب أبي القاسم فلما حضرا عند أبي محمد
قال له أبو بكر صورة ما قاله عضد الدولة جميعه فقال أبو محمد لما سمع ذلك
الامر للملك ولا خلاف له السمع والطاعة لتقدمه ولعمري ان الناس بجدودهم
ينالون وبحظوظهم يستدعون ولو انني تقدمت عند الملك ونفقت لديه
ما كان يخافه قد بان منه وتقدم عنده من أنا ارجح منه ولكن المقادير
غالبة وليس للانسان عنها متقدم ولا متأخر وقد قيل من غالب الاقدار غلب
ولكن أيها الشيخ لي حاجة أحب أن تبلغها الملك عني وهي كلمة فيها نصيحة
وشفاء لما في الصدور فقال أبو بكر قل فاني أبلغها الملك فقال تقول له
أنا صائر الى ما أمرت وستوجه الى البصرة لامتثال ما رسمت ولكن بعد
أن تقضي وطرا في نهي وفيه شهرة لعظمتك وتنبيه على انك لا تنخدع
في ملكك ولا يلبس لديك محق بمبطل وعاقل بجاهل ومحسن بمسيء
ويقظان بغافل وجواد بباخل وهو أن يتقدم فيقام عبد العزيز المكنى
بابي القاسم بين اثنين على رؤس الاشهاد تنتقم منه انتقاما بالغا ويقال
له اذا لم تبدل جاهك للملهوف ولم يكن عندك بر لضعيف ولا فرج لمكروب
ولا عطاء لسائل ولا جائزة لشاعر ولا مرعى لمنتجع ولا مأوى لضيف ولا ذب
عن عرض مخدومك ولا استجلاب ثمار الالسنة بالادعية والمحامد للدولة

[illegible] مح[illegible] لا يعرف

[illegible] فلما دخلت

[illegible] في رعاياهم لاحتقار

[illegible] ويتجاوز عنهم

[illegible] وأكلهم عملا

[illegible] رعاياه وواحد

[illegible] العدل ولم يصل

[illegible] نفسه فهو أنزل

[illegible] ولا ألسنتهم

[illegible] أحوال الملوك

[illegible] ملك ما أردت منها

[illegible] رحمه

[illegible] ... إذ كرجيل

[illegible] وأمواله

[illegible] أحوال الناس [illegible] ضرب بحسنها

الأمثال [illegible] بقوله واهتديت

[illegible] أنزلته منزلة

[illegible]

(حكاية [illegible])

وقال [illegible] عبد الله [illegible] من دمشق

[illegible] فقال [illegible] المعروف

[illegible] على [illegible] وجنب

[illegible] وعلى [illegible] أيام نزل

[illegible] فلم نجد [illegible] ولا قدرنا عليه [illegible] بذلك المنزل

[illegible] في جمع كبير فأتوا على ما كان فيه من الطعام فقال عبد الله لو كان

أخرج [illegible] هذه البرية [illegible] طعاما فمضى أو كيل ومعه غلمان

[illegible] فلما كادوا يرجعون لاح لهم [illegible] فوجدوا فيه عجوزا

فقالوا لها هل عندك طعام نبتاعه منك فقالت أما طعام بيع فلا ولكن عندي

اذا كنت ذا عقل فدعه [illegible] * فما [illegible]

بعد رفيع القوم من كان [illegible] فلا [illegible]

ثم تركني ومضى فلما [illegible] ذلك [illegible] ان [illegible]

فاهتديت بنوره الوقاد فرزقني الله [illegible] رفيع [illegible]

نوادر هذا هم الله [illegible] واهتدا [illegible] نشء [illegible]

بالرأي الجزل [illegible] الى [illegible]

([illegible] المتقدم)

ومنها ان كسرى كان من عقلاء ملوك الفرس وأكابرهم [illegible]

فرأى في منامه رؤيا [illegible] فذكره [illegible]

الى حضرته علماء عصره [illegible] من أمره فاقتفت [illegible]

واتحدت اشاراتهم [illegible] فقالوا له

أيها الملك ان هذه الرؤيا تدل على ان ولدك [illegible] أن [illegible]

سرير ملكه [illegible] هذا [illegible]

عن كل أحد ولا [illegible] ثم [illegible] كسرى حالة

أداه اليه عقله [illegible] اضغاث أحلام

فما يضره فعلها [illegible]

بمعجون ووضعه في قارورة [illegible]

وزن درهم جامع مهما [illegible] ووضع تلك [illegible]

ختمه بحيث لم يعلم بذلك أحد [illegible] قاطبة [illegible] وأد [illegible]

وجلس على سرير ملكه [illegible] فلما [illegible] على تلك [illegible]

ما علم [illegible] فرح [illegible] هذا [illegible] على [illegible]

وأخذ من المعجون وزن درهم [illegible] كان [illegible]

كسرى وحسن فكره [illegible] كسرى [illegible] جميع وزرائه

وأصحابه وبعظم أموره ولا [illegible] فقالوا له

ما السبب في ان الملك [illegible] عليه [illegible] فقال [illegible] ان من [illegible] الله

بكمال عقله وزيادة معرفته تقدم على نظرائه وأبناء جنسه [illegible] لما أفضت

الى نوبة الملك تشاغلت أياما بالصيد فكتب الى [illegible] الملك ان خمسة أشياء ضائعة

المطر في الارض السبخة والسراج المشتعل في ضوء الشمس والمرأة الحسنة الصورة

مشكور وبرّك مقبول مبرور ثم أمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق فقالت لهم العجوز ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله

(فقال الاكبر) شهدت عليك بحسن المقال * وصدق الفعال وطيب الخبر

(فقال الاوسط) تبرعت بالبذل قبل السؤال * فعال كريم عظيم الخطر

(وقال الاصغر) وحق لمن كان ذا فعله * بأن يسترق رقاب البشر

(فقالت العجوز) فعمرك الله من ماجد * ووقيت ما عشت شر الغدر

ثم ودعوه وانصرفوا قال تميم اليربوعي فالتفت الىّ وقال لي يا تميم وددت لو وجدته مزيدا في ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيها وجعل بتأوه من تقصيره عن مراده في ذلك فقالت له لقد أحسنت وأرجحت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك فأنت أتم الناس عقلا وأكملهم مروأة

(مطلب) ومن كمال عقل ابن عباس انه قيل له ما منع علىّ عليه السلام ان يبعثك من عمرو بن العاص في التحكيم فقال حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدّة أما والله لو كنت مع عمرو لجاست في مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أطير اذا اشف وأشف اذا طار ولكن جرى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين

❊(حكاية عن ذكاء اياس)❊

قيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من أكابر عقلاء العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في جماعته رجل مشهور بين الناس بانه أمين يستودع لهم فاتفق ان رجلا أراد أن يحج فأودع عند هذا الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد بعد مدة جاء الى الامين وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي فهل أخبرت أحدا غيري فقال لا قال هل علم ذلك الامين انك أتيت الىّ لتخبرني قال لا قال فهل نازعته بحضرة أحد قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الىّ بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع وقال له قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه واتركه عندك فاذهب ورتب موضعا حريزا فمضى ذلك الرجل فحضر صاحب الوديعة فقال له اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان منعك فقل له تمضي معي الى القاضي لاعلمه بذلك

أكلتني وبأولادي اليها أمس حاجة قالوا وأين أولادك قالت في رعي بهم وهذا
وقت عودهم قالوا فما أعددت لهم قالت خبزة هي تحت ما بها أنتظر بها أن
يجيئوا فقالوا لها فجودي لنا بنصفها قالت لا ولكن بكلها قالوا ولم منعت النصف
وجدت بالكل ولا خبز عندك غيرها قالت ان اعطاء الشطر من خبزة نقيصة
واعطاء الكل فضيلة فأنا أمنع ما ينقصني وأجود بما يرفعني فأخذوا الخبزة
لفرط حاجتهم اليها فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر العجوز قال ارجعوا اليها فاحملوها
في دعة وأحضروها فرجعوا اليها وقالوا لها ان صاحبنا أحب أن يراك قالت ومن
هو صاحبكم قالوا عبد الله بن العباس قالت ما أعرف هذا الاسم قالوا العباس
ابن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت والله هذا الشرف العالي
فوصي أنصاره قالوا نعم قالت فما يريد مني قالوا يريد أن يكافئك على ما كان منك
قالت لقد أفسد الهاشمي ما أتاه ابن عمه عليه السلام والله لو كان ما فعلت معروفا
لما أخذت عليه ثوابا وانما هو شيء يجب على كل انسان أن يفعله قالوا فانه يحب
أن يراك ويسمع كلامك قالت أصير اليه لاني أحب أن أرى رجلا من جناح النبي
صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها
وقال ممن أنت قالت من كلب بن وبرة قال كيف حالك قالت لم يبق من الدنيا
ما يفرح الا وقد بلغته واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة وأنا أتوقع
مفارقة الدنيا صباحا ومساء قال أخبريني ما الذي أعددت لاولادك عند انصرافهم
بعد أخذنا الخبزة قالت أعددت لهم قول العربي

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها فقال لبعض غلمانه انطلق الى خبائها فاذا أقبل بنوها فجئ بهم
فقالت للغلام انطلق فكن بفناء البيت فانهم ثلاثة فاذا رأيتهم تجد أحدهم دائم
النظر نحو الارض عليه شعار الوقار فاذا تكلم أفصح واذا طلب أنجح والآخر حديد
النظر كثير الحذر اذا وعد فعل وان ظلم قتل والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب
بثاره فذاك الموت المائت والداء الكابت فاذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل
لهم عني لا تجلسوا حتى تأتوني فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر فما بعد أمده حتى
جاؤا فأدناهم عبد الله وقال اني لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصلح من أمركم
وأصنع ما يجب لكم فقالوا ان هذا لا يكون الا عن مسئلة أو مكافأة فعل جميل

واستهواه الهوى واستعبده الطمع حتى اقتاده بزمامه فكل منهم يرمى بطامح نظره الى زيادة مال يستمليها البرضى بها ساخط حرصه ويمد يد أطماعه الى جمرة محت بتوقعها المجرها الى فرصه قد استفادوا بكثرة ما خولوه من الملاذ المستجمعة لديهم فقر أنفس لا يحصل معه غنى ولا يفارقه فاقة فهم فى فرط احتيالهم فى طلب المزيد يدأبون فى دفع من يتوهمون عنده أدنى جنوح الى اقتراب مدارجهم واقتحام مساعيهم متى بدى لهم مرهوب يقطع مأمولا حملهم الجزع على ارتكاب كل ما فيه دمار وبوار واذا لاح لهم مرغوب يمنح سؤلا ألجأهم الحرص على اقتناصه الى فعل ما يعقبه وبال وعطب وقديما قيل الحرص مورد موارد الهلكة ويحمل على التغرير بالمهجة وينزع لباس السلامة ولقد بلغنى ما معناه

(نصائح للملوك)

ان عظيما من أكاسرة الفرس جلس يوم نيروز لدخول الناس عليه بطرف التحف فحضر الموبذان وهو اسم حاكم الحكام ومعه منديل مشدود على شئ فوضعه بين يدى كسرى وحله فاذا فيه فحمة كبيرة فقال ما هذا فقال انى كنت قد خرجت الى مكان النزهة فرأيت بازيا قد تبع دراجة فجاءت الدراجة الى أجمة قد وقعت فيها نار فألقت نفسها فى الاجمة فهلكت فدخل البازى من حرصه خلفها فاحترق وأنا أراه فوقفت مفكرا فى حاله وما فعل به حرصه ثم أخذته وقد صار فحمة ورأيت أنه من أبلغ المواعظ فاحضرته بين يديك لتعلم أن الحرص مقود الى الهلاك والبوار وحيث اتصف من بباب الملك بهذه الصفات التى أيسرها الحرص والاخلاق التى أهونها الطمع فاذا امتثلت أمر الملك وحللت بالمكان الاثيل والمنزلة السامية من دولته فوقوا الى سهام العداوة وقدحوا الى زناد العداوة ونصبوا فى مدارجى حبائل الغوائل فان تركت الاستعداد لهم ولم أعمل الحيلة فى دفعهم تهدم ما بنيت وأشرفت على خطة خسف وان حذرت بغيهم ولبست جنن التحفظ من كيدهم أتعبت فكرى وأضعت عمرى وقال لا أنفك عن ظهورهم على وظفرهم بى وقد قيل من رقد حذره عن معانده حل بساحة العطب ومن أيقظته الاوجال حرم لذة الدعة وراحة العيشة وأنا امرؤ أحب السلامة وأكره زوال العافية ولو ابتليت بمعاند لم أجد قلبى مكافئا له على بغيه ولا مضاهيا لكيده وقد قيل المرء أمين على نفسه واللبيب من ترك ما لا طاقة له به فانه أسترلكنون أمره وأبقى للآمال فيه ورأيت الملك قد استقر عنده الاستغناء عمن فى كنفه فاقباله على من طرأ عليه

وأخاكم أنا وأنت فلما [illegible] كيف [illegible] القاضي [illegible]

وديعته وانصرف فهذا الذي [illegible] القاضي [illegible] عظامه أن يتسلم المال

فسبه القاضي سبا كثيرا وأبطل [illegible] وكانت هذه من جملة ما يدل على عقله

وصحة فكره

﴿خاتمة لهذا الباب﴾

مشتملة على حكم متنوعة أنتجتها التجربة من ينبوع العقل [illegible]

وتكسبه زيادة واستبصار [illegible]

وأدب وتجربة [illegible]

بأفعاله [illegible] الحكم [illegible]

خصصت بصحة فهم وحسن [illegible]

حقائق الأمور فإن [illegible] على المتبصرين [illegible]

تفتحت لك أبواب الرغبة [illegible] والانتفاع [illegible]

فقال العاقل الحكيم [illegible] أن [illegible] جواب

أحتج به [illegible]

دون الدرجة [illegible]

[illegible] وإن [illegible]

الحكمة [illegible]

طارق [illegible] النفس إلى [illegible]

القوي [illegible] فقال [illegible]

[illegible]

[illegible]

قد أعرض عن الناس [illegible]

كل مشتهى [illegible]

[illegible]

واقتصاري على دفع الضرورة وتجنبي مواطن المترفهين واعراضي عن المبذر

المذموم [illegible] استدراج [illegible]

الدرب فارغ [illegible] الحرص لا [illegible] أحد [illegible] ولا أستهدف لأذى

مخلوق وليس واحد من أتباع [illegible] أبوابه إلا وقد ملكه الحرص

منها ويختص بخالصها وقد جرى على ألسنة العلماء والحكماء السالفين ألفاظ من
الحكم المنتقاة من جواهر الكلام ما هو أنفع لمتأمله والمستعمل له من كنوز الذخائر
(منها) من قام من الملوك بالعدل والحق ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور
والقهر لم يملك منهم الا التصنع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها (ومنها) لينظر
الملك الى المتنصح له فان دخل من حيث العدل والصلاح فاقبل نصحه واستشره
وان دخل من حيث مضار الناس فاحذره وتحرز منه (ومنها) زمان الجائر من
الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح والافساد أسرع
من الاصلاح (ومنها) من مدحك بما ليس فيك من الجميل اذا رضي عنك ذمك
بما ليس فيك من القبيح اذا سخط منك (ومنها) موت العلماء والعقلاء
وان كان عظيما فهو أهون من تقدم السفل من الناس على رقاب الاحرار
فلما سمع الملك مقاله في الاعتذار وفهم ما تلاه عليه من الحكم العظيمة
المقدار النفيسة الاقدار عرضه على ناقد عقله وثاقب فكره فتلقاه
بالقبول والاعتذار وعلم صدق مقصده وصحة معتقده فصدف عن الانكار
واتخذ ما أورده من الحكم وقصده من جواهر الكلام نهجا يهتدي به آناء الليل
واطراف النهار وفي هذا المقدار بلاغ ومقنع في حصول البغية للمقتدي وظهور
لعلو رتبة العقل وفضيلة صاحبه وحيث ظهرت فضيلة العقل نجز المطلوب
من ابيان ما حرر في بابه والله سبحانه يأخذ ويعطي به والبه مناط التكليف
ولنردف بابه ببيان ما أوجبه الله سبحانه وتعالى على خلقه وما افترضه على عباده
عند حصول صفة العقل لهم من العقيدة التي يجب العمل بها والوقوف عندها
والاعمال التي تلزم المحافظة عليها والتباع طريق اشتهارها التي كان الصحابة عليهم
رضوان الله والسلف الصالح تغمدهم الله برحمته يتقربون الى الله باعتقادها
ويحملون على المحافظة عليها والعمل بها انفسهم بجدها واجتهادها وقد صنف أئمة
العلماء كتبا في بيانها وتعظيم شأنها وتقسيم أركانها وتعليم الامة انه لا بد من
اعتقادها في حصول ايمانها فمنهم من بسط المقال فأسهب وأطال الكلام فأطنب
وحاول ما قيل في ذلك فتعب وأتعب ومنهم من اختصر واقتصر حتى كاد لا يقوم
بما وجب فمخضت أوطاب الاقاويل وطويت بساط التطويل واستخرجت
زبدة مقاصد ما قيل ولخصت هذه العقيدة وسميتها مفتاح الفلاح في اعتقاد اهل
الصلاح وهي عقيدة أهل السنة والمورثة لمعتقدها ان شاء الله دخول الجنة

لا ينفك عن ملل واستثقال وذو النفس المهذبة تصونها عن الأعراض لذلك فهو
عذر لا يسوغ للعاقل أن يطوى دونه كشحا ولا يعرض عنه جانبا وأما ما يسمع
الملك من حكم رأى يقتدى بها وجواهر عدل ينظمها ليشه في أجياد أفعاله فأد ولا
أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما الى هواك فان أكثر
ما يكون الخطأ مع الهوى والاقدام على الفعل بعد التأنى فيه أحزم وأحسن من
الامساك عنه بعد الاقدام عليه اجتهد كل الاجتهاد أن تكون خبيرا عالما بأمور
ولاتك وأحوال عمالك وأفعال نوابك متطلعا الى ذلك فان المسيء منهم والمحسن
منهم والمعتدى والخائف من خبرك وعلمك بأموره قبل أن تصيبه عقوبتك يرتدع
وان المحسن والامين يستبشر بعلمك بحاله قبل أن تأتيه معروفك فيدوم على نهجه
ويزداد فيه لا تتركن حراسة الملك ولا تعرضن عن مباشرة جسيم أمره فيعود شأنه
صغيرا ولا تشغل نفسك بمباشرة صغير أمر فيصير كبيره ضائعا لا يجمعن الملك بين
المحسن والمسيء في منزلة واحدة ويجعلهما عنده سواء فان ذلك يحمل المحسنين على
التقصير والمسيئين على الاقدام على زيادة الاساءة لكن يقابل كل منهما بما
يستحقه من اكرام وانتقام فيه تمام الحراسة والسياسة وليكن أبغض رعية الملك
اليه أكثرهم كشفا لمعايب الناس عنده فان في الناس معايب وأحق من سترها وكره
كشف ما غاب عنه منها الملك فاغماضه أحكام ما ظهر والله تعالى يحكم على ما بطن
اعلم أن رأيك ووقتك لا يتسع لجميع الامور وجملة الاشياء فادعه للمهم منها بأن
ما صرفته من رأيك ووقتك لغير المهم ازراء بالمهم وعليك بحب العلم وأهله
العاملين به ورحمة الضعفاء والرفق بهم والنظر في أمور الرعية والاجتهاد في
مصالحهم فهم عباد الله الذى استرعاك لهم ويسألك عنهم وقد قال صاحب
الشريعة النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته
ولا يغفل الملك عن اقامة شرائع الشرع واتباع ما يقوله جملة وتفصيلا في تثبيت
قواعد العدل وتقريرها على ما يصلح به الناس فان ذلك يحيى الحق ويميت الباطل
ويكتفى به دليلا عليه ولا بد للملك من خاصة من خدمه وبطانة من أتباعه وجماعة من
جنده يجعلهم محل اعتماده ويستطلع بهم ومنهم مستورات الاغراض فليعتبر الملك
في مبدأ الامر أخلاقهم وشيمهم وصفاتهم ويقرب اليه من تحلى بحميدها ويقصى من
اتصف بذميمها ولا تركنن الى خائن ولا تعتمدن على شره ولا تثقن بكذوب ولا تسمعن
نصيحة جهول ولا تقبلن قول حسود ولا تأخذن برأى دنيء ولا تكثرن محادثة مسيء
الخلق وليتفقد الملك أحوال حاشيته افتقاد الجهبذ أخلاط النقود فينفى الزيف

وسلم رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشرعه الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع في المحشر أوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق وأن الصراط حق وان الحوض حق وأن الموت حق وأن الحساب حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله تعالى يدخل من يشاء الجنة بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن يحسن الظن بجميع الصحابة على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا وموقنا به فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها انه سميع مجيب

﴿أركان الاسلام﴾

فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة وبقيت الاربعة الاخرى فلا بد من التعرض الى ذكرها فان الاسلام بني على قواعد خمس على ما نطق به الحديث النبوي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان هذا لفظ الحديث الصحيح المتفق على صحته ﴿الركن الاول هو التوحيد وما يتعلق به﴾ والعقيدة المذكورة كافية فيه *(والركن الثاني الصلاة ولا بد من التعرض للطهارة قبلها فانه شرطها)* فنقول الطهارة تنقسم الى قسمين طهارة من الخبث وهو النجاسة وطهارة من الحدث وهو ما ينقض الوضوء ويمنع من الصلاة ولا تحصل الطهارتان الا بالماء المطلق والنجاسة سواء كانت على البدن أو على الثوب يجب ازالتها ويجب الاحتراز من مقارنة النجاسة خصوصا من البول عند قضاء الحاجة للانسان ويجب الاستنجاء من البول والغائط وهو بالماء أفضل منه بالحجر وأما طهارة الحدث فتنقسم الى وضوء وغسل فأما الوضوء فهو أن يبدأ بالتسمية وغسل الكفين

(عقيدة المؤلف)

وهى ان الله واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ند له قديم أزلى دائم أبدى لا أوّل لوجوده ولا آخر لابديته قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شئ ولا يشبهه شئ مستو على العرش كما قال وبالمعنى الذى أراد والسموات والارض والعرش والكرسى فى قبض قدرته وهو فوق كل شئ فوقية لا تزيده بعدا عن عباده وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وهو معكم اينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على ما دلت عليه الاخبار والآثار حى قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خالق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر الحادثات لا يجرى فى ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام قديم لا يشبه كلام خلقه والقرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله والقرآن الكريم مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته فهو الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى حكيم فى أفعاله عادل فى قضائه منزه عن الظلم وانه لا يتصرف فى ملك غيره ليكون تصرفه فيه ظلما متفضل بالايجاد متطول بالانعام لا عن وجوب وحاجة لو صب العذاب على العباد لكان منه عدلا واثابته لعباده على الطاعات متمحض كرما لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به ثم بعد اعتقاد كلمة التوحيد على ما ذكرناه يجب التلفظ بالشهادة بان محمدا صلى الله عليه

الايمن فيفيض الماء عليه ثم على الجانب الايسر ثم على وسطه و يخلل أصول شعره ثم يصب الماء على جسده كله و يدلك ما تصل اليه يده من بدنه و يكرره ثلاث مرات و يقول اذا تم اللهم طهرني من الذنوب كما طهرتني من الحدث والغسل مشتمل على فرض وسنة فأما الفرض بعد النية فايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة والباقي سنن وقد استقصينا تفصيل ذلك في المختصر المسمى امتثال الاشارة في أعمال الطهارة وفي ذلك غنية عن الاطالة وبسط العبارة أن الغسل تارة يكون واجبا كما ذكرناه وتارة يكون سنة فاذا كان راجعا الى ماشرحناه بالجنابة كان أثره في ازالة ماحرم على الجنب فانه قبل أن يغتسل يحرم عليه أن يصلي وأن يقرأ القرآن وأن يحمل المصحف أو يمسه أو أن يلبث في المسجد فاذا اغتسل جاز له ذلك كله وأما السنة فهو غسل الجمعة والعيدين وما في معناهما من غسل الكسوف والاستسقاء والغسل من غسل الميت وغسل الكافر اذا اسلم الى غير ذلك من السنن وأثرها حصول الثواب لفاعلها من غير عقاب على تاركها

خاتمة

قد تدعو الحاجة في بعض الاحوال الى لبس الخف والمسح عليه بدلا عن غسل الرجلين فلا غنى عن الاشارة لشيء من أحكامه فان كان في الاقامة فمدته يوم وليلة وان كان في السفر المجوز لقصر الصلاة فثلاثة أيام ولياليهن وأول المدة من وقت الحدث بعد لبس الخف و يشترط لجواز المسح أن يكون الخف ساترا لمحل الفرض من الرجل وان يمكن متابعة المشي عليه وان لبسه على طهارة كاملة والشك في انتهاء المدة أو في ابتدائها في السفر أو في الحضر يوجب غسل الرجلين واذا خلع الخف وهو على طهارة المسح كفاه غسل رجليه ولا يحتاج الى اعادة الوضوء على الاصح و يكفي مسح القليل من اعلاه دون اسفله فهذا ما يتعلق بالطهارة وقدمنا ذكرها لكون الصلاة تتوقف عليها فان الطهارة مفتاح الصلاة على مانطق به الحديث النبوي وقد تعين القول في الصلاة واحكامها فالصلوات المكتوبة في اليوم والليلة خمس وقد بين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقاتها فأول الوقت افضل من آخره فأول الوقت الظهر اذا زالت الشمس عن وسط السماء وآخره اذا صار ظل كل شيء مثله وأول وقت العصر اذا زاد الظل عن آخر وقت الظهر ادنى زيادة وآخره الى غروب الشمس وأول وقت المغرب غروب الشمس و يمتد اذا شرع فيها الى تمامها ولو الى غروب

وينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستصحب النية ويتمضمض ويستنشق ويغسل وجهه ثم يديه مع المرفقين ويطيل الغرة فوق المرفقين ثم يمسح رأسه يبدأ بمقدمه ثم يمسح أذنيه ظاهرا وباطنا ثم يغسل رجليه مع الكعبين ويطيل الغرة فوق الكعبين ويبدأ باليمين ويخلل بين أصابعه ويفعل ذلك ثلاثا ثلاثا والوضوء مشتمل على فروض وسنن فأما الفروض فالنية عند غسل الوجه واليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وأما السنن فما عدا ذلك والبداءة باليمين من السنن لا من الفروض وكذلك الأذكار * وتفصيلها أن يقول عند المضمضة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وعند الاستنشاق اللهم أرحني رائحة الجنة ويقول عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ويقول عند غسل اليد اليمنى اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل اليد اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ويقول عند مسح الرأس اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند مسح الأذنين اللهم اجعلني ممن استمع القول فاتبع أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار وان مسح رقبته كان حسنا ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل الرجل اليمنى اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام وعند اليسرى اللهم اني أعوذ بك من أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين * واذا فرغ من الوضوء رفع رأسه الى السماء ويقول اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فهذه الاشارة المختصرة تغني في حصول المقصود من الوضوء ومعرفته وحيث ظهرت فرائضه وسننه فلابد من شرح ما ينتقض به وتلخيص الكلام فيه ان الوضوء ينتقض بأربعة أسباب (الاول) ما خرج من احد السبيلين كيفما كان (والثاني) زوال العقل الا النوم قاعدا ممكنا (والثالث) لمس بشرة المرأة بشيء من بشرته (والرابع) مس الفرج من الآدمي بباطن الكف ولا ينقض الوضوء بالفصد ولا بالرعاف ولا بالحجامة ولا بالشك في الحدث بعد تيقن الطهارة ومن انتقض وضوءه لا يجوز له ان يصلي ولا ان يحمل المصحف ولا يمسه وأما الغسل من الجنابة فأول ما يعتمده أن يغسل فرجه من أذى ان كان عليه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم ينوي الغسل من الجنابة واستباحة الصلاة ويبتدئ بجانب رأسه

... على ... [illegible] ... من جملة الواجب من أنواع الزكاة
زكاة الفطر وهي صدقة عن النفس وتجب بغروب الشمس ليلة العيد على قول
ويجب إخراجها يوم العيد ويجوز تعجيلها في جميع شهر رمضان وهي صاع من غالب
قوت البلد والصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادي

﴿الركن الرابع صوم شهر رمضان﴾

والصوم فضله عظيم وقدره كبير وثوابه جسيم وهو عظيم ثوابه وفضيلته لا ترجح على
الصدد بل أفضل عبادات البدن الصلاة وقد استقصينا القول في ذلك في المصنف
المرسوم بتحصيل المرام في تفضيل الصلاة على الصيام والصوم ينقسم إلى فرض
ونفل فأما الفرض فصوم رمضان ويثبت شهر رمضان بشهادة عدل واحد فإن
غم كمل شعبان ثلاثين يوما ويشترط في صحة صوم شهر رمضان وفي كل صوم
واجب كالقضاء والنذر تبييت النية من الليل وفي القضاء ينوي أنه يصوم غدا
من فريضة رمضان ويجب الاحتراز عن المفطرات كالأكل والشرب والجماع
والاحتقان وما في معناها وليس الاكتحال والفصد والاحتجام من المفطرات
ولا ما يدخل الحلق عن غير قصد كغبار الطريق والذباب ولا إذا أكل أو شرب ناسيا
ويستحب أن يعجل الفطر إذا غربت الشمس وأن يفطر على تمر أو ماء وأن ينزه
صومه عن كل ما ورد النهي عنه من الغيبة والشتم والأذى وأن يقول عند الإفطار
اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ذلك ويستحب في كثرة فعل الخيرات والصدقات في رمضان وأن يفطر الصائمين على
طعامه فقد ورد في هذه الأسباب كلها أخبار وآثار وأما النفل ففي كل الأيام
سوى شهر رمضان والأيام المنهي عن صومها محل لصوم النفل وبعضها أشرف
من بعض ولا يشترط في صحته أن يكون بنية من الليل والأيام التي لها فضيلة
الاختصاص بصيامها فعلى يوم عرفة ويوم عاشوراء ومن شوال ستة أيام بعد
العيد لوداع رمضان

﴿الركن الخامس الحج﴾

وهو من جملة القواعد الإسلامية ولوجوبه وأحكامه أسباب وشروط ولما لم يكن
من مقاصد هذا الكتاب لم نتعرض لشرحها * فهذا تلخيص ما دعت الحكمة
الداعية إلى أنا في هذا الكتاب إلى بيان ما لا بد من ذكره في ذلك مما به تحرير
ما رسمناه أنه في باب العقل ولوازمه

الشفق الاحمر وأول وقت العشاء بعد غروب الشفق الابيض ويمتد الى طلوع الفجر الثاني وأول وقت الصبح طلوع الفجر الثاني ويمتد الى طلوع الشمس والصلاة اذا وقعت في وقتها المذكور لها كانت أداء في أوله أو في آخره لكن أوله للفضيلة وآخره للجواز وان وقعت خارجا عن الوقت كانت قضاء ولا بد في صحة الصلاة من ستر العورة وعورة الرجل ما بين سرته وركبته وكذا عورة المرأة المملوكة وأما الحرة فجميع بدنها عورة سوى الوجه واليدين وكذا لابد من استقبال القبلة الا في النافلة في السفر وفي الخوف به اذا اشتد القتال وفي الصلاة فروض وسنن فان ترك شيأ من فروضها بطلت صلاته وان ترك شيأ من سننها لا تبطل ﴿والفروض﴾ هي النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة والركوع والرفع من الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين والطمأنينة في هذه الاربعة والجلوس في آخر الصلاة والتشهد فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليمة الاولى ونية الخروج من الصلاة على قول وترتيبها على الوجه المذكور وما عداها هذه الفروض فسنن ولا يجوز ترك الصلاة بعد المرض بل اذا عجز عن القيام صلى قاعدا وان عجز عن القعود فعلى جنبه أو مستلقيا على قفاه على اختلاف فيه ولا يتركها مادام عقله ثابتا فقد ورد فيها أحاديث كثيرة خصوصا في صلاة الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم شدد في أمرها ودعا على تاركها وتلخيص ما نقله الائمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال في الجمعة من تركها وله امام جائر أو عادل استخفافا بها أو جحودا لوجوبها ألا لا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا لا صلاة له ألا لا زكاة له ألا لا صوم له ألا لا حج له الا أن يتوب الله عليه

﴿الركن الثالث من أركان الاسلام الزكاة﴾

فمن جحد وجوبها فقد كفر ويجب على من وجبت عليه اخراجها من ماله وصرفها الى مستحقيها وقد بين الله سبحانه مصارف الزكاة في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فمن امتنع من اخراجها أخذها منه السلطان وصرفها الى أهل استحقاقها ولا تجب الزكاة الا في نصاب كامل بعد حولان الحول ونصاب الذهب عشرون مثقالا ونصاب الفضة مائتا درهم وزكاتها خمسة دراهم وفيما زاد فيها بحسابه وهو ربع العشر ويستحب الاكثار من الصدقة تطوعا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته يوم القيامة وقد وعد الله

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى شئ يؤمله * فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسى بالصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وحسن أثره

﴿لطيفة عن فوائد الصبر﴾

ونقل عن محمد بن الحسين رحمه الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همى وكادت تزهق نفسى وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه بزة رثة وله هيئة حسنة خشنة على وجهه أثر العبادة فوقف على ورأى ما أنا عليه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر المكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على انه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدنى فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرنى شئ عن النبى صلى الله عليه وسلم ولكن قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه من أراد الفوز فليجر مع الزمان فى ميدانه وليصبر على حدثانه وليكن للدهر مستسلما ولما أصابه منه مسلما فان الدهر لا يعتذر الى أحد من الناس والطيش نقص والصبر عزم ثم قال وهو منصرف

أما والذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس فى كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرا مذاقه * لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك فى الكوفة ثم أخرجت من الحبس وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعته منه * وانتفعت به ووقع فى نفسى انه بعض الابدال السائحين قيضه الله تعالى لى يوقظنى ويؤدبنى

* ومما يحمل النفوس على استعذاب شراب الصبر ويسهل لذوى البصائر سلوك طريقه الوعر افضاؤه بعد مكابدة العسر الى سعة اليسر فانه قلما أخفق مطالب صابر ولا انقلب الا وهو بما يحاوله أسعد ظافر

﴿نادرة﴾ ولقد قرع أبواب مسامع الاستفتاح ما يشهد لمتدرع الصبر بالفوز

﴿الباب الثاني في مدح الصبر والتثبت وذم العجز والتسرع﴾

قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواطن كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر وقوله ان الله مع الصابرين وقوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وقوله وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وعلى الحقيقة فقد ذكر الله الصبر في كتابه في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وفيها قراءتان من التبيين والتثبيت وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا كل هذه الآيات مع اختلاف مواضعها وألفاظها مشتركة في الامر بالصبر والتثبت وترك الاستعجال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة كقوله عليه السلام النصر في الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله والعجلة من الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناة ونقل عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال للحواريين ما معناه انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون واعلم أن الصبر محمود العاقبة يثمر النجح ويورث المقصود ويكبت العدو ويغيظ الحسود ويقضي لصاحبه بالسيادة ويكسوه فضيلة الحزم ويدفع عنه نقيصة الحرمان فمن هداه الله بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد ولهذا قال أمير المؤمنين المأمون وقد ذكر عنده بعض عظماء دولته فقال نعم من ذكرتم لولا عجلة فيه وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني على أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح على الطاعات في البكر

واشكت ... صبرا ... او ... هذه
... لم ... منه
... بعضه عضة الشباب طريه
فجعت الجواب ... على قلبي آذنت بالامنيه
بألوف تروق عند ... من جارية ومن أجنبيه

قال فلما ... رثى لي وقال والله ... وتهابه ولتصدقن ظهابك ثم أمر
... الخادم وكنت غير بعيد ثم أقبل وهو يحمل
... الى ... الوالدة
... ثم أمر الخادم ... ورجع محلا فقال
ان مولانا أمر ... جوار ... الارض ... اردنا ان تحقق
... وأخذت ... آلاف دينار وجارية بجميع ...
... وانصرفت الى
أهلى فيا أمر ما كانت ... الصبر وما احلى ما كانت عاقبته ... وصلت الى
أهلى بعد تلك الليلة ... أنا نائم واذا بكنيز المغنى قد دخل على فعمت اليه وقبلت
وجهه ... له يا أخى جزاك الله عنى وعن أهلى خيرا فقال لى يا أبا ... كيف
رأيت ثمرة الصبر في آخر الامر ... في أمورك كلها ... لا ... سعى
ولا ... أهل ... الساهر

ان الامور اذا ... مسالكها * فالصبر ... منها كل ما ارتجا
أحق ... الصبر ان ... بحاجته * ومد من ... الابواب أن يلجا
لا ... وان طالت ... * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ثم انصرف فاستفدت ... وصيته والا ... فالصبر لا يحتمله الا ...
... بالصبر حصول ما ... أو خاف ان لم يصبر من فوات ... كما ...
... بالسياط ... ولا ... ولا يتأوه
وقف ... بعض مشايخ ... فقال له في ذلك أما يؤلمك هذا الضرب الشديد
فقال بلى فقال لم لا تصيح فقال ان في القوم الذين ... يعتقد في
الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت أن يذهب ماء وجهى عنده
... فأنا أصبر لى شدة الضرب واحتمله لاجل ذلك

ر الحجاج وهو سار رواه ابو العباس أحمد بن حماد الكاتب بطريق ... المري
قال قصدت أبا الجيش بن حمارويه بن أحمد بمصر مستميحا له فاقمت ببابه زمانا لا أصل
اليه فرق لي كل من عرف حالي وأرسلت الى كثير المغني فصرت اليه وسألته
أن يشفع لي فقال ما جرت العادة أنني أكلمه في أحد ولكن ان قدرت أن تعمل
شعرا أغني به بحضرته فان سألني عن قائله عرفته من حالك ما أكون فيه عائدة
صلاح حالك فعملت شعرا على البديهة وهو

هم علموني البكا لا ذقت فقدهم * يا ليتهم علموني كيف أبتسم
كم من حمتهم صبوا وتكرمة * فما درى غير اضماري بلى دمهم

فصاح لهما لحنا وغنى به فيهما ثم قال من سعادتك أني ما أحضر بان فكر بالباب
ولازمه الى أن أجد الفرصة في أمرك فأقمت بباب أبي الجيش أياما وصابرت ما أرى
من مغالطة النقاطين ورجالة النوبة * ثم ورد الى كتاب العجوز فذكر فيه ما لحقها
من الضرورة بعدي وما هي عليه ومن لديها من الفاقة والضر فتأذى سري
بالوقوف على الكتاب ولحقني هم وغم وسهو فأنسيت المدح الذي عملته في أبي
الجيش في البيت الذي كنت آوي اليه وترنمت بأبيات من الشعر في معنى ما ورد به
كتاب العجوز وقضيت النهار في شوارع مصر فلما هجم الليل ضعفت نفسي عن
المصير الى دار أبي الجيش وسئمت من كثرة الترداد وهممت بالعود فقلت أصبر
لعل الصبر يعقب فرجا فقويت نفسي وراجعت فكري ودخلت دهليزا
من دهاليز داره وبقيت أكثر الليل أردد فكري في وجوه المطالب وفيما أنا فيه
من عظيم التحير في أمري وأمر العجوز اذ ذكرته في الكتاب اذ خرج حاجب من
حجابه وبين يديه فراش يحمل شمعة والفراش ينادي أين المري فقلت ها أنا ذا
فقال أجب الامير فنهضت وأنا آكل يدي ندما على تركي القصيدة ثم دخلت الى
حضرته فاذا هو جالس في صدر المجلس وبين يديه شمع منصوب وكبراء دولته
يحدقون به فلما رآني قال هات يا مري فقبلت الارض وقلت أيها الامير ان عظيم
ما أنا فيه أنساني ما عملته من المدح في الوضع الذي كنت فيه غير أني ترنمت
بأبيات في معنى ما ورد به كتاب أمة مولانا الامير والدتي فقال هات ما حضر
فأنشدت

كنت تسأل الا ناب ونوبتي * بتحمله أشدو صبه

ولقد أحسن القائل .

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر فيما يصيبه

فمن قل فيما يتقيه اصطباره * لقد قل مما يرتجيه نصيبه

﴿تذكرة نافعة وتبصرة جامعة﴾

قيل ان رياضة النفس بنور العقل تورث التنزه في رياض عاقبة الصبر فمن تفوق من شرابها جرعة أنالته في الدنيا علو القدر وفي الآخرة مرجو الاجر وقد جرت أدوار الاقدار بما يسجل عند حاكم التجربة بحقيقة هذا الامر * كان يوسف الصديق صلى الله عليه وعلى آبائه لما صبر ارتقى الى معارج العلا ومدارج الآلاء ووصل الى جل الممالك الفاخرة وظلل الارائك بالآخرة في أشرف مرتقى حتى قيل له لما استتبت مرامي أمره واشتدت نوامي أزره وامتدت في النواحي والاقطار مؤيدات ذكره وارتدت الاكرة بالمساحي من الجهات الى عمارة ريف مصره بمزنات الملك ودانت لك الامور وذلت لديك العظماء وخضعت لامرك الفراعنة وأطاعك من عصى على سواك فنال ما معناه نلت ذلك بصبري على غيابة الجب وضيق السجن وفراق الالاف والبعد عن الوطن

﴿هداية واضحة وبداية صالحة﴾

الصبر وان أمرت موارده فستحلو مصادره وان قصرت بوادره فستعلو أواخره وكم من صابر أدرك غاية مأموله وبلغ بصبره نهاية سؤله ومن نظر سر قوله تعالى حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقف بصفاء بصيرته وضياء معرفته على ما في الصبر من موفور الفضل الوافي الوافر وما يحصل به من نور العقل الزاهي الزاهر ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا * وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها كلها فانما أحسنها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه وقاله قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقال مقاتل

﴿ نفيسة في أضرار العجز ﴾

ومما يعضد ذلك مما حكاه الامام القشيري رضي الله عنه في كتاب التحبير عن عمرو بن عثمان الزاهد أنه قال كان في أصحابي رجل فقير طال به المرض مدة وهو يصبر ولا يشكو فدخلت عليه أعوده فقال لي يا سيدي معك من يقول شيأ فقلت نعم ثم أشرت الى واحد من أصحابي حسن الصوت والانشاد فقلت له قل وأنشد

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض عبدكم فأعود

وأشد من مرضي على صدودكم * فصدود من أهوى على شديد

فطرب الفتى ولم يزل يستعيد من المنشد وأخذه الوجد فصاح ورفع طرفه الى السماء وقال الهي علمت صبري على ما قضيت وصدقي في صبري والآن فني الصبر وطالت المدة وطلبت النفس الخروج مع شيخي وأصحابي الى مواطن عبادتك فأزل عني المرض وأعد لي عافيتي قال الشيخ فقام الفتى وخرج معنا الى السياحة كأنه ما كان مريضا فقلت لأصحابي انظروا الى حسن عاقبة الصبر وحلاوة ثمرته ومن لم يصبر في مواطن الصبر لابد أن يجد ندامة كما نقل عن أبي الحسن العلوي الهمداني قال كنت تلميذا للشيخ جعفر بن نصير رضي الله عنه فقال لي يوما يا أبا الحسن اني قد حصل عندي خاطر أريد أن أقعد في مراقبة قلبي ومحاسبة نفسي ثلاثة أيام ولياليهن فتصبر معي قلت كرامة فقعد وقعدت معه يومين فلما كان آخر النهار جاء ولدي وقال لي قد اشترينا طيرا سمينا وقد عملناه في التنور وتحته جودابة فتقوم تجيء الى البيت لاجل ذلك فقمت معه فقال لي الشيخ الى أين فقلت له ان ولدي قد طلبني لحالة عرضت ما يمكنني أن أصبر عنها ثم تركته ولم أصبر معه وأتيت البيت وبت عند أهلي وقلبي متعلق بما في التنور فلما كان بكرة أخرج الطير من التنور فوضع بين يدي وباب الدار مفتوح فدخل كلب وسلب الطير وعدا فعدت الجارية خلفه فعثرت بالجودابة فبددته من القدر فقمت بسرعة لاتناول القدر قبل أن ينصب جميع ما فيها فاحترقت يدي وندمت على ما فعلت فعدت الى الشيخ أبي جعفر فلما رآني قال انظر عاقبة من لم يصبر كيف يسلط عليه كلب يؤذيه ونار تحرق يده وانها الأهون عليه من نار الآخرة وفي هذه الواقعة تنبيه على كرامة هذا الشيخ الصالح وكفى بها دليلا على تطرق الندم الى من لم يصبر

احتطبوا الاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرق فلم يتخلف أحد منهم وفعلوا ذلك أربعين يوما الليل والنهار حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجدران وسدّوا أبواب ذلك الحيز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم على رأس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستا وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا فقال جبريل فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فأجلسه على الارض وأخرج له عين ماء عذب * قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم غير كتافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم صلوات الله عليهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى فلم يجزع منها وفوّض أمره الى الله وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى به فقابل أمره بالامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عاوضه عن ذبح ولده وفداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه

﴿ قصة عن صبر اسحق ﴾

وأما اسحق عليه السلام فانه لما صبر على بلية الذبح وتخيصها أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم وأمره بذبح ولده قال لولده اسحق اني أريد ان أقرّب قربانا فقم فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال له يا أبت أين قربانك قال ان الله تعالى قد أمرني بذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها شاش دمي فتراه أمي فيشتد حزنها وأسرع في امرار السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني فأقبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم يقبله ويبكي ويقول نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى * قال مجاهد لما أمر السكين ولم تقطع قال اطعن بها طعنا قال السدي جعل الله حلقه

رضي الله عنهم ستة نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وأيوب صلى الله
عليهم وبيان ما صبروا عليه حتى سماهم الله به أولي العزم

﴿ قصة عن صبر نوح ﴾

أما نوح صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنه كان يضرب ثم يلف
في لبد ويلقى في بيته يرون أنه قد مات ثم يخرج الى قومه فيدعوهم الى الله هكذا
حتى اذا يئس من ايمانهم جاء رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه
يا بني هذا الشيخ انظر اليه واحذره لا يغرنك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا
فأخذها من أبيه فضرب بها نوحا عليه السلام وشج رأسه فسالت الدماء على
وجهه فقال رب ترى ما يعمل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا
فصبرني الى ان تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من الخشب
يجري على وجه الماء أنجي فيه اهل طاعتي وأغرق اهل معصيتي قال يا رب وأين
الماء قال اني على ما أشاء قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس
الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم يستهزؤن به فلما
أدرك الشجر امره ربه فقطعها وجففها فقال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال
اجعله على ثلاث صور وبعث الله سبحانه وتعالى اليه جبريل يعلمه واوحى اليه ان عجل
السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما تجزت السفينة جاء أمر الله تعالى
بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر
الماء على وجه الارض ونزلت من السماء أمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء
فصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا
وانتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام بصبره وجعله الاب
الثاني للبشر وفي تمام قصته كلام منبسط لاهل التفسير ليس هذا الكتاب
موضع بسطه فهذه نبذة صبر نوح وانتصاره

﴿ قصة عن صبر ابراهيم ﴾

وأما ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها
لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم ابلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا
حيزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم

محتسب مفوض أمره الى الله وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارج البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته بنت افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قد سلمت فتتردد اليه تتفقده فجاءها ابليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه السخلة باسمي ويبرئ فجاءته فأخبرته فقال ان شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله وطردها عنه فذهبت عنه فبقي ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس خر ساجدا وقال الهي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ما قيل ثماني عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد تعالى بالطافه عليه فقال عز وجل فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه لتحلة قسمه وجمع له بين غنيتيه وهديه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولي العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم ومسؤلهم ومنحهم من لدنه غاية مرامهم ومأمولهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم

﴿اشارة مستعذبة المجاني وعبارة مستغربة المعاني﴾

قيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب تعقبه الراحة والضيق تعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الامر تنزل الرحمة فالموفق من رزق صبرا وأجرا والشقي من ساق اليه القدر جزعا ووزرا

﴿نادرة﴾ ومما تشنف السمع من حج هذه الاشارة وأتحف النفع في نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصري رضي الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك ياهذا فقال انا كنت على أمري حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين في أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرج جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن ان غدا يضرب عنقي فاخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت اللهم اشتد الضر ونفد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره

كصحيفة من نحاس لا يعمل فيه السكين شيأ * فلما ظهر منهما صدق التسليم نودى هذا فداء ابنك يا ابراهيم فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم ومعه كبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم حصل لاسحق ما حصل ببركة هذا الصبر على هذا البلاء المبين أن جعله الله تعالى نبيا وبشر ابراهيم بذلك فقال عز وجل وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين

﴿قصة عن صبر يعقوب﴾

وأما يعقوب عليه السلام فانه لما ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذا يوسف عليه السلام لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلماء الجب وبيعه كما يباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبر وقبول فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة

﴿قصة عن صبر أيوب﴾

وأما أيوب عليه السلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وأمواله وتتابع المرض والزمن والسقم حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ونذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فكلمه فى الظلم جماعة من الانبياء وسكت عنه أيوب عليه السلام لاجل خيل كانت لايوب فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب تركت كلامه لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبعث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها جميعا فقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازل أيوب وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهدموها ثم جاء ابليس الى أيوب وهو يصلى وتمثل له فى صورة قيم من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليهم ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وانحرقت زروعك وانهدمت منازلك على أولادك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى رزقنى ذلك كله ثم قبله منى وقام الى صلاته فرجع ابليس خائبا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخت ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى ان بانت منه أمعاؤه وهو مع ذلك كله صابر

في الشكر المتعارف بين الناس هو اظهار النعمة والتحدث بها او بسط اللسان
بالمحمدة والتعظيم للمنعم بها والتنويه بذكره ورفع قدره وقد انعقد الاجماع على
وجوب الشكر للمنعم عقلا وشرعا وان من أنعم الله عليه وأحسن اليه واهمل مدح المنعم
ويشكر المحسن لجدير أن يحكم عليه بلؤمه وخساسته وان يسلب النعمة أو ينقطع
عنه مددها ولقد أنصف بعض بني أمية وقد سئل بعد زوال ملكهم وانقراض
سعادتهم وانقضاء دولتهم ما كان سبب هذا الحادث المجحف بكم والبلاء النازل
عليكم فقال قلة شكر الله تعالى على ما أنعم به علينا واشتغالنا بالذات عن النظر
في مصالحنا وتفويضنا أمورنا الى من لا دين له ولا أمانة عنده وظلم رعايانا
وغفلتنا عنهم ففسدت علينا النيات واختلت علينا الجند لقلة عطاياهم فاستدعاهم
أعداؤنا فاجابوهم واعانوهم علينا واستترت عنا الاخبار لقلة الانصار فآل
أمرنا الى ما آل ومما يتم نفعه ويعظم في هذا المقام وقعه ويروق لذوي الافئدة
المستيقظة سمعه ما قيل في حديث المحدث المعرب عن بعض عظماء أهل المغرب
حين تمت نعمته واتسعت بسطته وامتدت مدته ونفذت في دولة مخدومه كلمته
(غريبة) فقال له يوما بعض من له جراءة في سؤاله ومعرفة بقديم حاله واقلاله
ما الذي أوصلك الى التقرب من الملك والتقلب في نواله وافضاله حتى ألحقك في
احسانه اليك وانعامه عليك بخواص أهله وآله فقال ما معناه اعلم أنه لما أمحل هذا
الصقع في تلك السنة التي سميت بها في عام القحط واضطرب الناس واستدت الازمة
وضاق الامر وكثر الجوع وقل المسعد واستوى في الشدة المقل والمكثر ونفدت
ذخائر الاغنياء وعمت المنية بذيل الهلاك على الضعفاء بقيت أنا وأهلي أياما
في قبضة الجوع والحاجة والذلة فدعت الضرورة الى أن كتبت الى الملك رقيعة
لطيفة وكان ذا ميل الى الفضل ورعاية لاهل العلم وبعثت بها اليه (وصورتها هذه)
لقد عرضت فاقة أسقطت رداء الحياء عن منكب الحرية وأنطقت لسان التعفف
على خلاف العادة بالمسئلة وأحوجت أهل الصيانة الى تحمل ذل الابتذال وقد
وقع في النفس أن في رأفة الملك ما يكشف ضرا او يسترق حرا ويستوجب على
الابد حمدا وشكرا

فامنن بما يغني ويثمر دائما * حمدا يدوم على مدى الايام

فلما وقف عليها وقعت منه بموقع فأرسل غلاما على يده ما دفع الحاجة وسد الخلة

فأخذتني غشية وأنا بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فقال لي قم وصل ركعتين وقل مثل ما أقول يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما درأ وبرأ أنت عالم بخفيات غيوب الامور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنظر الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت وتلوت ما سمعته منه ولم يختل على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت فاذا أبواب السجن قد تفتحت فقمت وخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانطلق يقصد الحجاز

﴿خاتمة هذا الباب في الفقر الموضوعة والدرر المسموعة﴾

(منها) من صبر على ما يكره ولم يجزع كبت عدوه وسر صديقه (ومنها) من صبر على عدوه الى ان تلوح له الفرصة عليه امكن نفسه من الانتقام واستأصل شأفته وقطع دابرته (ومنها) من استعجل في امر يحاوله كان جديرا ان ناله ان لا يدوم له فان الخالق يلازم العجل (ومنها) يجب على الملك ان لا يعجل في الانتقام ممن سعي به اليه حتى يكشف عن اغراض السعاة وما حملهم على السعاية فرب عدو يضع زورا ويلقيه الى من يوقعه في مسامع الملك ليسلطه على المكذوب عليه (ومنها) الصبر والتثبت حسن وهو في الملوك أحسن والسرعة والاستعجال في الانتقام قبيح وهو من الملوك أقبح لا سيما اذا كان في أمر لا يمكن تداركه (ومنها) كم من صبر أفضى بصاحبه الى جذل وسرور وكم استعجال أشرف بصاحبه على هم وندامة وعنوان ذلك ان الصابر يتوقع خيرا والمستعجل يتوقع زللا

﴿الباب الثالث في صفة الشكر ومدحه وذم الكفران وقبحه﴾

لما كان الشكر عظيم الموقع وافر الخطر وافي المكانة موجبا للزيادة في النعمة المشكورة أمر الله تعالى في كتابه العزيز بشكره وقرنه بذكره فقال عز من قائل فاذكروني اذكركم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قام في الصلاة حتى تورمت قدماه قيل له ان الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا *

! تراه وقال مثلك يا حارث من يسدى اليه المعروف ويستدعى لدفع المكريهة واتقد بحسن وجهه قومك وصدقت محبة مثلك وصدق الحملة فيك وأرضيت ربك فى دينه وأمرتك فى نصرته قال الحارث فلما سمعت هذا القول والقلب قوى حرضنى على القتال وهان على القاء نفسى وعشيرتى فى غمرات الموت بين يديه فلما أصبح ركب ابنه يزيد وأصحابه فيمن عشيرتى وأخذت عليهم مواثيق الموت أو الظفر فلما التقى الجمعان هيجت عشيرتى وحملت بهم فلا والله ما كان الاهنيهة حتى هزمناهم وأوقعنا السيف فيهم وغنمناهم والمهلب ينظر فلما أتينا بالغنيمة قال لى المهلب بك و بعشيرتك يا حارث كسرهم يزيد فقلت لا أيها الملك بل بك كسرهم يزيد فقال لى كيف وأنا واقف لم أتحرك فقلت له ذاك الشكر منك بالامس لى والكلام الذى هو عند ذوى الفطنة والالباب أعلى قدرا من الملك هو الذى أوجب ما رأيت * ولولا خوف الاطالة لامليت من أمثال هذه الوقائع جملا ولضربت عند كل قضية منها ان تأملها مثلا و يكون من شواهدها ما يدل على أن الشاكر بشكره أكمل معرفة وأحسن عملا وما أحسن قول القائل

أوليتنى نعما ملكت ببعضها * رقى فوافت مدحتى فى شكرها
فلاشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك اعظمى فى قبرها

(تذكرة وتبصرة) كما أن شكر المنعم يستدر أخلاف الازدياد ويبعث على امداده بمعاودة الاسعاف والارفاد كذلك كفران المنعم يعرض للزوال والنفاد ويلبس جاحدها لباس سوء النعمة بين العباد وقد علم اختصاص الازدياد بمن شكر وحلول الانتقام بمن كفر وفى قضية مكة حرسها الله تعالى وحال أهلها عبرة لمن استبصر وموعظة لمن تذكر وتذكرة لمن تدبر فان الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ نعمه وجعلها بلدا امنا وشرفه فوسمه بحرمه ومنحهم من لطائف رفده فضلا ومنا وأوسعهم غاية مرامهم غنى وأمنا فقال فى كتابه العزيز أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ثم بعث من بينهم محمدا عليه السلام رسولا من أنفسهم فدعاهم الى الايمان وتلا عليهم القرآن وامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وحضهم على صلة الرحم وحثهم على مكارم الاخلاق فكذبوه وكفروا نعمة الله التى أنعمها عليهم فسلط عليهم أنواع الانتقام وضرب بهم المثل لذوى الافهام فقال سبحانه وتعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

فكتبت على يد الغلام كلاما كثيرا منثورا وأعقبته بهذين البيتين

شكرت نوالك كل قافية * تختال بين المدح والغزل

فلاعدملا ثم امتنت به * كف الرجاء وناظر الامل

فلما وقف عليها أطار بته وقال هذا الرجل أهل للاحسان اليه فانه اذا كان هذا شكره للقليل من برنا فكيف يكون اذا أتحفناه بانعامنا وألحقناه بخواصنا فاستدعاني يخصني بلطائف بره وفعل بي ماهذا الذى رأيته بعض أثره فبذلت له ماقي وسعي وجهدي من مناصحة وحمد وشكر وخدمة وجدير لمن شكر أن يشمله المزيد ومن رعى الاحسان أن يبلغ فوق مايريد فان رب العزة جلت قدرته وتعالت عظمته مع استغنائه عن العالمين ولا ينتفع بكثرة شكرهم ولا يضره زيادة كفرهم قد بذل المزيد لمن شكر وأعد العذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه وتعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فماظنك بالانسان الذى يستميله نشر الشكر والدعاء ويطربه ذكر الحمد والثناء وينفره جحود ماجاد به من النعماء ويتأثر تأثرا يظهر على بشرته بهذه الاشياء وكان الشكر اذا نطق به المنعم عليه من العبيد والاتباع والاماثل والاشياع يقضى لهم بزيادة الحباء وادامة الاحسان على الآناء فكذلك اذا رأى السيد أو المنعم بعض أصحابه وخدمه وحاشيته وحشمه وقد أسفر فجر نصحه عن صبحه وأضاء زناد نجحه لقدحه حمده على حسن صنعه ومدحه بالقيام بما في جهده ووسعه فانه بهذا القول اليسير يسترق رقاب الاحرار ويتخذ من مناصحتهم اخلاصا في الاعلان والاسرار حتى يهون عليهم في تحصيل مراده ركوب الشدائد والاخطار ويسهل عندهم مكابدة الصعاب لنيل ماله من المقاصد والاوطار

﴿نادرة﴾ كما نقل عن المهلب بن أبي صفرة لما كان في قتال الازارقة وكان معه من أهل العراق جم غفير وخلق كثير فركب يوما ومعه بنوه فقال لابنه يزيد يابني تقدم الى هذه الطائفة من الازارقة فاكفني أمرها فاخذ يزيد جماعة وتقدم فلما التقى الجمعان كان مع يزيد الحارث بن يربوع من وجوه كندة فنكى الحارث في الازارقة نكاية عظيمة وأبلى بلاء حسنا والمهلب واقف ينظر الى صنعهم ويتعجب من حملات الحارث وفعلاته دون الباقين فلما جن الليل وحجز بين الفريقين نزل المهلب فدخل عليه الحارث فلما رآه المهلب زاد

بادر الآن بالكتاب الى عبد الجبار وأعلمه بأنك تريد غزو الروم وقد استدعيت الجنود من جهاتها وأمره ليوجه اليك جند خراسان وفرسانها ووجوهها فاذا خرجوا منها وانفصلوا عنها سير من شئت الى عبد الجبار بحضرة فما يقدر على الامتناع وافعل به ما شئت ففعل المنصور ذلك وكتب الى عبد الجبار كتابا بتلك الصورة فأجابه عبد الجبار عن كتابه بأن الترك قد جاشت وهي مجاورة لخراسان فان فرقت الجنود وتوجهت العساكر منها الى حضرة أمير المؤمنين ذهبت خراسان فلما وصل كتاب عبد الجبار بذلك استحضر المنصور أبا ايوب وألقى اليه كتاب عبد الجبار وقرأه وعلم ما قصده فقال يا أمير المؤمنين الآن أمكنك الله تعالى منه اكتب الآن اليه ان خراسان عندي أهم من غيرها وحيث قد ذكرت عن الترك أنهم قد جاشوا فحفظ خراسان متعين علينا وأنا موجه بالجنود اليك ليكونوا بخراسان عندك لتستعين بهم على حفظها ثم يجهز أمير المؤمنين الجنود ويسيرها الى خراسان فان بدا من عبد الجبار خلاف أخذوه بعنقه فكتب المنصور الكتاب وسيره فلما وصل كتاب المنصور الى عبد الجبار حار فكره فكتب الى المنصور ان خراسان لم تكن قط أسوأ حالة منها في هذا العام وان دخلها الجند هلك أهلها الضيق ما هم عليه من غلاء السعر فلما أتى المنصور كتاب عبد الجبار وقرأه دفعه الى أبي أيوب فقرأه وعلم مضمونه وقال يا أمير المؤمنين ان هذا رجل قد أبدى صفحة الخلاف وتقمص بلباس كفران النعمة فناجزه ولا تؤخره فسير المنصور ولده محمدا المهدي وأصحبه العساكر وقدم لمحاربته حازم بن خزيمة فتوجه محمد المهدي بالعساكر فنزل نيسابور وتوجه حازم بن خزيمة الى عبد الجبار وهو يومئذ بمرو الروذ فبلغ ذلك أهلها وعلموا كفران عبد الجبار لنعمة المنصور ومخالفته لهم فخاف منهم فهرب واختفى فطلبوه حتى ظفروا به وأسروه وسلموه اليه فألبسه حازم مدرعة صوف وأركبه على بعير وجعل وجهه الى ذنبه وسيره الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فلما وصل هو وولده وأصحابه المساعدون له على كفران النعمة وجحود الاحسان والمجاهرة بالمخالفة والطغيان صب المنصور عليهم أنواع العذاب والانتقام ثم في آخر الامر أمر بقطع يدي عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه واشهار ذلك ليرتدع كل من قابل النعمة بالكفران وجازى بالاساءة على الاحسان

﴿خاتمة﴾ لهذا الباب في الحكم الحسان النازلة في جيد الزمان منزلة قلائد العقيان

رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون وفي هذا تنبيه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ومما نقل من الحكم المأثورة والكلمات المأثورة عن ذوي التجربة ان من قابل النعمة عليه بكفرانها او جازى الحسن بالاساءة فقد استفتح باب سخط العزيز ذي الانتقام

﴿ حكاية بليغة عن كفران النعمة ﴾

ولقد بلغني أن الخليفة المنصور أمير المؤمنين لما أحسن الى عبد الجبار وولاه امره خراسان وناط بيده أزمة أمرها وفوض اليه حكم قلها وكثرها وأفاض عليه من نعمه ما شهدت به ألسنة نظم السير ونثرها فزين له الشيطان سوء عمله فصده عن سبيل شكرها وأغراه باتباع هواه فارداه في مهواة كفرها فكتب صاحب خبر المنصور اليه يخبره بما شامه من برق عبد الجبار وشمه من صفحات وجهه وسمعه من فلتات لسانه فضاق المنصور بذلك ذرعا وعظم لديه وقعا وأثار اضطرابه منه في وجه كيفية عمله نفعا وعلم ان الانتقام نازل بمن كفر النعمة وان كان أشد قوة وأكثر جمعا فاستحضر في الحال اليه من هو موثوق بدينه من الكبراء ومرموق بعين الاصابة عند اشتداد الآراء ومنزه عن مواقف التهم بمتابعة الاهواء ومطلع بنور البصيرة على معالجة معضل الادواء وقديما أفلح من استضاء بنور الادلاء في ظلمات الخطوب هدى الى الظفر بالمرغوب والنجاة من المرهوب فلما أطلعهم الخليفة المنصور على طلع ما طولع به من كفران عبد الجبار لاحسانه وتغيره عما كان عليه من انقياده للطاعة واذعانه وتنكره على من عنده من أنصار المنصور وأعوانه استشارهم في كيفية استدراجه الى الحضرة بصيرة واتيانه قبل أن يجاهر بمخالفته وعصيانه فما منهم الا من استنزل من سماء فهمه صيب صوابه ونثل بيد فكره ورويته سهام جوابه والخليفة مصغ الى كلامهم لا يزيد على أن يسمع ويرى ويجم نهاية أفهامهم ليختار أسدها في اصابة مقتل ما قد نرى فلما انثلوا كنائن الافكار وخرجوا من عهدة الامانة الواجبة على المستشار جدهم على نصحهم وأذن لهم في الانصراف وقد ساق بقلبه مقال واحد منهم و يعرف بأبي أيوب الجوزي فانه استصوب رأيه بدقيق فكره واستعذب قوله وتحقيق مشورته فاستحضره وحده وقد حسنت فيه موارد عقيدته فلما حضر استعاده مقاله وسأله عما كان ذكره في ذلك الوقت وقاله فقال له يا أمير المؤمنين

نه بالعمل فعمل صلى الله عليه وسلم برأى أبي بكر (رضي الله عنهما) لما نزل صلى الله عليه وسلم ببدر بأدنى ماء هناك قال له الحباب بن المنذر يارسول الله أرأيت هذا المنزل نزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الحباب فان هذا ليس بمنزل فانهض يارسول الله بالناس حتى تأتى أدنى منزل من القوم فننزل عليه ثم نغور ماوراءه من القلب والآبار ونعمل له حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونهض صلى الله عليه وسلم ومن معه وسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه وعمل ما أشار به الحباب بن المنذر * وقال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه في المشورة سبع خصال استنباط الصواب واكتساب الرأى والتحصن من السقطة وحرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة القلوب واتباع الاثر وقال لقمان لابنه يا بني اجعل عقل غيرك لك فيما يعرك الحاجة الى فعله فقال ابنه كيف أجعل عقل غيرى لى قال تشاوره في أمرك وقال اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما يحب وقيل للاحنف بن قيس بأى شئ يكثر صوابك ويقل خطؤك فيما تأتيه من الامور التى تباشره من الوقائع قال بالمشورة لذى التجارب ومخض زبدة الآراء

﴿ تهذيب واضح وتنبيه لائح ﴾

من واردات الحكم ومستنداتها عن أكبر أساطين الحكمة ومورديها وقد سئل بعض أبناء العاقل ذى الالباب مشورته على نفسه تقصر عن اصابة الصواب وادراك المطلوب ومشورة غيره له تظفره بذلك فقال ان مشورة الانسان لنفسه ممزوجة بالهوى ومشورة غيره له سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى وقد قيل سبعة لا ينبغى لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ومما يقطع بصحة هذا المقال وصدقه ويطلع أنوار تحققه من مطالع أفقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الشح المطاع والهوى المتبع وكفى بكل واحد

(ومنها) اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعمة اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت (ومنها) شكرك من أولاك ما تستعمل لك بعثه على ان يمنحك ما يستكثر في حق أمثالك (ومنها) من خطب النعمة بالشكر نكحها بالدوام والعاقل يرغب في الشكر ويبذل امكانه في اقتنائه ويراه أفضل ما يقتنيه من ذخائره (ومنها) من رفع عن الناس بترك بره مؤنة شكره وأراحهم باهمالهم من تلاوة حمده فقد بئس من مكارم الاخلاق كما بئس الكفار من أصحاب القبور (ومنها) النعم رزق يديمه الشكر والشكر موهبة يهدى اليها العقل والعقل فطنة يوقظها التوفيق والتوفيق عناية ربانية يمنحها الله من يشاء من خلقه فمن زال توفيقه رقد عقله ومن رقد عقله فقدت موهبته ومن فقدت موهبته قل شكره ومن قل شكره حرم رزقه

﴿الباب الرابع في المشورة وبركتها وذم تركها ومجانبتها﴾

من شرف المشاورة وعموم نفعها وعلو درجاتها وعظم وقعها ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بها مع استغنائه عنها فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وقال تعالى يمدح من وصفهم في كتابه العزيز بصفات حميدة لا يحوزها الا الموفقون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فجعل أمرهم شورى بينهم وكفى ذلك في فضيلة المشورة دليلا والى نهج فضلها سبيلا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة لاصحابه أشيروا على وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزم فقال ان تسترشد وقال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وقال عليه السلام ما شقي عبد بمشورة ولا سعد من استغنى برأيه وفي التوراة من لم يستشر في أمره يندم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر استشارة لاصحابه من النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاور أصحابه في قصص كثيرة وقضايا متعدده (منها) لما أراد مصالحة عيينة بن حصن والحارث بن عوف حين قصده الاحزاب يوم الخندق على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ويرجعان عنه بمن معهما من غطفان فقال صلى الله عليه وسلم حتى أشاور السعود يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن فزارة فشاورهم فأشاروا أن لا يعطيهم شيأ ففعل بمشورتهم (ومنها) استشارته في أسارى بدر فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالفداء وأشار عمر رضي الله

فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير اكتحلت بعدك السهر واستشعرت الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد بعدك خلفا فقال صدقت اذهب نفسا وابسط أملا فخرجت من عنده وقد أمنت ببركة المشورة واستعمال الصدق وقد قل ما أعرض أحد عن قبول المشورة الا واستغشى لباس الندم على التقصير وقديما قيل ما ضل من استخار ولا زل من استشار

(مطلب في اضرار ترك المشورة)

وقد نقل ابن عباس رضي الله عنه قال لما قتل طلحة بن عبد الله رضي الله عنه وقد وقعت تلك الوقعة المشهورة خرج علي رضي الله عنه راكبا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والكراهة تبين من وجهه فقال رحم الله عمي العباس كأنما كان يطلع على الغيب من وراء ستر رقيق صدق والله ما نلت من هذا الامر شيئا الا بعد شر خير معه فقلت يا أمير المؤمنين او قبلت مشورته لاسترحت فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا قال ابن عباس فسألني بعض أصحابه عن مشورة العباس فقلت قعد العباس وعلي رضي الله عنهما في أيام عثمان فقال لعلي يا ابن اخي كنت أشرت عليك بأشياء لم تقبل مني فرأيت في عاقبتها ما كرهت وها أنا الآن أشير عليك يا ابن أخي فان قبلت والا نالك ما تكره كنت أشرت عليك لما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله ان كان الامر فينا أعطاناه وان كان في غيرنا أوصى بنا فقلت ان منعناه لم يعطناه أحد بعده فمضت تلك ثم لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو سفيان ابن حرب تلك الساعة فدعوناك فقلت ابسط يدك نبايعك فانا ان بايعناك لم يختلف عليك منافي وان بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشي وان بايعتك قريش لم يختلف عليك عربي فقلت في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل عن يفوت الامر فلم نلبث حتى سمعنا التكبير من السقيفة فقلت ما هذا يا عم فقلت دعوناك اليه ثم لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرت عليك ان لا تدخل معهم في الشورى فانك ان اعتزلتهم قدموك وان ساويتهم لم يقدموك فدخلت معهم فكان ما رأيت وها أنا اقول لك الآن ارى هذا الرجل يعني عثمان رضي الله عنه يؤاخذ في أمور لكأني بالعرب وقد سارت اليه حتى ينحر كما ينحر الجزور والله ان كان ذلك وأنت حاضر بالمدينة ليرمينك الناس بدمه وان فعلوا لا تنال من هذا الامر شيئا الا بشر لا خير معه فهذا كان رأي العباس ومشورته ولكن حاجز القدر

منهما صارفا عن الحق المبين وواقفا في وجه السنن المستبين .

﴿اشارة عزيزه وعبارة وجيزه﴾

لا بد في أهلية المشورة من صفاء فكر وضياء حسن وجودة فهم وقوة نفس وسبق تجربة وصحة حدس والاطلاع على مختلفات الامور ومفارقة قول الزور فاذا حصلت هذه المزايا أطلعه الله بنور بصيرته على ماوراء الحجاب المستور فأصاب عند مشورته أصدق فكره مواقع المقدور وحصل بالعمل بما أشار به خروج من الظلمات الى النور وشفاء لما في الصدور

﴿حكاية عن فوائد المشورة﴾

ومما قرع المسامع وأطرب السامع من قضية الشعبي شاهد بأن المهتدي بنور الاشارة مصيب لسواء السبيل وكيف يضل من بين يديه من اتباع الشرع وضياء العقل أوضح دليل وتلخيص القضية بعد افراغها في قالب الاختصار وابلاغها مستحقها من البيان مع مجانبة الافراط والاقتصار ما أورد معناه ذوو الاستبصار من فضلاء الامصار ان الشعبي رحمه الله لما قدم به على الحجاج في الواقعة التي أخذت فيها شيعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكل من مال اليهم حين خرجوا عليه فظفر بهم فسفك وفتك وقتل وهتك واستباح المحظور وارتكب من النكال ما جاوز حد الانتقام وكان من يعتذر اليه في موافقتهم وليس منهم يقبل عذره ويطلق سراحه قال الشعبي كان كاتب الحجاج صديقا لي فقال يا شعبي اعتذر اليه عساك تنجو من أذاه فحدثتني نفسي أن أختلق أعذارا يقبلها فلما كان الليل طفت على أقوام لي على قولهم اعتماد وفي رأيهم حسن ظن فقلت لهم ما تشيرون فغدا يبدأ بي الحجاج في أول مجلسه فاتفقت اشارتهم مع اختلاف عباراتهم على ان الصدق أولى ما نطقت به فاعتمدته معه فلما أصبحت ودخلت عليه سلمت عليه بالامرة وقلت أصلح الله الامير ان الاعتذار بغير ما يعلم الله انه الحق لقبيح عند من هو دون مكانتك وايم الله لا أقول في مقامي هذا الا الحق والصدق ولقد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فضحك الحجاج بعد قطوبه وسكن بعد وثوبه وقال والله أنت أحب الينا قولا وأصدق ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويعتذر ويقول

أن رعليك بقصدنا قال الاصمعي فلما سمعت كلامه وقد احرزت صلته انشدته وانا واقف بين يديه شعر

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الارض قاطبة * فانت والجود مخلوقان من عود
من استشار فباب النجح منفتح * لديه في مبتغاه غير مسدود

ثم عدت الى المدينة وقضيت ديني ووسعت على اهلي وجزيت المشير علي وعاهدت الله تعالى اني لا اترك الاشارة في جميع أمري ما عشت * وكم من نبيه دهمته حادثة اظلم من الليل اذا تغشى فهدته الاشارة الى كشف كربته نهجا أوضح من النهار اذا تجلى فامن سربه وزال كربه اذ أسعفته المشورة لا تخف انك أنت الاعلى * وقد ورد من عجيبات القصص ومستغربات القصص ما يصف هذا القول بالصواب ويكشف عن وجه تصديقه نقاب الارتياب ويقذف في نفس سامعه أن حدس واصفه قد أصاب وان سحاب فهمه ورباب علمه قد نزل بالحكمة وصاب

(من استشار نجا من النار)

(غريبة) فانه قيل في مسطور السير ومزبور وقائع العبر ما معناه ان الخليفة المنصور كان قد صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا يحتملها حراسة الخلافة ولا يتجاوز عنها سياسة الملك والايالة فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه وأرق جفنه وقل أمنه وترادف خوفه وحزنه وقديما قيل من جاءته الاساءة من جانب توقع الاسعاف منه كان ألمه أشد ونكاية قرحه أعظم ومن خامر قلبه استشعار زوال ملكه وتوهم تطلع القلوب الى دماره وهلكه كان جدير ابه مجانبة الرقاد ومخالفة السهاد ومجافاة جنبه عن المهاد واعمال فكره وتحيله في اصلاح ما طرا أمره من الفساد فادت فكرة المنصور الى أمر دبره وفكر كتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه على عادة اكرامه وأخرج من كان بحضرته ثم قال له ما معناه يا ابن عم اني مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا سواك مساعدا لي على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظني بك وعامل على ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته وأعتمد ما في بعضه ما يبيح دمه وفي قتله صلاح

منع من العمل بهذه المشورة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقد كان عمر رضى الله عنه شاور فى كثير من الوقائع حتى قال يوما لاصحابه أشيروا على ودلونى على رجل استعمله على أمر قد همنى وقولوا ما عندكم فانى أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه واذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم فقالوا نرى لهذه الصفة الربيع بن زياد الحارثى فتشير على أمير المؤمنين به فاحضره وولاه فوفق فى عمله وقام فيه بما به على رجاء أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فيه وأمله فشكر عمر رضى الله عنه من أشار عليه بولاية الربيع وكان يحث على المشورة فى الامر الكبير الرفيع والحقير والوضيع وقد قيل فى ذلك من استشار فقد اعتصم من الرأى بالمعقل المنيع ومن استبد فلا يأمن ان يختل مراده ويضيع وعلى الجملة فمثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع وطالما ادرك المستشير بغيته فانقلب بقدح الفائزين ولولا الاستشارة لكان عن ادراك مأموله من العاجزين

﴿لطيفة فى فوائد المشورة﴾

وقد ورد من مستحسنات ما يطرب عن بعض ساكنى يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين أثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى الى مالا بد منه فضاقت على الارض ولم اهتد الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوى المودة والرأى فاشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له يمنعنى بعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادنى على ماذكره لى الصديق الاول فرأيت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الامير انى قطعت اليك الدهناء وضربت اكباد الابل من يثرب فانه أشار على ذوو الحجا والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك لحاجتى اهلا فان قمت بها فانت أهل لذلك وان يحل دونها حائل لم اذم يومك ولم ايأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب وادفع اليه ما فى خزانة مالنا الساعة فاخذنى معه فوجد فى خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا واعادنى اليه مسرعا فقال هل وصلك ما يقوم بدفع حاجتك فقلت نعم أيها الامير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتصديق ظن من

الينا لنقتله ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فأخذوني الى الرحبة واجتمع على الناس فقام واحد من عمومتي الى وسل سيفه ليضربني فقلت له ياعم أفاعل أنت قال أي والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي فقلت لهم لا تعجلوا اردّوني الى أمير المؤمنين فردّوني اليه فقلت له يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمني الله من فعله وهذا عمك باق حي سوى وان أمرتني بدفعه اليهم دفعته فاطرق المنصور وعلم ان ريح فكره صادفت اعصارا وان ما اراده بتدبيره قارف خسارا وقديما قيل من اتبع هواه وشرع فيما يهواه وقطع نظره عن عواقب ما أتاه واقتنع برأيه عن مشاورة من سواه كان اخفاق مسعاه أقرب اليه مما أمله ورجاه فقال المنصور لعيسى ائتنا به فمضى عيسى وأتى بعبد الله فلما رآه قال لعمومته اتركوه عندى وانصرفوا حتى ارى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة المشورة ليونس وقبول اشارته والعمل بمشورته ثم ان المنصور اسكن عبد الله في بيت أساسه قد بني على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن في مقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة وقد وضح من غضون هذه القضية وأرجائها ان ترك الخليفة استعانته بأنوار الافكار وآرائها قطع عنه موادّ مراده وأضعف قوى قصده واعضاده فلم تظفر نفسه المتألمة بشفائها ولا زال عنها ما خامرها من أدوائها عما اعتمده من طرق دوائها وان استسقاء عيسى ماء المشورة واستنزاله من سحائب سمائها واستضاءته بنور مشكاتها في دجى الحيرة وظلماتها أروى صداه وأهدى اليه هداه فجرت الاقدار بسلامة نفسه وبقائها وقلما رغب في المشورة أحد وعمل بها الا غنم ولا زهد فيها وأعرض عن قبولها الا ندم

﴿حكاية عن فوائد المشورة﴾

بلغني ان أمير المؤمنين محمد الامين لما قصده عبد الله بن طاهر بعساكر المأمون وحصر ببغداد واشتد عليه الامر وضاق بين يديه المسالك الى النجاة قال من استشار ذا رأي ومعرفة وخالفه وقع فيما يكره وندم على التفريط فانه لما حصل عندي من أخي حاله أحضرت الشيخ أبا الحسن القطيفي وكان ذا رأي ومعرفة بموارد الحوادث ومصادرها فحادثته في أخي المأمون وما الذي أعتمده حتى يقع في يدي وأطلعته على حقيقة الحال واستشرته في كيفية العمل في ذلك فقال لي ان استعجلت لم تنتفع

ملكا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه
عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه الى أعمامه اخوة عبد الله
ليقيدوه به ويقتلوه قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال
عيسى فلما أخذت عمى وأفكرت فى قتله رأيت من الرأى ان أشاور فى قضيته من
له رأى عسى ان أصيب الصواب فيها فاحضرت يونس بن فروة الكاتب وكان
لى حسن ظن فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين سلم الى
عمه وأمرنى بقتله واخفاء أمره فما رأيك فيه وما تشير على به فقال لى يونس أيها
الامير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فانى أرى لك أن تدخله الى مكان
داخل دارك وتكتم أمره عن كل من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه
اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وتجعل بين كل من هو من بطانتك وبين المعرفة بهذه
الحال حجابا واظهر لامير المؤمنين انك أنفذت أمره وانتهيت الى العمل بطاعته
فكأنى به اذا تحقق انك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤس
الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره أنكر أمره لك وواخذك بقتله وقتلك به
قال عيسى بن موسى ففعلت مشورة يونس وعملت بها وأدخلت عمى الى خزانة فى
داخل دارى وأفردت له موضعا وتركت عنده ما يأكله ويشربه أياما
وأغلقت عليه أبوابا وأقفالا وجعلت مفاتيحها معى وأظهرت لامير المؤمنين انى
نفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه انى قتلت عمه
عبد الله أتاه أعمامه يهنئونه ويستوهبونه وأطمعهم فى اجابتهم فجاؤا اليه وقد
جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه فى عبد الله فقال نعم حقوقكم تقتضى
اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو فى مقام الوالد ثم أمر
باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجى
الى الحج عبد الله عمى وعمك ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى قال عيسى قد
فعلت يا أمير المؤمنين فقال قد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء
حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فأت به قال عيسى بن موسى فقلت يا أمير
المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة الى ذلك فقال المنصور كذبت ما أمرتك بذلك ولو
أردت قتله لسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد اعترف
أقر بقتل اخيكم مدعيا انى أمرته بذلك وقد كذب على قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه

أصدرناعن رأيه ومشورته فى ألف عازم وجدير بألف حازم أن يصيبوا * وقد قيل (شعر)

اذا ما عرى خطب بدر سوورده * فشاور فكم نجح هدته المشاوره
وأنفع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بعدها من تشاوره

﴿خاتمة لهذا الباب فى الحكم المفردة والالفاظ المنقولة﴾

(منها) لا معين أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل فالمشورة نعوة العزم وتصحح النجح وتوضح الحق وترشد الى الاصابة وتبسط العذر وتخرج من مواقف الندامة والعقل يهدى صاحبه الى احد أمور المشورة (ومنها) من استشار ذوى الرأى والمعرفة فى فعل ما عناه فعمل المشور بهم واقتدى بآرائهم فيها ولم يعدل عنها وعن قويم نهجها قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطلبه فان أعجزه ادراكه فهو معذور غير ملوم (ومنها) من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار هدفا لسهام الملام ومن شفة فى أفواه الناس (ومنها) من فضل المشورة انها تكشف لك طباع الرجل فمتى طلبت اختبار رجل شاوره فى أمر من الامور يظهر لك من رأيه وفكره وعدله وجوره وخيره وشره (ومنها) من أكثر الاستشارة لم يعدم عند الاصابة مادحا وعند الخطا عاذرا

﴿الباب الخامس فى الانصاف والعدل فى الرعية والظلم والاجحاف فى البرية﴾

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية وقبل الشروع فى مقصود هذا الباب وكشف الغطاء عن وجه المطلوب فيه لا بد من الاشارة الى معنى هذه الآية الجامعة لهذه الاصناف الجميلة والخلال الحميدة * فأقول نقل عن قتادة رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى أمر عباده فى هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفساف الاخلاق ودناءتها وقال ايضا انه ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه الا أمر الله تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يتعاورونه بينهم الا نهى الله عنه * وبلغنى ان الشعبى قال جاء شتر ومسروق فقال شتر اما ان تحدث ما سمعت من عبد الله ... فأصدقك واما ان أحدث فتصدقنى فقال مسروق لا بل حدث ... سمعت عبد الله يقول ان أجمع آية فى القرآن لخير أو شر فى ... الاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء ...

برأى وقد ... بأن نهيت وقبلت مشورتى وعملت بما أشار
وبلغت ما تأمله وذلك انك تدعو دهاقين خراسان اذا قدموا ... لهم مجلسا
عاما وتقول لهم ان أخى كتب الى بمدحكم وبذكر حسن طاعتكم وجميل انقيادكم
وحميد مذاهبكم وبجزيهم خيرا ثم تقول لهم قد أطلقت عنكم الخراج سنة واحدة فى
خراسان وهى بلاد رجال بالامال ... له فى رد ذلك حيلة وسيناله من ذلك خلل
عظيم ثم ينتقض عليه أكثر أمره ثم تفعل فى السنة المقبلة مثل ذلك وتسقط عنهم خراج
سنتين فان لم يمت فى السنة الثالثة بأخبث فى وثاق والافاضرب عنقى اذا كنت حيا
فخالف الفضل وما قبلت مشورته وعجل الى خلع المأمون وعقدت الامر لابنى حتى وقع
ما وقع فمن خالف المشير ندم على التقصير (قيل ما معناه) ان بعض صدور العراق
كان له رواء وروية ومكانة من ذى الخلافة علية وعليه من ملابس النباهة حلة
سنية وتحمله من الولاية مطية وطية فقوت اليه الايام من حوادثها ... وأقامت
له من الحاسدين القاصدين خصما فأبرم له حبل احتياله ليسومه باغيا له ظلما
وهضما وكان قد علم ان التوفيق عهد بالاستشارة لكن فنسى ولم ... رما
فأعرض عن الاستشارة فيما عراه استكبارا ولم يرض لنفسه أن تلك فى امره
مستشارا وأهواه ... عن مهواه الحيرة عثارا ولم يجد له على دفع ما كاده به الحاسد
القاصد انصارا قال فخشيت ظهور المرامى لاسهم الرامى وضاقت عليه فى المدافعة
فسيحات المرامى فأغفيت اغفاءة فرأيت فى منامى انسانا واقفا أمامى وهو يقول لى
عليك بشعر الازدى فقلت وما قال الازدى فقال قوله

تمسك بآداب المشورة واستعن ¤ بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ¤ فريش الخوافى قوة للقوادم

فاستيقظت وقد سمعت البيتين فسألت عنهما لمن هما فأخبرت انهما للعجاج
الازدى كما قال لى ذلك القائل فعملت بهما وشاورت فيما حدث لى واعتمدت العمل
بالمشورة فاندفع عنى ما كنت أتوقعه من الاذى المردى والتلف المتوقع فعاهدت
الله تعالى بعدها أن لا أترك مشاورة أهل الرأى وذوى المعرفة فى جميع ما يعرض
لى ولزمت ذلك فربحت واسترحت (قيل) لرجل من عبس ما أكثر صوابكم فى
مباشرة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه قال نحن ألف رجل وفينا رجل واحد
حازم ذو رأى ومعرفة فنحن نشاوره فى الجليل والحقير ونعمل برأيه فكأننا اذا

اسمها مثل عمل جملة الرعية وقال صلى الله عليه وسلم حد يقام في الارض خير من أن تمطر أربعين صباحا وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا وروي بلفظ آخر ان المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد ولاه الله تعالى أمر رعية فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال يتعدى الحدود وقد قيل ان الملك يدوم مع العدل وان كان صاحبه كافرا ولا يدوم مع الظلم وان كان صاحبه مؤمنا وكان كسرى أنوشروان يسمى بالملك العادل ويكفيه في الشرف والفخر وعلو الذكر والقدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حيث قال ولدت في زمن الملك العادل ولما قيل لكسرى بماذا استحق الملك هذه الصفة قال لاني جعلت العدل أكبر همي وحملني عليه قول الحكيم الفاضل لا ملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد * وقد نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في هذا المقام ما هو أفصح وضعا وأعظم وقعا وأتم نفعا وأبلغ لانواع البلاغة والفصاحة جمعا وهو قوله العالم حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان تجب لها الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس قوام العالم .

﴿ اعتبار واستبصار في العدل ﴾

بلغني ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة كتب الى الحسن البصري أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق الحازم الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المراعي ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر والامام العادل يا أمير المؤمنين كالاب الحاني على ولده يسعى لهم

والمنكر والبغي قال مسروق صدقت وقال ابن عباس رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالسا اذ مر به عثمان بن مظعون فكشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجلس فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله فبينا هو يحدثه اذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره الى السماء فنظر ساعة وأخذ يضع بصره حتى وضعه عن يمينه في الارض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه حتى كأنه يستفقه ما يقول له ثم شخص رسول الله ببصره الى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى بالسماء فأقبل على عثمان كجلسته الاولى فقال عثمان يا محمد قد كنت أجالسك وآتيك فما رأيتك فعل فعلتك هذه قال وما رأيتني فعلت قال رأيتك قد شخص بصرك الى السماء ثم وضعته عن يمينك فتحرفت اليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيأ يقال لك قال أوفطنت الى ذلك قال عثمان نعم قال أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا وأنت جالس قال عثمان رسول الله أتاك قال نعم قال فما قال لك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي وأحببت محمدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على الوليد وكان كبيرا في قريش فقال له يا ابن أخي أعد علي فأعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمورق وما هو بقول البشر والمراد بالعدل الانصاف فلا تفعل الا ما هو عدل ونصفة والمراد بالاحسان العفو عن الناس واسداء المعروف والمراد بايتاء ذي القربى صلة الرحم فلا تقطعها والمراد بالنهي عن الفحشاء ما قبح من الافعال والاقوال وبالمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وبالبغي الظلم والعدوان وفي هذه الآية مقنع في فضل العدل وعلو درجته وكمال منقبته والحث على اجتهاد الانسان في التحلي بصفته وقال سبحانه وتعالى واذا قلتم فاعدلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان يوما يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى

ثم جاء الرسول فى ذلك الوقت فرآه نائما فى الشمس على الأرض فوق التراب وقد وضع درته كالمخدة له والعرق يسقط من جبينه فلما رآه الرسول على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الأرض لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم لا يزال خائفا ساهرا أشهد أن دينكم لدين الحق ولولا أنى رسول لأسلمت ولكنى سأعود بعد هذا وأسلم * وقد قيل من سعادة الملك محبته للعدل ومن علامة محبته للعدل مخالطته لأهل العلم ذوى الدين ورغبته فى محادثتهم لبذكروه بما يجب عليه من العدل الذى هو سعادته فى الآخرة ودوام ملكه فى الدنيا وحسن سمعته فى العالم ومما يقرب البعيد بيان الأنس بالدعاء له كما نقل عن أمير المؤمنين هرون الرشيد أنه أحب أن يرى شقيقا البلخى رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له أنت شقيق الزاهد قال أنا شقيق ولست بزاهد فقال أوصنى قال عليك بالعدل فإنه أول ما يطالبك الله به واعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى أجلسك فى موضع أبى بكر الصديق وهو يطالبك بالصدق مثل صدقه وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطالب منك أن تفرق بين الحق والباطل وأحلك محل عثمان بن عفان وهو يطالب منك مثل قيامه فى الرعية وأقعدك موضع على ابن أبى طالب وهو يطالب منك العدل والعمل به كما يطالب منه فانظر لنفسك يا أمير المؤمنين قال الرشيد انتفعت بكلامه ورسخ فى نفسى منه ما نفعنى الله به وقد بلغنى أنه قيل لبزرجمهر الفرس ما الذى أوجب لملوككم انتظام الأمور ودوام السرور فقال ما سمعناه أنا استعملنا العدل والإنصاف فعمرت بلادنا واستعملنا تأديب الخائن وتقريب المشفق الأمين فما ملكنا واستعملنا الإحسان الى رعايانا فملكنا قلوبهم واستعملنا الصدق فدانت لنا ملوك الأطراف واستعملنا مكارم الأخلاق فاكتسبنا حسن السمعة وبقاء الذكر ولم يخلف علينا من نكره خلافه لنا فاستقامت لذلك أمورنا وتم سرورنا ولقد دل على المعنى المرتبط بهذا القول الوجيز ومن استعمل ذلك فقد أسعده بتوفيقه ولكن التوفيق عزيز

﴿اعتبار نافع وتذكار جامع﴾

قرع المسامع أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما آل أمر الخلافة اليه بذل جهده فى إقامة العدل واستعمال القسط ودحض الظلم ومعاملة العالم بالإنصاف

صغاراو يعلمهم كباراو يكسب لهم في حياته ويذخر لهم بعد وفاته والامام العادل يا أمير المؤمنين كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر لسهره وتسكن لسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى تفرح لعافيته وتغتم لشكايته والامام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده والامام العادل هو القائم بين الله و بين عباده يسمع كلام الله و يسمعهم وينظر الى الله و يريهم و ينقاد لله و يقودهم اليه ولا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وأهلك ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها وان انه تعالى أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم قال ناقل هذه المقالة فلما قدم كتاب الحسن البصري على عمر بن عبد العزيز وقع منه بموقع وعظه ومحل يقظه

ومن ذلك ما تداول الالسنة على طول الازمنة

قولهم عدل السلطان يقوم مقام خصب الزمان زعمت الفرس ان فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور كان ملكا عادلا واتفق ان الناس قحطوا في زمانه سنوات متوالية حتى غارت الانهار والعيون وقحلت الاشجار والغياض وهلكت جملة من الوحوش والطيور وصارت الدواب والانعام لا تطيق حمولة لشدة القحط وقلة القوت فبسط من احسانه ونشر من آثار عدله وكف عن جباية الحقوق واستخراج الخراج والمستخفات وأخرج من بيوت الاموال ما فرقه وأمر باخراج ما في الاهراء والمطامير من الغلال والطعام وترك الاستئثار به وساوى في ذلك بين غنيهم وفقيرهم واخبر رعاياه انه متى بلغه ان انسانا مات جوعا عاقب أهل تلك المدينة ونكل بهم فقيل انه لم يمت في تلك المجاعة العظيمة الا رجل واحد من كورة ازدشير فقام عدله في الرعية مقام الخصب حتى جاء الخصب وعادت السعة ورعاياه على ما يؤثرون وقد كان يوصي عماله فيقول سوسوا الناس بالمعدلة واحملوهم على النصفة واحذروا أن تلبسوا جلودهم أو تطعموا لحومهم أو تسفكوا دماءهم وقيل ان قيصر ملك الروم سير رسولا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليشاهد أحواله و يكتشف أفعاله و يسمع [illegible] فلما وصل الرسول الى المدينة قال لاهلها أين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة

قال و[illegible] ملك [illegible] أمورا [illegible] عند انتهت بطول لسانك
[illegible] قال في ضيعتي العلانية أخذتها وكذلك
[illegible] بغير حق [illegible] اخراجها باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها
فيبطل [illegible] الخراج إذا أدى خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم
[illegible] فقال له الرجل أيؤمنني الوزير
من غضبه حتى [illegible] قال نعم قد [illegible] البينة هم الشهود وإذا شهدوا فليس
يحتاج معهم إلى بينة أخرى [illegible] وشهودي أشياء [illegible] هذه الأشياء الا أني
بالحصر والنظر بعد ذلك عن العدل [illegible] والصدق والسلام
مؤكد بالنطق وإني أرى [illegible] ثم دفع له برد ضيعته وأن يطلق له كذا حنطة
وكذا شعيرا [illegible] أصحابه وكان قبل أن
يتوصل إلى الإنصاف [illegible] كيف الناس يقول بشر بين
[illegible] أصحاب عبد الملك ورد عليه ضيعته
قال [illegible] كيف [illegible] الإنصاف ودفع عنهم
الجائر [illegible] وكشف عنهم الكروب وأنا أرجوا هم ببقائك
[illegible] كل مرغوب

(قيل) ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان ابن
هرمز نائبك قد ظلمني [illegible] فلم يقض حاجته ثم عاد
ووقف له [illegible] فقال اليهودي يا أمير
المؤمنين انا نجد في التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكا في ظلم
أحد ولا جوره حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ولم يغيره [illegible] شريكه في الظلم والجور فلما سمع
عبد الملك قوله [illegible] وأنفذ في الحال الى هرمز وعزله وأخذ بحق اليهودي منه

ومن الوقائع المستحسنات ما رواه [illegible] الضبي قال كنت أقوم على رأس
سليمان بن عبد الملك [illegible] من حضرموت [illegible] فقال له سليمان
تكلم بحاجتك فقال [illegible] كلامه [illegible] وحسن الارادة
أوفى كلامه [illegible] السلامة وإني أعوذ بالله [illegible] من أملي [illegible]
أن ينطقني بغير الحق وان يذل لساني بما فيه سخط علي وان اقصار الخطبة أبلغ
في أفئدة أولي الفهم من الإطالة والتشديق في البلاغة ألا وان من البلاغة يا أمير
المؤمنين ما يفهم وان قل واني مقتصر على الاقتصار مجانب لكثير من الاكثار

إذ كتب إليه عدي بن أرطاة كتاباً مختصراً مضمونه أما بعد فإن قبلنا ناساً لا يؤدون ما في ذمتهم من الخراج الا أن يمسهم شيء من العذاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك اياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله تعالى أو كأن رضائي ينجيك من سخط الله تعالى فاذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً فاقبله ومن أنكر ما قبله فاستحلفه فوالله لأن نلقى الله تعالى بخياناتهم أحب الي من أن نلقى الله بعذابهم

﴿لطيفة عن شر الجور﴾

ونقلت الرواة الثقات والنقلة الاثبات ان مالك بن أنس امام دار الهجرة رضي الله عنه قال بعث الي أبو جعفر المنصور والى ابن طاوس فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادزهم بأيديهم السيوف اضرب رقاب الناس فأومأ الينا بالجلوس وأطرق عنا طويلا ثم التفت الى ابن طاوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فادخل عليه الجور في عدله قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن يملأني دمه ثم التفت اليه أبو جعفر فقال عظني يا ابن طاوس قال نعم أما سمعت الله يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد الى قوله لبالمرصاد قال مالك فضممت ثيابي أيضاً مخافة أن يملأني دمه فأمسك المنصور ساعة ثم قال يا ابن طاوس ناولني الدواة فأمسك ابن طاوس ولم يناوله اياها وهي في يده فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخشى ان تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك المنصور قال قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس عدها فضله ، وقد يما قيل مما نسب الى سقراط الحكيم ينبوع فرح الانسان وحفظ بدنه القلب المعتدل وينبوع فرح العالم وحفظه السلطان العادل وينبوع حزن الانسان القلب المختلف المزاج وينبوع حزن العالم وفساده السلطان الجائر

﴿نادرة﴾

روى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوماً فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالساً فقال ألك حاجة قال نعم تدنيني اليك فاني مظلوم قد أعوزني العدل والانصاف قال من ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتي

حتى يزيل الاعتراض عن الضيعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقدس أمة لا يؤخذ للضعيف حقه من القوي وهو غير متعتع وتقدم بالكتاب له وعرف الطحاوي الحال من الحاضرين فذهب الى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة وصارت هذه تتلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل واقامة ميزان القسط وكان من محبته للعدل واقامته وتأييده الحق وسلوك طريقته يميل الى كل من كان ذلك من صفته ويقرب اليه من علم التحقيق من خليقته حتى انه في بعض الايام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال الى حضرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه العدول بحيث يشهدون على القاضي فكتب القاضي خطه وخطوطهم وقد عاينوا المال وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار فلما بلغ الكتاب الى سلم وهو بعض الشهود ألقاه الى الخادم من يده وقال أيها الامير لست أشهد حتى يوزن المال بحضرتي فغاظه ذلك منه ثم تأخر الانفاذ ثم قال للوزان بين يديه زنوه فلما وزنوا من ورقه قالوا اشهد فقال بقي لي العدد فدعا بالنقاد فنقده وسلم جالس معهم حتى فرغ وختمت الاكياس وسلمها لحاملها فكتب شهادته وانصرف فقال ابن طولون مثل هذا ينبغي أن يعتمد عليه ويمال اليه فان من لا دين له لا أمانة له ومن لا أمانة فيه حدير بالابعاد وأن لا يولى شيأ من أمور المسلمين وكانت هذه الحالة سببا لتقريبه لسلم واعتماده عليه وتفويض أموره اليه

﴿عجيبة عن عدل عمر بن الخطاب﴾

ومما تضمنته أخبار الاخيار ما رواه أنس قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر لقد عذت بمجيب فما شأنك قال سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشي ان آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه وهذا حين اتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فقدم عمرو فشهد الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس واقد ضربه ونحن نشتهي

أشخصني اليك سؤال عسوف ورعية ضائعة واليك ان يحل تداركك بما فات وان تقصر تهلك رعيتك هنالك ضياعا فخذها اليك قصيرة موجزة فقال سليمان لمحمد بن داود ادع رجلا من الحرس فاحمله على البريد وقل له اذا اتيت البلاد فلا تنزل منزلك حتى تعزله ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه ثم أمر لذلك الرجل بمال فأبى أن يقبله وقال اني احتسبت سفري هذا على الله يا أمير المؤمنين واني أكره أن آخذ عليه أجرا من غيره فقال له سليمان انطلق بارك الله فيك وكثر لنا امثالك يوقظني لاقامة العدل من أمثالك فلما ولى الرجل خارجا قال سليمان لاصحابه ما أعظم بركة الرحمن في كل شيء

﴿ نقبسة عن عدل ابن طولون ﴾

ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية تؤثر في النفس الزكية سمعها وتحسن عند ذوي المروءة والتوفيق وقعها وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية نافذ الحكم فيها مهيبا مخوفا يقوم بسياسة الملك ويعلي كلمة العدل ويأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجبروت المفرط والقتل المسرف وكان يجلس للمظالم ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجماعة من الفقهاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعي وكان ابن طولون اذا جلس للظالم يمكن المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ويكشف ظلامته ويجلسه بين يديه مقربا اليه قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدي سلامة فاحتجت الى الدخول اليه والتظلم مما جرى لي وانا يومئذ شاب الا أن العلم والمعرفة بالحاضرين بسطني على الكلام والتمكن من الحجة فخاطبته في أمر الضيعة واحتج علي بحجج كثيرة وأجبته عنها بما لزمه الرجوع اليه ثم ناظرني مناظرة الخصوم بغير انتهار ولا سطوة علي وأنا أجيبه وأحل حججه الى أن وقف ولم يبق له حجة فامسك عني ساعة ثم قال لي الى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك والحجة قد ظهرت لك ولكن أجلنا ثلاثة أيام فان ظهرت له حجة والا سلمت الضيعة اليك فقمت منصرفا فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين ما اقبح ما أشهدتكم على نفسي أقول لرجل من رعيتي ظهرت لك حجة اجلني ثلاثة أيام الى أن أطلب حجة وأبطل الحكم الذي قد أوجبته حجته من يمنعني اذا وجبت لي حجة أن أحضره وألزمه ما يا هذا والله الغضب وأنتم رسلي اليه باني قد الزمت

[illegible] الأموات على

[illegible] الثاني تداركه

الله بلطفه ورحمته [illegible]

وعرفني [illegible] حياته

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصدق والأصالة [illegible]

[illegible] بالصدق والإصابة [illegible]

[illegible] أبو بكر رضي الله عنه

[illegible]

[illegible]

[illegible] تم [illegible]

[illegible] أخوه [illegible]

[illegible]

[illegible] أحمد بن [illegible]

[illegible] في الدار

على أنه [illegible] أمير

المؤمنين [illegible] فقال [illegible] ساعة [illegible] حضر

[illegible] أحضروا الساعة فحضر

[illegible] كذا وكذا

[illegible] قال في أي شيء قال [illegible] رجل من

أهل الجبل وكان يقال له [illegible]

[illegible] الجمال [illegible]

فضربني [illegible] وقال أنت سرقت الجمل وما [illegible]

إلا كراء [illegible] ثم قيدني وطرحني في الحبس وأخذ الجمال

أن نضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ننزع من كثرة ما نضربه وعمر يقول اضرب ابن
الأكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلعة عمرو
فقال يا أمير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت لما منعك أحد
حتى تكون أنت الذي تنزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارا فجعل يعتذر ويقول إني لم أشعر بهذا فينبغي لمن كان واليا أن يكف يده عن
الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل بالصدق ويراقب الله تعالى في الأمر والولاية
ويعلم أن الله سبحانه وتعالى مجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم

﴿حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة﴾

ومما نقل من الآثار الإسرائيلية في زمن موسى عليه السلام أن رجلا من ضعفاء بني
إسرائيل كانت له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقيت منه أطفاله وزوجته
خرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها فأخذها ومضى إلى السوق
يبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض الأعوان فرأى السمكة معه
فأخذها منه فمنعه الصياد فرفع خشبة كانت في يده فضرب بها على رأس الصياد
ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال إلهي
جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي حقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي إلى
الآخرة ثم إن الغاصب انطلق بالسمكة إلى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها
وضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزت إصبعه
نكزة أطارت بها قراره فنام وشكا إلى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآه قال
دواؤها أن تقطع الإصبع لئلا يسري إلى بقية الكف فقطع إصبعه فانتقل الوجع
الشديد إلى اليد وزاد الألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن
تقطع اليد من المعصم لئلا يسري إلى الساعد فقطعها فانتقل الألم إلى الساعد فما
زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم إلى الذي يليه فخرج هائما على وجهه
مستغيثا إلى ربه ليكشف عنه ما قد نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم فنام
تحتها فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين إلى كم تقطع أعضاءك امض إلى
خصمك الذي ظلمته وأرضه فانتبه من النوم وفكر في أمره وقال ضربت الصياد
أخذت السمكة منه غصبا ولعلها هي التي نكزت يدي فصاحبها خصمي فدخل
المدينة وسأل عنه فوجده فوقع بين يديه والتمس منه الإقالة مما جناه ودفع إليه شيئا

الشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر
فطمعت فيه واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها
وطرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى بيتي لئلا يفشو الخبر علي فعملت على
الهرب والانحدار الى واسط وصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين
وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء الخدم وحملوني فقال وأين الحلي والسلب قال
في صدر السفينة تحت البواري فقال المعتضد علي به الساعة فمضوا وأحضروه فقال
خذوا الملاح الساعة وغرقوه ففعل به ذلك ثم أمر أن ينادى ببغداد كلها على امرأة
خرجت الى الشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب وحلي فيحضر من يعرفها ويعطي
صفة ما كان عليها وأخذه فقد تلفت المرأة فحضر في اليوم الثاني أهلها فأعطوا
صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم بعد أن علم استحقاقهم قال فقلت يا مولاي
أوحي اليك بهذه الحالة فقال رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية
والثياب وهو ينادي يا أحمد خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن
المرأة التي قتلها اليوم وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ما شاهدتم

﴿حكاية عجيبة عن عدل الخليفة المعتضد بالله﴾

وله قصة مع بعض أتراك الامراء تشهد له برغبته في العدل والانصاف واستقادته من
ذوي الظلم والاعتساف وهو ما حدثه القاضي أبو الحسين محمد بن عبد الواحد
الهاشمي ان شيخا من التجار كان له على بعض القواد مال جليل فطاله به مدة وجحده
واستخف به قال وجملت على التظلم منه الى المعتضد بالله لاني كنت استشفعت اليه
وتظلمت الى الوزير فما نفعني فقال لي بعض اخواني أنا أدلك على من يأخذ لك المال ولا
تحتاج الى ان تتظلم الى المعتضد فقم معي فقمت معه فجاء بي الى رجل خياط في سوق
الثلاثاء وهو جالس في مسجد يخيط ويقرأ القرآن فقص عليه صاحبي قصتي فقام
معنا فلما صار بباب الرجل وكنت قد تأخرت عنه وقلت لصديقي انك قد عرضتنا
ونفسك وهذا الشيخ الى مكروه فقال لا تخف وامش على بركة الله تعالى قلت انه لم
يفكر في شفاعة أحد من الكبراء ولا في كلام الوزراء فضحك الرجل وقال لا عليك
امش واسكت فلما رأونا غلمان الرجل تلقوا الشيخ فقبلوا يده والارض فمنعهم فقالوا
ما جاء بالشيخ فسألهم عن صاحبهم فقالوا هو راكب فان كنت آمرا فأمرنا بفعله
نبادر اليه والا فادخل واجلس الى حين وروده فدخل ودخلنا وجاء الرجل فلما رأى

فقال لبعض الخدم امض الساعة الى فلان الامير فاقعد على دماءه ولا تبرح الى أن ترد جمال هذا أو قيمته وقال للخادم ادفع الى هذا كذا وكذا دينارا او كسوة جميلة وأدخله الحمام وأطعمه ثم قال لصاحب الشرطة فى حبسك فلان بن فلان الحداد قال نعم قال هاته فأحضره فقال ما قصتك قال حبست ظلما وقص عليه قصة طويلة فقال للخادم خذه وغير من حاله وادخل به الحمام وأطعمه واكسه وأعطه كذا وكذا دينارا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذى وفقنى لهذا الفعل قال أحمد بن حمدون فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر فى هذه الساعة بنفسه فى مثل هذا الامر وانزعج من نومه فقال لى ويحك رأيت الساعة رجلا من صفته كذا وكذا فقال فى حبسك رجلان مظلومان قال لاحدهما فلان بن فلان الجمال وللآخر فلان بن فلان الحداد فأطلقهما وأنصفهما من خصومهما وأحسن اليهما فانتبهت مذعورا فلعنت ابليس وصليت على النبى صلى الله عليه وسلم وتحولت الى الجانب الآخر ونمت فما استلقيت حتى رأيت الشخص بعينه فقال أتركك أن تطلق رجلين مظلومين فى حبسك ولا تفعل وكاد يمد يده الى فقلت من أنت قال أنا محمد رسول الله وكأنى قد قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك فقال قم فعجل فى أمرهما الساعة فانتبهت وفعلت ما رأيت وكان هذا ببركة حبه العدل وقيامه باقامة الحق والحكم والفصل وكذلك ابن أخيه المعتضد لما ولى من بعده بذل فى العدل غاية جهده وقصد فى سلوك حد الانصاف أعز قصده فأيده الله تعالى فى كشف القضايا باقامة الحق فيها بعناية من عنده فقد رسخ فى الاذهان ما سطره الرواة فى منقولاتهم ورواه الثقات فى معقولاتهم

(نادرة) وهو ما أخبر به أبو محمد الحسين بن محمد الصلحى قال أخبرنى أحد خدام الخليفة المعتضد بالله المختصين به قال كنت حوالى سريره ذات يوم نصف النهار وقد نام بعد ان أكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وجيئونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سميرية منحدرا وهى فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بالسميرية واصعدناه اليه فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والا ضربت عنقك قال فتلعثم وقال نعم كنت اليوم فى

الذى قد أذن الساعة ففزعت وسكت ثم قلت أكلمهم لعلى أستعين بهم على خروج
المرأة فصحت من المنارة أنا أذنت فقالوا انزل وأجب أمير المؤمنين فقلت جاء
الفرج ونزلت فاذا ببدر الحرمى وعدة من الغلمان معه فحملنى وأدخلنى على
المعتضد بالله فلما رآنى ورأيته هبته وارتعدت فلما سكن روعى قال ما حملك على
أن تغر المسلمين بأذانك فى غير وقته فتخرج ذووا الحاجة فى غير حينها ويمسك المريد
للصوم فى وقت أبيح له فيه الاكل وينقطع العسس عن الحرس فقلت يؤمننى أمير
المؤمنين لاصدقه قال أنت آمن فقصصت عليه قصتى وقصة التركى وأريته الآثار
فى فقال يا بدر على بالغلام التركى والمرأة الساعة فجاء بهما فسأل المرأة فأخبرته
بمثل ما ذكرت فقال يا بدر بادر بها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها عليه ويشرح
لزوجها القصة ويأمره عنى بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعانى وجعل
يخاطب الغلام التركى وأنا أسمع فقال له كم جرايتك قال كذا وكذا قال كم صلتك
قال كذا وكذا فقال كم لك من جارية قال كذا وكذا قال ما كان لك من صبر وأنت
فى هذه النعمة عن ارتكاب القبيح وسعادى الله عز وجل وهيبة سلطاننا واعتماد الظلم
والعدوان حتى استعملت ما استعملت ثم تجاوزت الى الوثوب على من أمرك
بالمعروف قال فسقط فى يد الغلام ولم يدر ما يقول فقال هاتوا جوالق ومداق
الجص وقيودا فقيدوه وأدخلوه الجوالق وأمر الفراشين أن يدقوه بالمداق وهو
يصيح حتى مات فأمر به فغرق فى الدجلة وتقدم الى بدر بحمل ما فى داره ثم قال أى شئ
رأيت من أجناس المنكر فانكره صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا وأومأ بيده الى
بدر وان جرى عليك شئ ولم يقبل منك فالعلامة بيننا الاذان فى ذلك الوقت فدعوت
وانصرفت فانتشر الخبر فى الغلمان والاولياء والبلد فما خاطبت أحدا بعد ما جرى
فى انصاف أحد أو كف عن قبيح الا أطاعنى وكف خوفا من المعتضد وما
احتجت الى الآن ان أؤذن فى ذلك الوقت

﴿شفاء وموعظة وأشياء موقظة﴾

وقيل من لم يصن نفسه عن اتباع هواها ولا يخوفها عاقبة رداها ولا يصرف زمامها
عن تقواها ساقته الى قرارة عطب لا نجاة لمن رآها وزينت له ارتكاب ما يظلم به
نفسه فكيف لا يظلم سواها فسبيل من أيقظه الله من رقدة هواه وأفاض عليه من
أنوار هداه أن يعتبر بعاقبة من أوثقه الظلم فأرداه ويعلم ان الظالم يؤاخذ بظلمه

الخياط أعظمه اعظاما تاما وقال لا أبرح أو تأمرني بأمرك فخاطبته في أمري
فقال والله ما عندي الا خمسة آلاف درهم فسله أخذها وأنظرني بعدها حتى أوفي
له الى شهر واحد فقلت السمع والطاعة فأحضر الدراهم وأحضر عليها عينه زيادة
على الباقي فقبضت ذلك وأشهدت عليه الخياط وصديقي بان الرهن على البقية الى
شهر واحد فان جاوز الاجل فأنا وكيل في بيع الحلي لايفاء الباقي فشهدا عليه بذلك
وخرجنا فلما بلغنا الى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت له ايها الشيخ ان الله
قد رد علي هذا المال ببركتك وأحب أن تأخذ نصفه أو ثلثه بطيب من نفسي فقال
لي يا هذا ما أسرع ما كافيتنا بالقبيح انصرف بمالك فما أحتاج الى شيء منه وقد بقيت
لي حاجة قال قل قلت تخبرني بسبب طاعة هذا الرجل التركي لك وهيبته لك [illegible] قال
يا هذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي وما أعيش منه فألححت عليه فقال
اعلم اني رجل أؤذن وأؤم الناس من سنين كثيرة ومعاشي من الخياطة لا أعرف
غيره فكنت من مدة قد صليت المغرب وخرجت أريد بيتي فاجتزت بتركي كان في
هذه الدار وأومأ الى دار تجاه المسجد وامرأة جميلة مجتازة فتعلق بها وهو سكران
ليدخلها الى داره وهي تستغيث وليس احد يغيثها ولا يمنعه منها وتقول في جملة
كلامها ان زوجي حلف علي بالطلاق أن لا أبيت الا عنده فان عوقني هذا خرب
بيتي مع ما أرتكبه من المعصية فجئت الى التركي ووقفت عنده وسألته تركها
فضرب رأسي بدبوس كان في يده فشجني وأدخل المرأة داره فصرت الى منزلي
وغسلت الدم وشددت الشجة واسترحت وخرجت أصلي العشاء فلما فرغنا منها
قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا التركي نهجم عليه ولا نبرح حتى نخرج
المرأة فصحنا به فخرج في عدة من غلمانه فأوقع بنا وقصدني من بين الجماعة فضربني
ضربا شديدا كدت أتلف منه فحملني الجيران الى منزلي كالتالف فعالجني أهلي
ونمت قليلا وأفقت قبل نصف الليل وما جاءني النوم من شدة الألم والفكر في
القصة وقلت هذا قد شرب الى الآن ولا يعرف الاوقات فلو قمت وأذنت لوقع في ظنه
أنه قد طلع الفجر فاطلق المرأة ومضت الى بيتها في الليل فخرجت الى المسجد
متحاملا وصعدت الى المنارة وأذنت وجلست أتطلع الى الطريق أرتقب خروج
المرأة فان خرجت والا أقمت الصلاة لئلا يشك في الصباح فيخرجها فما مضت الا ساعة
والمرأة عنده واذا بالشارع قد امتلأ رجالا وخيلا ومشاعل وهم يقولون من هذا

الذي

ومزدجرا بالاتفاق قصة عبد الله بن مروان مع ملك النوبة على ما ذكره سليمان بن أبي
جعفر قال كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده جماعة فتذاكروا زوال ملك
بني أمية فقال بعضهم يا أمير المؤمنين في حبسك عبد الله بن مروان بن محمد وقد كانت
له قصة عجيبة مع ملك النوبة فابعث اليه واسأله عنها فقال المنصور يا مسيب علي
به فأخرج الرجل وهو مقيد بقيد ثقيل وغل ثقيل فمثل بين يديه وقال السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له يا عبد الله رد السلام أمن ولم تسمح نفسي
لك بذلك بعد ولكن اقعد فجاؤا بوسادة فثنيت وقعد عليها فقال له بلغني انه كان لك
قصة عجيبة مع ملك النوبة فما هي قال يا أمير المؤمنين والذي أكرمك بالخلافة
ما أقدر على التنفس من ثقل الحديد ولقد صدئ قيدي من رشاش البول وصب الماء
عليه في أوقات الصلوات فقال المنصور يا مسيب أطلق عنه قيده ثم قال نعم يا أمير
المؤمنين لما قصد عبد الله بن علي عم أمير المؤمنين الينا كنت أنا المطلوب أكثر من
الجماعة لاني كنت ولي عهد أبي من بعده فدخلت الى خزانة لنا فاستخرجت منها عشرة
آلاف دينار ثم دعوت عشرة من غلماني وحملت كل واحد على دابة ودفعت اليه
ألف دينار وأوقرت خمسة أبغال مما أحتاجه وشددت على وسطي جوهرا له
قيمة مع شيء من الذهب وخرجت هاربا الى بلد النوبة فسرت فيها ثلاثا فوقعت
الى مدينة خراب فأمرت الغلمان فعدلوا اليها فكسحوا منها ما كان قذرا ثم
فرشوا بعض تلك الفرش ودعوت غلاما لي كنت أثق به وبعقله فقلت انطلق الى
الملك واقرأه مني السلام وخذ لي منه الامان وابتع لي ميرة قال فمضى وأبطأ عني
حتى أسأت الظن به ثم أقبل ومعه رجل آخر فلما دخل كفر ثم قعد بين يدي وقال لي
الملك يقرأ عليك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادي أمحارب لي أم
راغب لي أم مستجير فقلت ترد على الملك السلام وتقول له أما محارب لك فمعاذ الله
وأما راغب في دينك فما كنت لابغي بديني بدلا وأما مستجير بك فنعم قال فذهب
ثم رجع الي وقال ان الملك يقرأ عليك السلام ويقول انا سائر اليك غدا فلا
تحدثن في نفسك حدثا ولا تتخذن شيئا من ميرة فانها تأتيك وما تحتاج اليه فأقبلت
الميرة فأمرت غلماني يفرشون ذلك الفرش كله وأمرت بفرش نصب له ولي مثله
وأقبلت من غد أرقب مجيئه فبينا أنا كذلك اذ أقبل غلماني يحضرون وقالوا ان
الملك قد أقبل فقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر اليه فاذا برجل قد لبس

يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فان أدلة الشرع وقضايا العقل متطابقة على أن مرتع الظلم وخيم والصحيح به سقيم والغنى منه عديم والسالم فيه مليم والمساهم عليه مليم وقد ورد فيه من قوارع الآيات وصحيح الاخبار ما فى بعضه أعظم باعث على الانزجار أقوى صارف عن الظلم لذوى الاستبصار فان الله سبحانه وتعالى قطع عن الظالمين طرق الاعتذار وجعل جزاءهم ان لم يتوبوا عذاب دار البوار فقال عز من قائل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقيل ان الظلم على شقاوة متعاطيه أوضح علامة ويسم وجه عاقبته بسمة الخسارة والندامة ويسلكه لقم النقم ويعدل به عن نهج السلامة وهو كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكيف يفلح ظالم والدعاء عليه مستجاب أو يأمن وثبات البلاء وتأخير مطلبه شئ عجاب أو يطمع فى النجاة وعليه بما اجترمه شاهد وكتاب وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وهو من أجل الصحابة حين بعثه الى اليمن فقال اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وقد ورد فى الاحاديث النبوية التى خرجها الامامان مسلم والبخارى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يملى للظالم حتى اذا أخذه لم يكد يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد

(ومما نظم) فى عقد العبر وزين بذكره تيجان السير وجرى به قلم القضاء والقدر ما نقله وهب بن منبه عن جبار من الجبابرة ممن غبر ودثر فقال ما معناه ان جبارا بنى قصرا فشيده فى أرضه وأعلاه وجعله قيد القلوب والنواظر فما رآه راء الا استهواه فجاءت عجوز من السائحات الى ظاهر القصر فعملت كوخا فى مكان مباح تتعبد الله تعالى فيه فركب الجبار يوما من الايام وطاف بفناء القصر فرأى الكوخ فقال ما هذا فقيل له امرأة ههنا تأوى اليه وتسوح فأمر به فهدم ولم تكن العجوز حاضرة فجاءت فرأته قد هدم فقالت من هدم هذا فقالوا الملك ركب فرآه فهدمه فرفعت طرفها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن هنا فأين كنت أنت قال وهب بن منبه فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فأصبح عبرة للناظرين

﴿نادرة قضية عبد الله بن مروان مع ملك النوبة﴾

مما حوته بطون الاوراق وأوضحته الرواة فى الآفاق من القضايا التى فيها معتبر

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم الواردة والالفاظ الحاكمة بحصول الفائدة

(ومنها) العدل يزيد في الملك فيريح السر و يذهب الخوف و يرضى الرب و يعمر ما أخرب به الجور (ومنها) اذا جار الملك في رعاياه كثر ارجاف الناس به وبزوال ملكه وأحموا ظهور اعدائه عليه (ومنها) أعظم أسباب العدل أن لا يغفل الملك عن التطلع الى أحوال أعوانه مع رعاياه وقضايا نوابه في اطراف بلاده (ومنها) زمان الجائر من الملوك أقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح وافساد الشئ أسرع من اصلاحه (ومنها) لا يزال الجائر مهملا في جوره الى أن يتخطى أركان العمارة من مباني الشريعة فاذا قصدها قرب دماره وشارفت الزوال مدته

﴿الباب السادس في الاتفاق والائتلاف وذم الشقاق والخلاف﴾

من أوضح الدلائل السالمة من الاعتراض الحاسمة أبواب المنع والانتقاض الحاكمة لذى العظماء ان الاتفاق والائتلاف من أكمل الاغراض ماورد في الكتاب العزيز في آيات متصفة بالاحكام مختلفة الالفاظ متفقة الاحكام متعددة في مواضع من التنزيل المتلو بلسان الخاص والعام كقوله تعالى في القرآن الكريم والذكر الحكيم مخاطبا النبيه المصطفى من الدرجة الهاشمية المستخرجة في الشرف من الصميم المرسل داعيا الى الدين القويم وهاديا الى الصراط المستقيم هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقوله عز وعلا وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وكقوله تبارك وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والمراد بحبل الله تعالى المذكور في الآية المعتصم به هو القرآن الكريم وهو اختيار جماعة من أئمة التفسير واستدلوا عليه بما روى الحارث قال دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف فاتيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فقلت يا امير المؤمنين ألا ترى الناس قد وقعوا في الاحاديث وأخذوا في الاختلاف قال وقد فعلوها فقلت نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة فقلت يا رسول الله فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل الذى ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى

بردين اتزر باحدهما وارتدى الآخر حاف راجل واذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه واذا الرجل الموجه الى جنبه فاستصغرت أمره وسولت لى نفسى قتله فلما قرب من الدار اذا أنا بسواد عظيم فقلت ماهذا السواد فقيل الخيل فوافى يا أمير المؤمنين زهاء عشرة آلاف عنان فكان موافاة الخيل الى الدار وقت دخوله فاحدقت بها فدخل الى وقال لترجمانه أين الرجل فلما نظر الى وثبت فيه فاعظم ذلك وأخذ يدى فقبلها وجعلها على صدره وجعل يدفع البساط برجله فشوش البسط فظننت ان ذلك شئ يجلونه أن يطؤا على مثله حتى انتهى الى الفرش فقلت لترجمانه سبحان الله لم لا يقعد على الموضع الذى وطئ له فقال قل له انى ملك وحق الملك أن يكون متواضعا لله سبحانه وتعالى اذ رفعه الله ثم أقبل ينكت فى الارض طويلا باصبعه ثم رفع رأسه فقال لى كيف سلبتم نعمتكم و زال عنكم هذا الملك وأخذ منكم وأنتم أقرب الى نبيكم من الناس جميعا فقلت جاء من هو أقرب الى نبينا قرابة منا فسلبنا وطردنا وقتلنا فخرجت اليك مستجيرا بالله تعالى ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمور وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت فعل ذلك عبيد واتباع وأعاجم دخلوا فى ملكنا بغير رأينا قال فلم كنتم تركبون على دوابكم بمراكب الذهب والفضة والديباج وقد حرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واتباع قال ولم كنتم اذا خرجتم الى صيدكم تقحمتم على القرى وكلفتم أهلها مالا طاقة لهم به بالضرب الموجع ثم لا يقنعكم ذلك حتى تمشوا فى زروعهم فتفسدوها فى طلب دراج قيمته نصف درهم أو عصفور قيمته لاشئ والفساد محرم عليكم فى دينكم قلت فعل ذلك عبيد واتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وفعلتم مانهاكم الله عنه وأحببتم الظلم وكرهتم العدل فسلبكم الله العز وألبسكم الذل ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد وانى أتخوف أن تنزل النقمة بك اذ كنت من الظلمة وتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت عمت والبلية اذا حلت شملت فاخرج بعد ثلاث من أرضى فانى ان وجدتك قتلتك وقتلت من معك واخذت جميع مامعك ثم وثب وخرج فمكثت ثلاثا ثم خرجت الى مصر فاخذنى واليك فبعث بى اليك وها أنا الآن بين يديك والموت أحب الى من الحياة فهم المنصور باطلاقه فقال له اسمعيل بن على فى عنقى بيعة له قال فماذا ترى قال يترك فى دار من دورنا و يجرى عليه ما يليق به ففعل به ذلك

وسرى وشحذوا أسياف الاختلاف وأبان حتى قطع عرى الائتلاف وبرى فلما
أحس السلطان مسعود بتبلج صبح سعيه المسفر من أساريره وتأرج ريا إصابة صفحه
بنفحات أرياح تدبيره وتبرج مخدرات رأيه الصائب فى حلى الملابس الموشاة بتحبيره
أماط عن محيا خوفه متسدل نقابه وناط بصائب عزمه نيل صوابه واستعذب من
نيل مرامه وطلابه من مشاق أوصابه مستكره صابه واستصحب فى أنصاره وأعوانه
اتفاق أصحابه فاركبهم وقد ضرب الليل سرادق ظلمائه بممتد أطنابه ورتبهم ترتيب
من فضله التجربة من الاستيقاظ بتكميل نصابه وعرفته الوقائع والحروب
كيفية ترتيب أطلابه وساق وقد جمعت قلوب جنده فى سلك المسارعة المتسق نظامها
والمتابعة المتفق بيد الألفة التئامها والطاعة المفوقة لإصابة الأغراض سهامها
والضراعة إليه فى ابتدارهم الى نفوس أعدائه فقد استعجلهم حمامها فأجاب بسرعة
داعى البدار وأصاب بمبادرته مواقع الأقدار وصاب بذلك سحاب صوابه المدرار
واستجاب له كمين الانتصار وضمين الاستظهار وساق مجدا سوقا حثيثا واتخذ من
اتحاد كلمة جنده واتفاقهم بعد توفيق الله سبحانه معينا ومغيثا فقرب من ذلك
الجمع الجم والعسكر الذى طم وعم فاضطربوا اضطراب أمواج اليم وأشربوا
الخوف ولكن لم تنزل عليهم أمنة من الغم فأكثروا الخلاف وأظهروا الانحراف
واستبصروا الانصراف فولى زنكى بن آقسنقر طالبا طريق الشام مسرعا فى
ذهابه واقتفى داود بن محمد راكبا طريق أذربيجان راكضا ره خيله وسوق ركابه
واتبعهما بوزبه سالكا سنن السلامة الى بلاد فارس فى زمرته وأصحابه ولم يبق عند
الخليفة الراشد سوى ثلاثة آلاف من خواص حضرته وخدم سدته فبقى بعد هؤلاء
المتفرقين أشتاتا المتمزقين بيد المخافة رفاتا المعدودين فى حبال حتوفهم لاختلافهم
أمواتا الشاربين من الآلام لفشلهم مع كثرتهم ماء أجاجا لا ماء فراتا وبات تلك الليلة
راكبا مطايا حيرة اعترته لتفرق الأنصار طالبا وطاء قدرة يخمد بها ضرام هذه النار
فلم يجد له أحزم من مجانبة المقام والاستقرار ولا أسلم من الاقتداء لتنازعهم بموسى
صلى الله عليه وسلم فيما أعده عند المخافة من الخروج والفرار فلم يبت سوى ليلة
واحدة بعد الجمع المفرق والجند الممزق ثم رحل متوجها الى الموصل فركب متن
طريقها فدخل السلطان مسعود بغداد واستحوذ على البلاد وأجرى الناس على
السنن المعتاد وخلع الراشد نفسه من الخلافة خلعا سلك طريقه وشدد إليه تفويقه

الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغه الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الترداد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم تنتهِ الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى رضي لكم ثلاثا وكره لكم ثلاثا رضي لكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله تعالى أمركم وكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فقد وضح بذلك ان الحبل المعتصم به هو القرآن الكريم والتمسك به يوجب الاتفاق والائتلاف ويصد عن الشقاق والاختلاف وذكر قبيصة بن جابر قال لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى دمشق نزل بباب الجابية وقام خطيبا وقال للناس لقد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم وقال من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وهذا صريح في التمسك بعروة الموافقة والتجنب لمعرة المخالفة وقد بما قيل ما من قوم وان قل عددهم وضعف مددهم فاتضعوا وحيق أفاويق الاتفاق وأثمر بوافي فلو بهم محبة الائتلاف وقابلوا بعددهم القليل قوما كثيرين قد نشأ بينهم الخلاف وعمهم التنازع الا أظهرهم الله تعالى مع قلتهم ومكنهم منهم وان كانوا أكثر عددا وأشد قوة ومددا

﴿حكاية عن اضرار الخلاف وفوائد الائتلاف﴾

وفي قصة الخليفة الراشد بالله أبي جعفر المنصور بن المسترشد لما قتل وهو في معسكر السلطان مسعود وأراد الراشد وقد وقع له بالخلافة وهو ببغداد أن يأخذ بثار أبيه ويقصد السلطان مسعود وأخذ في جمع العساكر وحشد الجيوش فأرسل الحاشرين واستدعى الناصرين واستحضر القادرين وسير فأحضر زنكي بن آق سنقر من الشام وداود بن محمد من اذربيجان وبوزابه من بلاد فارس وأتت اليه العساكر باجتمعت الجيوش عليه وتكمل له ما يزيد على ثلاثين ألف فارس بين يديه فلما عرف السلطان مسعود ذلك ولم يكن عنده الا سبعة آلاف فارس فسير السلطان في الباطن أشخاصا يثق بمعرفتهم ويعتمد على حسن توصلهم فدخلوا بين عساكر الراشد ومقدميهم وقدحوا بينهم زناد الخلف فوري وأوقد بينهم نار التنازع فدب احراقها

والتعاضد اعلانا واسرارا فأصارهم ذلك التآلف لله ورسوله أعوانا وأنصارا وهى قصة الاوس والخزرج

﴿قصة الاوس والخزرج﴾

وتلخيص كنهها بحذف اسنادها وشرح ما أتبعه الائتلاف من صلاحها بعد ما أطلعه الاختلاف من فسادها أن هاتين القبيلتين قبيلة الاوس والخزرج كانت سوق الحرب بينهما جامعة لاتشاب بكسادها وبروق الصوارم فيها لامعة لاتحجب بأغمادها ودماؤها فى لوامع الاسنة كحمر العصائب على رؤس صعادها ووحوش الدو وطيور الجو تتبعها لاعتقادها انها كفلاء أقواتها لا عتيادها تناول ذلك من جثث أجسادها ودام هذا التقابل والتقاتل بينهما مائة وعشرين سنة حتى صار أثرا فى وجه الدهر وخبرا الى يوم الحشر ولم يسمع بقوم بينهم ما كان بين هؤلاء من الضغن والوتر حتى أزال الله عنهم ذلك ونسخ تلك الاحقاد وتلك العناد منهم وكان سبب تألفهم وارتفاع عداواتهم ان سويد بن الصامت قدم مكة حرسها الله تعالى وكان رجلا شريفا فى قومه شاعرا جلدا يسميه قومه الكامل لاجل ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما بعث وأمر بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى سمع بسويد فتصدى له ودعاه الى الله سبحانه والاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا كلام أنزله الله عز وجل على نورا وهدى فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الله عز وجل والاسلام فلم يبعد عنه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم سويد المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج فى حربهم يوم بعاث وكان رجال من قومه يقولون انا لنراه قتل مسلما ثم قدم أنس ابن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ الى مكة يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم فى خير مما جئتم له فقالوا وما ذاك قال أنا رسول الله الى العباد أدعوهم أن لايشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم والله هذا خير مما جئتم له فأخذ أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ فقال

وأخرج أبا عبد الله محمد بن المستظهر بالله أمير المؤمنين وبايعه بالخلافة وجمع الناس لبيعته وشد وسطه بنطاق اخلاص عبوديته وقام بين يديه بمفترض طاعته وواجب خدمته ولازم نصرته وهو المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين والد الامام المستنجد بالله أمير المؤمنين والد الامام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين والد الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين والد الامام الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين والد الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين والد الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين وآل أمر الراشد الى قضايا لا يجري شرحها في مضمار مقصود هذا الكتاب ولا حاجة الى استيفائها واستقصائها مخافة الاطالة والاطناب كان آخرها انه قتل بباب أصفهان بعد تقلبه في يد الاقدار في أطوار الزمان وفي ظهور سبعة آلاف متفقين على ثلاثين ألفا مختلفين أقوى دليل على أن الاتفاق ناصر لا يخذل والاختلاف خاذل لا ينصر وان طالب الموافقة أبدا لا يخذل وطالب المخالفة أبدا لا يعذر

زيادة ايضاح وبيان وافادة ملح حسان

مما يشنف الاسماع من جواهر القول المرغوب ومحاسن منثور الفضل المرهوب أن نور التآلف ينسخ ظلمة العداوة من القلوب ويكون سترا من هجوم الحوادث وسدا في وجه الخطوب وقد يما شبت نار العداوة في القبائل والفضائل فحرقت وانبسطت يد المنازعة والمخالفة بينهم ففرقت واستلت فيهم سيوف الاحن البغضاء ففرت وحزت وأسيلت عليهم سيول الشحناء فلمعت بروقها بالتقابل والتقاتل فتألقت فهبت عليها رياح التآلف فأطفأت ضرامها وصرفت غرامها ونفت سقامها ونفت عنهم ملامها وآلامها فتبدلوا بالاساءة احسانا وبالمخالفة أمانا وبالمنافرة اذعانا وبالنقيصة رجحانا فعادوا بعد التباين صنوانا وأصبحوا بنعمة الله اخوانا ومن ارتاب في صواب هذه المقالة ورغب في اجتناء جني هذه الحالة وأحب أن يسمع شرح حقيقتها بلسان الدلالة فلينظر في سير السلف الغابرين ويعتبر أحوال الغائبين والحاضرين ومآل الواردين والصادرين يجد في وقائعهم أنهج سبيل وأنجح دليل لاسيما في أظهر الوقائع شنارا وأكبرها اعتبارا وأعظمها عتوا وقتارا وأدومها تنازعا ونفارا وأدومها علوا واستكبارا حتى بلغ الشيطان بهم منهم أغراضا وأوطارا وأثار بإثارة الفتن والاحن بينهم احقادا وأوتارا وأوقد من شواظ رحا حربهم المدارة عليهم نارا الى ان نظمهم الاتفاق في سلك التساعد

ابن زرارة بن مسعود المذكور أولا فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق الى
هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان أسعد ابن خالتي
ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني
عبد الأشهل وكلاهما مشركان فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى أسعد
ومصعب وهما جالسان في حائط فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك
فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء
بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة قال له مصعب أو
تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم
ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قال والله لقد
عرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله
كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتطهر ثوبيك وتشهد
بشهادة الحق ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف
عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن فقام أسيد بن حضير ثم أخذ حربته
وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف
بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي
قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما
فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه
وذلك انهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة
منه وقال والله ما أراك أغنيت شيئا فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا
انما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة لولا
ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد
لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف منهم أحد فقال له مصعب أو تقعد
فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت
ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه
الاسلام قبل أن يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا أسلمتم ودخلتم
في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق وتصلي ركعتين قال
فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد بشهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل

دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن
معاذ أن هلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في الموسم كل من لقيه من
قبائل العرب يعرض عليه نفسه ويدعوه الى الله سبحانه فبيناهو عند العقبة في الموسم
اذ لقي رهطا من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم
قالوا نعم فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن
وكان من صنع الله تعالى أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكان
هؤلاء أهل أوثان وشرك فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا مبعوثا الآن قد
أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي
توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا انا تركنا قومنا ولا
قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمع بينهم بك وسنقدم عليهم
وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا فلما قدموا المدينة
ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم
يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام
المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج أسعد بن زرارة
وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت
ويزيد بن خارجة وعباد بن عامر وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر ورجلان من الاوس
أبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة
وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أن
لا يشركوا بالله شيأ ولا يزنوا الى آخر الآية المعروفة ببيعة النساء في سورة الممتحنة
ثم قال لهم ان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيأ من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو
كفارة له وان ستر عليكم فأمركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل
أن يفرض عليهم الجهاد فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصعب بن عمير بن هاشم وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم وكان
مصعب يسمى في المدينة المقرئ وكان أوّل مقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد

يده وقال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنحن أهل الحرب ونحن أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال
فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال
يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني العهود ونحن قاطعوها فهل عسيت
ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم
وأسالم من سالمتم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا من بينكم اثني عشر
نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس كفلاء على قومهم بما فيهم كفالة الحواريين
لعيسى بن مريم فاخرجنا اثني عشر نقيبا * وقال العباس بن عبادة الانصاري
يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب
الابيض والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة واشرافكم قتل
أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له
بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير في الدنيا
والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاولاد والاشراف فما لنا بذلك
يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قال ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من
ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الجباجب هل
لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عدو الله ساءه ما رأى منكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع اى عدو
الله والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى رحالكم فقال
سعد بن عبادة والذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارفضوا الى رحالكم قال
فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اذا أصبحنا غدت علينا أجلة قريش فجاؤنا
فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا
وتبايعوه على حربنا وانه والله ما من حي من العرب أبغض الينا ان تنشب الحرب
بيننا وبينهم منكم قال فانبعث هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما هذا من
شيء وما علمناه وصدقوا فانهم لم يعلموا وبعضنا ينظر الى بعض ثم انصرف الانصار

طائفا الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نقسم بالله لقد رجع
سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد
الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأتمنا عقلا فقال فان
كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى فى دار من
دور بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع مصعب واسعد بن
زرارة الى منزل سعد فأقاما يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور
الانصار الا وفيها رجال مسلمون خلا نفرا يسيرا تأخروا ثم أسلموا ثم ان مصعبا رجع الى
مكة ومعه سبعون رجلا مع حجاج من قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة
فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق وهى بيعة
العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة
التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام بن جابر
أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا وكلمناه وقلنا يا جابر انك سيدا
من ساداتنا وشريفا من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون غدا حطبا
للنار ودعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد
معنا العقبة وكان نقيبا من النقباء فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى
ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسللنا مستخفين تسلل القطا حتى
اذا اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس
ابن عبد المطلب عمه وهو يومئذ على دين قومه غير انه أحب أن يحضر مع ابن أخيه
ويتوثق له فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر
الخزرج وكانت العرب انما تسمى هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها
ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز من قومه
ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم
وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم
ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال
فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لربك ولنفسك ما شئت قال فتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام
ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور

ىظ أهمل ... ... الذى ... ذ فى
... التحـلى ... وان رسول الله صـلى الله
... ذاهد عذر والوفاء ... المفوس
... والجلال المجيد ... فى العيون وتصدق
... وحلى ... وقيل أن ... ارف
... الأعمار
... اخبار ... حيار
... على ... ورأت ... قدهم ... ادا
... العماء والعفاء

﴿نادرة فى الوفاء﴾

... الوقائع وغرائب البدائع ما فرح أبواب المسامع وشقق
فى ... المكارم من ... الوسائل وانجع الذرائع ... قصة
النعمان بن المنذر ... معناها أن النعمان كان ...
... صادفه ... وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه
لطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره وأبلاه القدر
... جميل صبره وأغراه بشكوى ... هذا الى
... من أهله ... الطوى ... وسم
ن الضعف ومالهاقى ... ولا ... الاجوفان
... الحاجة الى مرا... قراره ... محل استقراره
... وشعار ... ودرج ... الجوع ...
طراب ... واضطراب ... الاسجاع ومصطافه وقد فتح له
فى جرابه على أكافه اذ أوقعه القدر فى سرك النعمان فى يوم
... فلما بصر به الطائى علم أنه مقتول وان دمه لمطلول فقال
... صغارا وأهلا جياعا وقد أرق ماء وجهى فى طلب هذه
واعلم أن سوء الحظ أقدمنى عـلى الملك فى هذا اليوم العبوس
لصبية والاهـل وهم عـلى شفا تلف من الطوى وان يتفاوت
... النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لى فى أن أوصل اليهـم

الى المدينة وقد شددوا بعد فلما قدموا أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا وجارا ومنزلا وبلادا تأمنون بها فأمرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فأخذوا فى الهجرة الى المدينة وتتابعوا اليها وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة الى أن أذن الله تعالى له فقدم المدينة وأقام فجمع الله تعالى اهل المدينة أوسها وخزرجها بالاسلام وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم ورفع من بينهم العداوة والبغضاء ونسخ من صدورهم الاحن والشحناء فذلك قوله جل وعلا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء معناه يامعشر الانصار اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وفى هذه القصة مقنع وبلاغ عن الاطالة بذكر غيرها من وقائع العالم وحوادث الايام

﴿ خاتمة لهذا الباب ﴾

مما قيل فى الاتفاق من الحكم وما ورد فيه من جواهر الكلم (منها) اتفاق الايدى سلاح عتيد وعون حاضر وقوة تصول بها النفوس على المخالف لها (ومنها) عليكم بالاتفاق والمعاضدة فان العز والانتصار مع الاتحاد والاجتماع وايا كم والخلاف والتباين فان الذل والخذلان فى التنازع والافتراق (ومنها) كم من قوم عزوا باتفاقهم فلم يطمع فيهم فلما اختلفوا سلبوا عزهم ووهى ركنهم وكل مذهب وذاقوا وبال أمرهم

﴿ الباب السابع فى مدح الوفاء وذم الغدر ﴾

ان أرجح دليل يتمسك الانسان به لمبتغاه وأوضح سبيل يهدى سالكه الى بلوغ مناه كتاب الله الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه وقد دل بمنطوقه أن الوفاء يجب على كل عاقل أن يرعاه ويحرم عليه أن ينقض عهده وينقص عراه فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا وبعهد الله أوفوا وقال تقدس اسمه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال علا وتقدس اسمه وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فهذه الآيات مع اختلاف محالها وتعدد أسباب انزالها متفقة على وجوب الوفاء بالعهود والتمسك بحبالها والتجنب مهما

المحامد المنظومة في أجياد الأجواد وفرائد الفوائد الموسومة بانتقاد النقاد أن صفة الارتداء برداء الوفاء واقية باقية على الآباد وحسنة مستحسنة الآماد بلا افناء ولا انفاد وطريقة هادية الى ادراك كل مرام ونيل كل مراد وجنة مجنة من الاصابة بأحد القبيحين اما بدناءة الهمة واما بفساد الاعتقاد وسجية تستميل الى صاحبها قلوب العباد بالوداد وتستنطق له أرباب الفصاحة والالسن بالاحماد وقد بلج فجر الاسناد الى السلف والخلف و أرج زهر النقل الى الحاضر فعطر بورود ماقدروم القلم وسطر وتحقيق ماشرح من ذلك وذكر ما حط وزبر

﴿غريبة وما جزاء الاحسان الا مثله﴾

ان العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس المأمون ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس خذ هذا اليك واستوثق منه واحفظه ولا تطلقه وبكر به الي واحذر عليه كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فلما تركوه في مجلس لي في داري أخذت أسأله عن قصته وحالته ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال لا تريد أن تسألني فقلت له أتعرف فلانا فقال ومن أين تعرف ذلك الرجل قلت كانت لي معه قصة قال ما أنا بمن يعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فشغب أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر حجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في الجملة واني في بعض الدروب اذا أنا بناس يعدون خلفي فما زلت أعدو قدامهم وفتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت امرأته ادخل الحجلة فدخلتها ووثبت الرجل على باب الدار فما شعرت الا به وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوا الدار حتى لم يبق سوى الحجلة وامرأته ذهبوا فقالوا لها فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف في الحجلة خائف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك

هذا القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا وعلى عهد الله اني اذا أوصيت بهم أرجع الى الملك مساء وأسلم نفسي بين يديه لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه من ضياع اطفاله رق له فقال لا آذن لك الا أن ضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وشريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

يا شريك بن عدي * ما من الموت انهزامي
بل لاطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام
يا اخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي * بضمان والتزام
ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي اصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فامر الملك ممتثل فبينما هم كذلك واذا الطائي قد أقبل يشتد في عدوه مسرعا فتقدم وقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي فعدوت ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بامرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت لاحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة ألا واني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت يوم عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي * فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ مني الوفاء خليقة * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه تلف نفسك قال ديني فمن لا دين له لا وفاء له فاحسن اليه النعمان ووصله وأعاده الى أهله (تتمة) يفي لذي الوفاء بغرضه ويكفي بمسلمه في القيام بمفترضه ويشفي فؤاده باستعماله من بقايا مرضه قيل في قلائد

فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتن التي كانت في أيامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وأمري عنده غليظ وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف الى أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن تبعث تحضره لي حتى أوصيه بما أريده وأتقدم اليه بما يكون وصيتي لأهلي وان فعلت ذلك فقد جاوزت حدّ المكافأة ووفيت بوفائك بعد ذلك فقال العباس يصنع الله خيرا ثم أحضر حدّادا في الليل وأمره بحل قيوده وأزال ما كان عليه من أنواع الأنكال وأدخله الى الحمام وألبسه من ثيابه ما يحتاج اليه ثم سير واحضر غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عدّ عشرة ثم من الصناديق عشرة والكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة بين يديه خذه واعبر الى حدّ الأنبار فقلت له ان أمري عظيم وذنبي عند أمير المؤمنين غليظ وان أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من في بابه فأردّ وأقتل فقال لي انج بنفسك ودعني أدبر أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب أمره ان كان الأمر على ما يقول فليكن في موضع كذا فان أنا سلمت في غداة غد أعلمه وان أنا قتلت كنت قد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه فاغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون أمير المؤمنين يقول لك هات الرجل معك وقم قال فأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس وعليه ثيابه امام فراشه فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال أعطي الله عهدا لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك فقلت يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم أنت اعلم وما تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أني أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعل معي وأعبر به الى جهة الأنبار وقلت انا وسيدي أمير

شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا ثم ما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها طعمني معه وأفرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء وما تغير عن تفقد حالي فدمت عنده في أتم عيشة أربعة أشهر لا أظهر الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال شرها وأثرها فقلت له تأذن لي في الخروج حتى أتعرف بغلماني فلعلي اقف منهم على خبر اولهم على أثر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع ذلك لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على الشخوص الى بغداد فان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وقد تفضلت بهذه المدة ولك على عهد الله اني لا أنسى لك هذه اليد على ولأكافئنك بها مهما استطعت وأسألك أن تتم فعلك بأن تعطيني ما أنفقه الى بغداد وألبسه الى أن أصل الى موضعي فقال يصنع الله خيرا ثم قال لغلام له أسود اعتل الفرس الفلاني وتقدم الى من في داره باعداد سفرة فقلت في نفسي ما أشك أنه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فوقعوا يومهم ذلك الى غد في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاء في السحر وقال يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي ما أعطاني وما وثق بي ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان لي خفين جديدين ورانات معمولة وآلات السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما مفرش ودفع الى نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذي أنعله بسرجه ولجامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوق خيلك وأقبل هو وامرأته يعتذران من التقصير في أمري وركب معي من شيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في مجازاته ومكافاته وتواصلت خدمتي بباب أمير المؤمنين وأسفاره فلم أتفرغ لكثرة التنقل مع أمير المؤمنين من مكان الى مكان فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد مكنك الله تعالى من الوفاء له ومجازاته على فعله ومكافاته بصنعه بلا كلفة عليك لا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك ما عرفته مني ثم لم يزل يذكرني تفاصيل الاسباب وما يتعرف به الي حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه وقلت له فما الذي أصارك الى ما أرى

الحاجب اليه فادخله عليه وهو قاعد وحده فقال له قد فهمت ما قصدته فهات ما عندك قال ولي الامان وثقة الله تعالى قال نعم لك ذلك فأظهر ما أراد ودعا الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أتنصفني قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فتجيء الي وأنا في هذه الحال التي تراها لي خاتم في الشرق وخاتم في الغرب وما بينهما أمري مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت عن يميني وشمالي فاجد نعمة هذا الرجل غامرة لي قد ختم بها رقبتي فتدعوني الى الكفر بهذه النعمة وتقول لي اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت أوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما أيس الرجل وكشف باطنه وسمع كلامه جاء الى المأمون فاخبره صورة الحال فسره ذلك واردف احسانه اليه وضاعف انعامه عليه وفي هذه القضية بيان شاف وبرهان كاف في أن الوفاء يحسن النعمة ويؤمن الصرعة

﴿غريبة تأكيدا ايضاح وتجديدا افتتاح﴾

مما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود والذمم ما رواه حمزة بن الحسن الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطيقي كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفاذ الامر وعلو القدر وشهرة الكرم ما يتجاوز الوصف والحصر فحضر المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الى عقبة النجار ين واسألوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فأحضروه وان كان توفي فاسألوا عن أولاده واكشفوا أمره قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه وكشفنا فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما مزوجة والاخرى عاتق فعدنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطى لكل واحدة منهما ثيابا وكسوة وذهبا كثيرا وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا واشهر أنهما من المتعلقين به ورعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لا نعلم فقال اعلموا أني مررت يوما بهذا المنجم وأنا في ملك ابن عباس الكاتب بحالة رثة فوقفت عليه فنظر الي واستجلسني وقال أنت تصير الى رجل جليل وتبلغ معه

المؤمنين بين أمرين أمان يصفح عني فأكون قد وفيت وكافيت ووقيته بنفسي كما
وقاني بنفسه وأمان بأمان فقد تخلصت وها أنا في كفك فلما سمع المأمون الحديث قال
ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد
المعرفة والعهد بهذا الأمر ألا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك
له فقلت يا أمير المؤمنين إنه ههنا قد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتيج
إلى حضوره حضر فقال المأمون هذه منة أعظم من الأولى اذهب الآن إليه حتى
تطيب نفسه وتسكن روعته وتعود به إلي حتى أتولى مكافأته فصرت إليه وقلت له
ليزل خوفك إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على
السراء والضراء سواه ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير
المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء فأكل معه وخلع عليه
وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها
وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشر تخوت وعشر مماليك بدوابهم وكتب إلى
العامل بدمشق بالوصية به وأطلق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت
كتبه تصل إلى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس
هذا كتاب صديقك

﴿نادرة تقرير بيان وتحرير برهان﴾

كان الخليفة المأمون المقدم ذكره قد ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر
والشام وأطلق حكمه فدخل على المأمون يوما بعض إخوته فقال يا أمير
المؤمنين إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب وهواه مع العلويين
وكذا كان أبوه قبله فحصل عند المأمون من كلام أخيه شيء من جهة عبد الله بن
طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا ووضعه في زي النساك الزهاد
العراة ودسه إلى عبد الله بن طاهر وقال امض إلى مصر وخالط جماعة من
الكبراء في السر وادعهم إلى القاسم بن محمد بن طباطبا العلوي وتذكر مناقبه ثم بعد
ذلك تجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله ذلك وادعه إلى
القاسم بن محمد العلوي واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وائتني بما تسمع ففعل
ذلك الرجل ما أمره المأمون وتوجه إلى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة
لطيفة إلى عبد الله بن طاهر ودفعها إليه وقت ركوبه فلما انصرف الناس خرج

الدروع والسلاح ورأى حسن ذمامه ووفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فسارت الامثال بالوفاء تضرب بالسموأل واذا مدح أهل الذمام بين الانام ذكر السموأل في الاول (وقد قيل) رب غادر لم يظفر وعاذر فيه ببلغه العادر وضاقت عليه من موارد الهلكة فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر وأوقعه خطؤه حسفا ووردته حتفا ماله من قوة ولا ناصر وشهود صحة هذه الاسباب وحكمها عند أولي الالباب وقوعها ووقوع محذور الاختلاف والاضطراب المجتني من هذا الباب

﴿غريبة قضية ثعلبة بن حاطب الانصاري﴾

وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من انصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما فقال يارسول الله ادع لي أن يرزقني الله مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ولا يصلي باقي الصلوات الافي غنمه فكثرت ونمت حتى بعدت عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت أيضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة وكان اذا كان يوم الجمعة خرج يلاقي الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ غنما لا يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لهما اسباب الصدقة كيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا

مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا وطلب مني شيأ فأعطيته درهمين كانا معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما وقال أتشركك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذه البلاد وأكثر منه فاذكرني اذا ماصرت الى ماوعدتك به ولا تنسني فبذلت ذلك ووفيت ثم قال عاهدني انك تفي لي ولا تشغلك الملك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ الدرهمين ثم اني شغلت عنه بما تجدد لي من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة وسبب ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته في المنام قد دخل علي وقال أين الوفاء بعهدك واتمام وعدك لا تغدر فيغدر بك واستيقظت وفعلت مارأيتم فنمت هذه القضية بمصر واشتهر احسانه الى بنات المنجم لوفائه لوالدهما فاقتضاء الدعاء له والثناء عليه

﴿ تبصرة استبصار وتذكير واعتبار ﴾

الوفاء للكريم شعار ولصاحبه في مقام الافتخار اشتهار والغدر لمن اعتمده عار وشنار ونقض العهد عاقبته نار وبوار ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقات في الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال في الوفاء بالاتفاق

﴿ جوهرة حديث السموأل بن عاديا ﴾

وتلخيص معناه ان امرأ القيس الكندي لما أراد المضي الى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا تساوي جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس سير ملك كندة يطلب الدروع والسلاح المودع من السموأل فقال السموأل لا أدفعه الا الى مستحقه وأبى ان يدفع اليه منه شيأ فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتي ولا اخون أمانتي ولا أترك الوفاء الواجب علي فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر ذلك الملك به فأخذه أسيرا فلما حدّثي الحصار وطاف حول الحصن صاح بالسموأل فلما أشرف عليه من أعلى الحصن قال له ان ولدك قد أسرته وهاهو معي فان سلمت الي الدروع والسلاح الذي لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت وأصررت على اباءك ذبحت ولدك هذا فاختر منهما ماشئت فقال السموأل ما كنت لاخفر ذمامي وأبطل وفائي فاصنع ماشئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم

الافواه لفاعله بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه فانه بلغ من وافدات المجالس ونادرات المجالس وواردات المؤانس وخادرات العرائس وسافرات العوابس

﴿لطيفة عن وفاء الجميل﴾

ان الخليفة المنصور كان متطلعا الى الاحاطة بأمور الناس عموما والى معرفة أحوال بنى أمية خصوصا فبلغه أن من مشايخ أهل الشام شيخا معروفا وكان بطانة لهشام بن عبد الملك بن مروان فأرسل اليه المنصور وأحضره بين يديه وسأله عن تدبير هشام فى حروبه مع الخوارج فوصف له الشيخ ما دبر وقال فعل رحمه الله كذا وكذا ودبر كذا وكذا فقال له المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقال الرجل وهو مول يريد الخروج ان نعمة عدوك لقلادة فى عنقى لا ينزعها الا غاسل فلما سمعه المنصور قال ردوه فلما رجع قال يا أمير المؤمنين ان أكثر الناس لو ماتوا لم يجعل دعاءه لمن أحسن اليه وثناءه عليه وحمده لمعروفه عنده ووفاءه له ولو أمكننى الغدر وأسرنى القضاء على الوفاء لهشام بأكثر من ذلك لوجدنى أمير المؤمنين بوفائه به فقال له المنصور ارجع يا شيخ الى تمام حديثك أشهد انك نهيض حرة ولد رشدة ثم أقبل المنصور على حديثه الى أن فرغ فدعا المنصور بمال وكسوة وقال خذ هذا صلة منا لك فأخذ ذلك وقال والله يا أمير المؤمنين ما بى من حاجة ولقد مات عنى من كنت فى ذكره فما أحوجنى الى وقوف على باب أحد بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين ولزوم طاعته وايثار أمره لما لبست نعمة أحد بعده فقال المنصور لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم ذكرا مخلدا ومجدا باقيا بوفائك لمن أحسن اليك ثم أوصى المنصور برعاية أموره وقضاء حوائجه وصار يذكره فى خلواته ويستحسن ما صدر منه

﴿نادرة عن عدم نسيان احسان البرامكة﴾

ومما أجنته بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسن من الاوائل والاواخر وعد من جواهر الجواهر وصوادر المصادر ونوادر النوادر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فان أصحاب الاخبار

خت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار
سنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ما هذا قال خذاه فان
نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني
كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي
الى فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتكلما قال يا ويح
ثعلبة وأنزل الله عز وجل قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا
ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل
الله عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله
أن يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل ثعلبة
يحثي التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك
فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى الى أبي بكر رضي الله
عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي
من الانصار فاقبل مني صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم لما ولي
عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها وقبض عمر ولم يقبلها ثم ولي عثمان
رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أبو بكر ولا عمر فانا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان فهذا تلخيص
القضية بقصها وشرح زبدها بنصها فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال
أمره وسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فأي
شئ أدرج من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي
أفضح من نقض العهد اذا عدت مكارم الاخلاق

﴿افادة تهذيب وزيادة تقريب﴾

أعلى الوفاء رتبة من اعتاق يديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق

بستان فسلموا وهو يعد ثمانمائة وواحداً وبين يدي يحيى عشرة من ولده واذا غلام أمرد
حسن عذر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه خدام مؤتزرون وفي وسط كل
خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب
في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن به مثله من العنبر السلطاني
فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم
وزوج ابني عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوج وشهدت أولئك
الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين
ملء كمي ونظرت واذا نحن في المكان بين المشايخ ويحيى وولده والغلام مائة واثنا
عشر رجلاً فخرج مائة خادم واثنا عشر خادماً مع كل خادم صينية فضة عليها ألف
دينار شامية فوضع بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ
يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول
حتى بقيت بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت
وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت فجعلت ألتفت
الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينا أنا كذلك في صحن الدار ويحيى
يلحظني فقال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بسكب الدنانير والصينية
وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فسأل عن الرجل فقصصت عليه قصتي
فقال للخادم أحضروا ابني فأتي به فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذه اليك
واحفظه بنفسك ونعمتك فخلع علي وأخذني الى دار من دوره
فأكرمني وعاشرني يومي وليلتي أكلاً وشرباً فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال
ان الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين
فاقبضه اليك وأكرمه ففعل فلما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدي
القوم يتداولونني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم
في الاحياء فلما كان في اليوم العاشر دفعت الى يد الفضل فعطف علي وزاد
في الكرامة فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم
فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد
هلكت ثيابي وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع
الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الآخر قال

اذا أكثروا في أن شيخا حضر ليلا الى آثار أماكن البرامكة ويندبها وينشد شعرا

يذكرهم ذكرا جميلا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلي

دينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتروا خلف جدار من هذه الجدر فاذا رأيتم الشيخ

قد جاء وبكي وندب وأنشد شيأ فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى وردنا الخرابات

فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة

ولطاف فجلس يبكي وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جال جعفرا * ونادى مناد للخليفة في يحيى

بكيت على الدنيا وايقنت أنه * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

أجعفر ان تهلك فرب عظيمة * كشفت ونعمى قد وصلت بها نعمى

مع أبيات رددها وأطالها قال فتراءينا له لما فرغ وقبضناه فجزع وفزع وقال من

أنتم قال فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تريدون

مني قال فاعلمته ما أمر به أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه فقال ذرني اوص وصية

فاني لا آمن العطب ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح ودفع خاتمه وأخذ ورقة

وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما دخل الى المجلس ومثل بين يدي

أمير المؤمنين زبره وقال له من أنت وبماذا استوجب منك البرامكة ان تفعل في

خراب دورهم ما تفعله قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين للبرامكة

عندي أياد خضرة أفتأذن لي ان احدثك حالي معهم قال قل قال أنا يا أمير المؤمنين

المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك فزالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبتني

الديون واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا على بالخروج الى

البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا

ما يباع ولا ما يرهن حتى دخلنا الى بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد

فدعوت بثويبات لي كنت قد أعددتها لاستتر بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم

جياعا لاشئ عندهم ودخلت شوارع بغداد اسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد

مزخرف وفيه مائة رجل شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت

في القوم وولجت المسجد وجلست بين ايديهم وأنا اقدم وأؤخر والعرق يسيل مني

لانها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا الخادمين فدخلوا وازعجوا القوم

فقاموا وأنا معهم فادخلونا دار يحيى بن خالد فاذا يحيى جالس على دكة له وسط

موره عالماً بوروده وصدوره فقال ما معناه ان أحمد كان يربي من يطرح على
طرقات ويقيم لهم الكوافل ويدر عليهم النفقات رغبة في الثواب ونعر بالى
الله تعالى بهذه الاسباب فوجد عند سقاية عند المعافر طفلا مطروحا فالتقطه
ورباه وسماه باسمه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء
وفطنة وأحسنهم رواء وصورة فصار يرعاه ويعلمه وهو يعرف بأحمد اليتيم فلما
حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه
بعد موت ابن طولون أحضره الامير أبو الجيش وقال له أنت عندي بمكانة أرطاك
ولكن عادتي أن آخذ العهد على كل من أصرفه في شيء من أموري أنه لا يخونني
وأعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المهام
حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن أحمد بن طولون
يحسن اليه كلما رأى خدمته مصحوبة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح فركن اليه
واعتمد في أسباب بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة العلانية وفي المجلس
حيث أجلس سبحة جوهر فجئني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من
حظيات الامير وحظاياه مع حدث من الفراشين ممن هو من الامير بمحل قريب فلما
رآه خرج الفتى فجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء
أمره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم
تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلم اليه السبحة وبقيت الجارية شديدة
الخوف من أحمد أن لا يذكر حالها للامير فبقيت أياما ولم تجد من الامير ما تنكره من
حاله ولا ظهر لها ما توهمته في أحمد من تسرعه في مقاله وانهائه حاله فاتفق ان
الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها
وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان
مشغوفا بتلك الجارية الجائرة الخائنة الحائرة الغاشة الغادرة العائبة العاهرة
الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجديدة المجيدة المسعدة السعيدة
الودودة المودودة الحامدة المحمودة وصيغة الموصوفة الالفة المألوفة الرشيقة
الموفقة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة
...بها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أترابها فهجر حظايا
...صغيره واقتصر عليها في طويل نعمه وقصيره وكانت تلك الاولى تحسنها أمره

الى مهمما رأيت قد بقي من حوائجك فتقدم الى به فأنا مأمور بقضاء جميع ما يأمر به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا استقبلتني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني يتقلبون في الحرير والديباج واذا قد حمل الى ألف ألف درهم مبدرة وعشرة آلاف دينار وقبالين بضيعتين وتلك الصينية التي خرجت معي فيها الدنانير والبنادق فبقيت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءت القوم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل قصدني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الى وفاءلهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا فقال رد عليه كل ما استأديته منه في مدته وأجرو اضيعتاه يكونان له ولعقبه من بعده فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما طال قال له المأمون أحسنا اليك فلم تبكي فقال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خراباتهم فابكهم وأندبهم حتى اتصل خبري بامير المؤمنين ففعل ما فعل من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم ابن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه على القوم وقال هذا لعمري من صنائع البرامكة فعليهم فابكوا واياهم فاشكروا ولهم فاوفوا ولاحسانهم فاذكروا ولنجعل خاتمة هذا الباب من القضايا أجلها ختاما وأوجزها كلاما وأحرزها مراما وأحسنها نظاما وأبينها حكما وأحكاما وهي قضية جمعت لامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واطلاقا وحجرا واشتملت على حال شخصين وفي أحدهما بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مأمومه ما أمل ورجا واستنشق من نسيم الاسعاف عبقا عاد نشرا وارجا وساعفه التوفيق فعلم ان من يثق بالله يجعل له فرجا ومخرجا وغدر الآخر فاغرى به غدره من أعوان العطب همجا وأخاضه من أبحر التلف والهلاك لججا ولم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا

﴿لطيفة في ان الوفاء يحمي من المعاطب﴾

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحمد بن طولون عارفا

يتسلط بعدائه فانظر الى آثار وداده كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد انقضاء القواضب ويفضي بصاحبه الى ارتقاء غوارب المراتب ويقضي عن مريد رداه بسهمه الصائب وأمله الكاذب وترمي شيطان حسده ومختل نعمه في انعام الله تعالى بشهاب قدره الثاقب وسهم قضائه الصائب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله جل وعلا على صدق نيته وصحة قصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فكيف اذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده باذلا في واجب عبادته واجبات صنعته مستطاع جهده فالله تعالى وتقدس يفيض عليه من ألطافه مواهب بره ورفده ويمنحه من رزقه ما يجل به انجاز وعده ويفتح له من انواع رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم المأثورة في الوفاء والأداء المذكورة بين اخوان الصفاء (منها) الوفاء من كرم السجايا والغدر من لؤم الطباع فمن عرف بالوفاء خدمته القلوب بصدق الوداد وكسته الالسن مطارف الاحماد ومن عرف بالغدر عومل بالمقت والابعاد واسم بأقبح السمات بين العباد (ومنها) من اتخذ الوفاء شعارا أمن عقوبة الغادرين ومن ارتدى برداء الغدر أبقى له سوء ذكر في الآخرين ومن عامل الناس بالوفاء قولا وفعلا فقد استخدم ألسنة الشاكرين (ومنها) من غدر في عهده وأخلف في وعده ونقض عرى عقده فقد قضى على نفسه بخسة أرومته وسوء نيته وقلة مروءته وترك له بين الناس ذكرا قبيحا وسمعة سيئة وزهد الناس فيه ونفرت القلوب عنه

﴿الباب الثامن في التيقظ وانتهاز الفرصة وذم التواني والغفلة﴾

لما كان التيقظ في الامور والمسارعة الى احراز قصباتها والمسابقة الى نيل المقاصد بانتهاز فرصها قبل فواتها ومجانبة أسباب الغفلة والتحرز عن آفاتها من أكمل مزايا النفس المؤيدة وأحسن صفاتها أمر الله سبحانه وتعالى عباده في السور المنزلة بمحكم آياتها فقال جل وعلا تارة وسارعوا وتارة وسابقوا تنبيها على ان يقظة النفس ومبادرتها الى مصالحها من حسناتها وغفلتها وتوانيها عن واجب ذلك من شقاوتها فمن سمت نفسه الى تسنم رتب المعالي وترامت همته الى استخدام بيض الايام وسود الليالي وأحب انتظام الامور اليه في

على تأميره مطرحة حكم أمره لا تخرف من وليه ولا تصيره فكرعليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى اطلاع أحمد اليتيم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب مكرها وركبت وجهها في صورة حزن اقتادها بزمام فكرها وأجهشت بالبكاء بين يديه لانعام كيدها ونكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غيظا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حلم عقله فتأنى في قتله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقال لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وحضر عنده ندماؤه الخواص من شربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمنا في سربه جاريا على عادته في اجتناء جنى قربه لم يخطر بخاطره ولا تعلق في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به فلما ثمل الامير وأخذ منه ما كان يتناوله قال له يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يملأه مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى واجتاز في مضيه بالمغنين وباقي الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم ساعة فقال أنا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها وأدخلها الى الامير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأه مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وسأله وقال ما هذا فقص عليه خبره مع الندماء وقعوده مع المغنين وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من اعادته الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم له غير ما ذكره قال أفتعرف لهذا الفراش ذنبا يستوجب به ما قد جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي نم عليه مما ارتكبه من خيانتك وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له وحديث الجارية من أوله الى آخره فلما أنفذه لاحضار السجلة دعا الامير بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانته عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه ولم يجعل لاحد من عظماء تلك الدولة حكما

البلاد وانقياد الناس له وميل القلوب بجملتها اليه ومخافة الاعداء منه كل ذلك
يسره الله تعالى بما ألهمه اياه من كمال التيقظ الذى لم يسبقه أحد به ولم يلحقه
غيره بما يقرب منه حتى نقل انه كان أشد الناس تطلعا الى خفايا الامور وأعظم
خلق الله تعالى تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا
والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال و يطلع على غوامض القضايا
فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجاريه بالاحسان و يقول ما معناه متى
نقل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته
ولا يأمن دخول خلل عليه فى ملكه وانبسطت أيدى حاشيته وغاشيته باتباع
هواها وتسلطت عمال أعماله على اقتطاع أمواله وافنائها وصارت رعاياه فوضى
لا ترتكب بها النهج غلواتها فلاجرم علم كسرى أن سلوك سبيل اليقظة يهدى الى
الصلاح فصلح ملكه باتباعه وانتهاجه وفهم ان اقتراب التوانى والغفلة ينتج الفساد
فساد على العالم باجتنابه مخافة انتاجه وهكذا كل من اقتفى فى اليقظة طريقه واثره
وارتقى فى نهج معراجه أمن على نظام ملكه من اختلاله وعلى خلل حاله من
اعوجاجه

﴿تيقظ اردشير وعمر بن الخطاب﴾

ومما أدركته أبصار البصائر وأهدته ألسنة الاوائل الى أسماع
الاواخر وجلته بطون الدفاتر من نطف مياه المحابر أنه لم يكن فى ملوك
الامم ومقدميها من ملأ قلوب رعاياه فرقا ووجلا وبسط فى أيام ايالته لكل محق
ومؤمل أملا وضبط أقسام دولته بتيقظه حتى أمن من جنده فشلا ولم ير فى ملكه خللا
وفتح من المعادل ما صار الحال يضرب للاستقبال به مثلا وسلط عيون رواده على
عمال بلاده واجلاد أجناده ليعلم أيهم أحسن عملا ﴿مثل اردشير﴾ بن بابك
ابن ساسان من ملوك الاعاجم قبل الاسلام ﴿ومثل عمر بن الخطاب﴾ رضى الله عنه
اما اردشير بن بابك فانه مدة ملكه وأيام دولته وهى أربع عشرة سنة وعشرة اشهر
أظهر من آثار تيقظه ما هو مذكور فى سيرته ومشهور بين الاعاجم مفصله ومجمله
وأما امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه بذل جهده فى تسديد
الامور وسد الثغور وسياسة الجمهور واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التى فيها
شفاء لما فى الصدور حتى قيل ان علمه بكل من نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات
معه على مهاده فلم يكن له فى قطر من الاقطار ولا مصر من الامصار ولا ناحية من
النواحى وال ولا عامل ولا امير الا وله عين عليه لا يفارقه فكانت أخبار الجهات

سالك مطلوبه الدائم ومرغوبه المتوالي تسربل بملابس اليقظة المغنية عن استعمال قواضي القواضب وعوامل العوالي لينكشف له بها عوار الخطل والخلل ومقاصد أهل الزيغ والزلل ويعلم المفسد من المصلح في القول والعمل فيهون لديه عظائم الامور وتعظم مهابته في الصدور ويتحامى الناس أن يعاملوه بشيء من المحظور والمحذور ومتى آثر على تعب التيقظ راحة الاهمال وركن الى دعة الهوانى الداعية الى الاغفال وسكن في مساكن الغافلين عما يؤول اليه حال المغترين بالحال في الاستقبال كان جديرا بانتقاض مبرم ما ركن اليه واعراض الناس عنه بعد اقبالهم عليه ويؤول أمره الى ندامة يعض منها على يديه ويكفي في نقيصة الغفلة وذم المتصف بها ان الخسارة لازمة له فيما غفل عنه بسببها فان كان في أمر ملك أوذنيا خسر خسارة لايجد على دفعها معينا وان كان في حال الآخرة فقد خسر والله خسرانا مبينا وقد أنفذ الله عز وجل حكمته في ذلك وأبرمه وقصه في كتابه العزيز الذي أنزله وأحكمه فقال عز من قائل في حق من سبق قضاؤه فيهم بدمارهم وجرى القلم في القدم ببوارهم أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ثم صرح بخساراتهم معللا بغفلتهم فقال تعالى أولئك هم الغافلون لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وكما أن الخسارة من لوازم الغفلة فكذا الربح من لوازم اليقظة ومن هذا قال أبو سعيد الحسن البصري التواني رأس خسران الدنيا والآخرة وقال عبد الله بن المقفع حفظت من الحكمة ماهو ضياء يهتدي المتمسك به نهج النجاة ان أعانته العناية الالهية بالتوفيق انتهز الفرصة فانها خلسة وثب عند رأس الامر ولا تثب عند آخره واياك والعجز فانه أوضع مركب واحذر التواني فانه يجلب أنواعا من البلاء

(وقد قيل) من افتراع مطية اليقظة في جلباب العزم ووضعها وادرع جنة الحزم التي مانعها عنه ذو دراية ولا خلعها وأحرز قصبات السبق في انتهاز الفرص عند مكانها فجمعها وزحزح عن المسارعة الى ارتياد المراد مواد الغفلة وقطعها كان جديرا بان يجني بمقترحات الاماني مجذوبة له بزمامها وتجبي اليه ثمرات المطالب مستخرجة من أكمامها وتذل لديه صعاب الدول وجوامح أيامها ويحل له عقائل العاقل علمكها بعد استعظامها هذا كسرى عظيم الفرس خص ببقاء الذكر واشتهار السمعة وانتشار الصيت واستقامة الحال وحراسة الملك وحفظ الرعايا وحماية

ثم وقف على الباب يتجسس فرأى عبداً أسود قدامه اناء فيه خمر وهو يشرب ومعه
جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة
ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فأمسك الاسود فقال له يا أمير
المؤمنين انى قد أخطأت فاقبل توبتي فقال أريد ان أضربك على خطئك فقال
يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاثة أشياء أولها
قال الله تعالى ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها
وأنت أتيتنا من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى انى لا أعود
فقبل توبته واستحسن كلامه رضى الله عنه ووقائع كثيرة مثل هذه تشهد على حرصه
في معرفته بالامور

﴿ تطلع معاوية لاحوال رعيته ﴾

كان معاوية بن أبي سفيان قد تعلقت نفسه بالاطلاع الى استعلام بواطن
الامور وانما حسن ذلك في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وذلك كان من دأب زياد ابن أبيه وبالغ معاوية في ذلك حتى انه نقل عنه ان رجلا كلمه
في حاجة وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم
زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لاعرفك وأعرف أباك
وأمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذا البرد الذي عليك وهو لفلان وقد
عاركه اياه فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء من بعدهم من اقتدى بهم
عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك أحد بعدهم ذلك الى أن ولى المنصور فنصب
العيون وأقام المتطلعين وبعث الخبر في البلاد والنواحي من يكشف حقائق
الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولقد ابتلى في ايام خلافته
بأقوام لا يبرد شرارهم ولا ترد اشرارهم ولا تقل شفارهم ولا تقل انصارهم ولولا ان
الله تعالى أعانه بيقظة لا تهجع جفون سهادها ولا تنقطع عزائم امدادها ولما ثبتت
له في الخلافة قدم ولا رفع له مع بعض قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون
فعرف من انطوى على خلافه فعاجله باتلافه وأطلع على عزائم المعاندين فقطع
قوس عنادهم بأسيافه وصار بكمال يقظته يتلقى المحذور ويدفعه دون وقعه
ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ودانت لخلافته الصعاب
وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما رواه

كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم في أقرب الخلق اليه
أخصهم بدانه عين عليه فساس سياسة ازدشير والتطلع الى حقائق الاخبار
سيرته في تفاصيل هذا الباب حتى كان يطوف في كثير من الليالي سكك المدينة
يقف على قضايا الرعايا خوفا ان نجد حالة لا تصل اليه فيؤاخذ بالتقصير فيها

﴿حكاية عن تفقد عمر بن الخطاب لاحوال رعيته﴾

لقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
نه في ليلة من الليالي في الظلمة يطوف لافتقاد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر
مرو بالم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع منه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا
نه وقال له من الرجل فقال من أهل البادية قدمت الى أمير المؤمنين لأصيب من
ضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها
حد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت
ي بن أبي طالب رضي الله عنه هل لك في أجر قد ساقه الله اليك فقالت وما هو قال
رأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال خذي ما يصلح المرأة من الخرق
لدهن وجيئيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت فحمل القدر ومشت خلفه حتى
البيت فقال ادخلي الى المرأة وجاء حتى قعد الى الرجل فقال هات لي نارا ففعل
جعل عمر رضي الله عنه ينفخ النار ويضرمها تحت القدر حتى أنضجها وولدت
مرأة فقالت أم كلثوم رضي الله عنها يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام فلما سمع
رجل بأمير المؤمنين كأنه ارتاع لذلك وقال يا أمير المؤمنين وا خجلتاه منك أهكذا
فعل بنفسك فقال يا أخا العرب من ولي شيأ من أمور المسلمين ينبغي أن يتطلع على
صغير أمرهم وكبيره فانه مسؤل عنه ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والآخرة ثم قام
وأخذ القدر من النار وحملها الى باب البيت فأخذتها أم كلثوم وأطعمت
ة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في
قدر وفي غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه وانصرف وكان من شدة
صه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح
رعية يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي

﴿لطيفة أخرى عنه﴾

انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا

فرجعت الى منزلي وأنا في كل يوم أترقب خبره وكنت قد أعددت عشرة أفراس من الفرسان الاجواد [illegible] حتى يرجع وحده [illegible] أمرهم على ان نبطش به وكتبت الى المنصور بذلك ثم [illegible] حصل له ما [illegible] في ذلك اليوم [illegible] اليه ذلك الرجل الاسدى وقال له [illegible] من بين يديك فقد [illegible] فقال [illegible] الشرق وجهه [illegible] في نظره فقال [illegible] بأيديكم [illegible] ان تقتلني [illegible] فلما [illegible] من [illegible] الملك [illegible] ثم [illegible] فقام الى الخلاء وقال لا [illegible] صاحب [illegible] فقال لي [illegible] أمرت [illegible] ثم ركبت فرسي فرأيت [illegible] فأخذتهم [illegible] وانصرفنا ولم أر [illegible] صاحب السعاية اليه فلما خرج [illegible] فقال [illegible] فدفعوهم وأسرعنا الى [illegible] كما أمرنا الى المنصور فسر بما [illegible]

﴿نادرة عن تيقظ المنصور﴾

ومما انطبعت بعضه في عقدها وسود اعضاء جدها وعلا جدها ما نقله عقبة بن سالم الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فلما خرج الجند ردني وقال من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين [illegible] فقال اني أرى لك همة ونجابة وأريدك لامر أنا معني به [illegible] فقال في [illegible] وأن [illegible] أمير المؤمنين [illegible] واحضر في يوم كذا وكذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا وقال ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فاخرج بكسى وألطاف من عندي وعين حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ونفسهم ليخشعوا والكتب عن ألسنة تلك القرية والالطاف والعين من عندهم اليه [illegible] يقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر له وعاوده فان [illegible] اليهم وسيروا الالطاف وعينا كما جهلت وأنكر فاصبر له وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت الكتب والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ولقيته بالكتب

﴿ غريبة عن تيقظ المنصور ﴾

بديك ابن حبيب قال دخلت يوما على المنصور للسلام عليه فناهوى بيده الى
فقبلتها فوضع في يدي شيأ لطيفا فقبضته بيدي وخرجت وتأملته فاذا هو ورقة لطيفة
مطوية فنشرتها واذا فيها اذا قرأت كتابي هذا ودخل الناس غدا فادخل معهم
واطلب مني اذنا في سفرك الى ضياعك بالري وقل قد اختلت احوالها ولي حاجة
الى اصلاحها قال بديك فدخلت مع الناس وقلت يا امير المؤمنين ضياعي بالري قد
اختلت احوالها وفسدت أمورها وبي حاجة الى مطالعتها فقال لا كرامة لك في ذلك
ولا اذنا فخرجت ثم دخلت اليوم الثاني وعاودته فقال ذلك الجواب وأغلظ القول
فقلت يا امير المؤمنين انما أريد باصلاحها التقوي بها على خدمتك فقال مبارك
اذا شئت فاذهب فقلت يا امير المؤمنين ولي حاجة قال قل قلت أحتاج الى خلوة
فنهض القوم الجلوس وخرج الوقوف وبقي الربيع وحده فقلت أخالي قال ومن
الربيع قلت نعم قال فنهض الربيع فلما لم يبق أحد هنالك سواه قال يا بديك ان
جدت بمالك ونفسك كنت في موضع ثقتي بك قلت يا امير المؤمنين هل أنا ومالي
الا من نعمتك فانك حقنت دمي ورددت على مالي وآثرتني بصحبتك فأنا واقف مع
أمرك قال يا بديك قد حدث في نفسي ان مرارا قد عزم على خلعي وترك طاعتي
وليس لي من يكشف باطن أمره غيرك لما بينكما من الالف فاذا صرت اليه الى الري
فاظهر الوقيعة في والتنقص بي حتى تعرف ما عنده فاكتب الي به ولا تكتب على
يد بريد ولا مع رسول ولا تركن الى من لا عهد لك عليه ولا يفوتني خبرك في كل يوم
وقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن بالري في الدكان الفلانية فهو يوصل
كتبك على أيدي من رتبتهم عنده قال بديك فمضيت حتى دخلت الري فدخلت
على مرار فقال أفلت وخلصت قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت عليه أؤانسه بالوقيعة
في المنصور واظهار السرور بالخلاص منه حتى اظهر ما كان المنصور قد ظنه به
فكتبت الى المنصور بذلك فلما وصلت الى ما أردت من معرفة ما عنده خرجت الى
ضياعي ثم رجعت اليه بعد ايام فقال نجاك الله من الفاجر فقلت نعم وارجو
أن لا تقع عينه على أبدا وكنت اعرض به فيزيدني مما عنده ثم قال هل لك الى متنزه
طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو نتساير حتى وصلنا الى موضع مشرف بنيت له عليه
قبة فأخذ ينظر الى ما هنالك ثم قال يا بديك أترى الفاجر يظن اني اعطيه طاعة
أبدا ما عشت اشهد علي اني قد خلعته كما خلعت خفي هذا من رجلي قال بديك

عليها في كل شهر وكسوة نسائهم ارصفهما من عندي
منازلكم وتحببكم وتخدمكم وتعرف أحوالكم وأخباركم
بذل قالت نعم هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي
أمرته أن يتاجر بها لما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني
عادته انه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال
ان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية
أردناه فاتخذ منها النساء ما يحتاج اليه عند دخول
سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارعدت خوفا
نيه كلما أراد وكان المنصور يشير بصلاح حال محمد بن
أن لا يشير فيه ولا يخرج عن طاعته فأبى الا دار الالان
المدينة ودخل السوق وقصد السجن وكسره وأخرج من
عن الطاعة وسب المنصور ودعا الى خلعه فلما أسرع
نسبه بالاطافة فدعوه بكل ما فيه صلاح حاله ويحذره
فأعاد عليه الجواب مجاهرا بالشقاق ومتظاهرا بادعاء
آخر يحذره ويخوفه فلم يزدد الا شدة فجهز المنصور اليه
ى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله
اليه وحاربه وقتله وحمل رأسه الى المنصور وخرج ابراهيم
ه دار الامارة وقتل وفتك واستولى على بيت المال وأخذ
الى نفسه فجهز اليه المنصور عسكرا ومازال يعمل فكرته
فطنته حتى قتل ابراهيم وأحضر رأسه اليه قال عبد الله
ورفى أيام خروج ابراهيم بن عبد الله بالبصرة لا سلم عليه
سلام لتتابع الفتوق والخروق عليه وكثرة الاعداء
لافة وان بالكوفة مائة ألف سيف كامنة ينظرون به
فلما دخلت عليه رأيت أسدا مشمرا قد قام الى ما نزل به
الادهم وبغتها فت الهشيم ونهض بها ولم تقعد به نفسه
ته وعزمه وكان يتمثل في تلك الايام بهذا البيت

على حراش * فما يدري حراش ما يصيد

فأنكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك وان معي منهم ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرهم السلام وخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فشخصت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته الخبر وباشياء كان ينتظرها منه فقال لي المنصور اني أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا تلقاني بنو الحسن وفيهم بنو عبد الله فاني أعظمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغت من أكله ونظرت اليك فامتثل بين يديه وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف وراءه وأغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو حسن فأجلس عبد الله الى جانبه وحادثه وطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن حسن وقال يا أبا محمد قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال فلحظني المنصور فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن حسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهامي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال على الهاشمي صاحب عذابه دعاني المنصور يوما واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول أياويلك أصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه وأمر بعذابها فلما بلغ العذاب وأغمي عليها قال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها فقالوا له شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وتسق السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت وحدثها عاود المسئلة عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي

من استحالة الاحوال واختلالها ولم يبق المنتصر بعد أبيه الا أياما قلائل فاقتنصته الاقدار لتوانيه بشباك حبالها وأشراك احتيالها

﴿ايقاظ واتعاظ﴾

هذا جبريل بن بختيشوع الموجه أمانته المفسد عقيدة ديانته الخائن من ائتمنه على مهجته الشائن أبناء جنسه بوصمة خيانته القاتل من لم يقصد أذاه الخاتل من كساه من وارف نعمته وجداه وسقاه من طارف خلافته وغذاه لما كفر نعمة مولاه وأقدم على ارتكاب ما حرم الله أبت العدالة الربانية الا مقابلته على ما أتاه ومجازاته على سوء ما قدمت يداه فعاجله الله تعالى فى الدنيا قبل الآخرة بعقوبته وجزاه من غير اهمال بمثل سيئته وذلك انه بعد أيام ثارت به حرارة أحوجته الى فصد ونقص دم فأحضر تلميذا له ليفصده وأخرج دست المباضع الذى له وقد ختم الله على قلبه وفهمه لانفاذ قضائه فيه وحكمه فأخرج ذلك المبضع المسموم الذى فصد به المنتصر معتقدا انه غيره ودفعه الى تلميذه ففصده به فمات من ساعته فسبحان الحكم العدل الذى لا جور فى حكمه وامضائه ولا ظلم فى قدره وقضائه ولمثل هذه الواقعة قيل اياك وتقريب من استعبده الشره وملكه الطمع واقتاده الحرص واستحوذ عليه الشح فان هذه الخلال ما جمعها الا من فارق الدين وفقد الامانة وعدم المروءة وتحلى بسوء العقيدة وذلك يبعثه على اجابة من بذل له محبوبه وعجل له من المال مطلوبه الى كل ما يحاوله منه ولو كان كفرا بالله تعالى أو سفك دم أنبيائه فيجب على ذى الايالة العظيمة والولاية الحاكمة على الخليقة أن يختبر كل مقرب ليحيط بخبره ويكون على بصيرة من أمره

﴿تفهيم اهتداء وتعليم اقتداء﴾

قد يشرق نور اليقظة من مطالع التوفيق ويتألق ضياء الفطنة فيهدى الى سواء الطريق فيسلكه المتيقظ الفطن فيغنيه عن الافتقار الى رفيق فى الطريق ويحميه عن أن تهوى به ريح الغفلة والتوانى فى مكان سحيق ولهذا يقال من جرى بجواد اليقظة فى حلبات الاعمال أحرز قصبات الآمال ومن اهتدى الى جواد الفطنة من مقامات الاحوال أمن قواطع الضلال ومصارع الاغتيال فكم من فكرة تناولت بيد يقظتها مرامها وطاولت بعزم فطنتها من الافلاك أوج كيوانها وبهرامها فأدركت غاية سؤلها وبلغت نهاية مأمولها وعصت على

﴿تهذيب واعتبار وتقريب واستبصار﴾

نزل عن استثقال مؤونة اليقظة فاطرحها وأهملها واستقبل راحة الغفلة فاستصلحها واستعملها وكحل أبصار التحفظ والتحرز بمرود العمى فعطلها استفتح عليه من أبواب النصب والعطب مغلقها واستطلع من نجوم النحوس في البروج الثوابت آفلها وقد ترتع الغفلة صاحبها في خطة خسف لا يندمل جرحه ويقطع عليه مما يحاوله سبل سعيه فلا يؤمل نجحه فيقعد ويتوانى عن احكام أمره فيحل به حسره فيفوته ربحه

﴿عجيبة عن التواني﴾

وفي قضية أبي جعفر محمد المنتصر بن المتوكل على الله ما فيه تبصرة لمعتبر وتذكرة لمزدجر فإنه لما تواطأ جماعة من مقدمي الدولة على قتل أبيه المتوكل ودخلوا عليه في مجلسه وقتلوه وبايعوا المنتصر بالخلافة وأجلسوه لم يلبثوا الا أياما يسيرة وصار يسترسل في مجالسه غافلا ويهمل ما يوجبه التيقظ والتحفظ قائلا وفاعلا ويصدر منه في حق أولئك القاتلين أباه حركات منطوية على اضمار قتلهم ويقول لهم أنتم قتلتم أبي متجاهرا بانكار فعلهم فلما تكرر منه ذلك مرارا وأظهره في أقواله وأفعاله جهارا وأهمل التيقظ والاحتراز اعلانا واسرارا وأغفل انتهاز الفرص توانيا لا استكبارا ولم يضع على حركاتهم وسكناتهم من يطالعه بها اخبارا أثار عندهم بالتوعد الصادر عنه داعية أعمالهم الحيلة في سرعة الخلاص منه فاجتمعوا وهم من أعيان دولته واتفقوا على المسارعة الى اهلاكه ومبادرته وأن يسبقوه قبل أن يسبق اليهم سيوف نقمته فاستحضروا طبيبه جبريل بن بختيشوع وتلوا عليه من أمرهم سورة قصته ولما ألقوا عليه من ذلك قولا ثقيلا وأفضوا اليه بسرهم ليوضح لهم الى نجح سعيهم سبيلا وبذلوا من المال ما أحضروه لديه قدرا جليلا ومبلغا جزيلا فأجاب لشره عطائهم وأجاب نداهم واستصعب داءهم واستصوب آراءهم وحاز المال الذي بذلوه والتزم انجاز ما أملوه وافترقوا واثقين من جبريل بسرعة سعيه فيما سألوه متحققين لما علموه من اغفال المنتصر التيقظ والتحفظ وعقلوا انهم قد خلصوا من شر كيده وضراء يده فقتلوه فلم يلبث المنتصر الا أياما حتى أحضر جبريل ليفصده ففصده بمبضع قد سمه فمات من ليلته فانظر الى عاقبة الاغفال ووبالها وما يجلبه ترك التحفظ والاستيقاظ

بني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى أفرغ قال
حتى اذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس
فقلت احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى الطلب واكتم علي ثلاثا ثم قل
ما شئت قال أفعل فقلت والله اني تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعني
صفية ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه قال ما تقول يا حجاج قلت
اي والله فاكتم عني ولقد أسلمت وما جئت الا لآخذ مالي فرقا من أن أغلب
عليه فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال حتى اذا كان اليوم
الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة وطاف بها
فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد
افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له
ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم
مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله
أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن قال ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل
بيقظته واحتياله الى خلاصه وتخليص ماله

(فطانة تجديد بيان وتأكيد برهان)

لما جمعت الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة
وتظاهروا وهم في جمع كبير وجم غفير من قريش وغيرهم من أوباش العرب وبني
النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المسلمين واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله اذ جاؤكم
من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن
مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن
مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم
ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا
وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على

آثاراحتيالها لتمحوها من آثار ذيولها فتم مرامها وكمل ووصل مرادها وحصل ودام لها ما حاولته واتصل

﴿لطيفة عن احتيال الحجاج﴾

كما نقلت ألسنة السلف الى أسماع الخلف من قصة الحجاج بن علاط السلمي في حسن تلطفه واحتياله وكمال يقظته في توصله الى تحصيل ماله وتخليصه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي وكان أول ما قدم أسلم تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق في تجار مكة فائذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة فائذن لي لعلي أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أحتاج ان أقول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت في حل قال أبو العباس احمد بن ابراهيم أحد رواة هذا الخبر ان هذا كلام حسن يقال للاحتيال والتوصل الى الحق لانه من باب الفساد قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر وكانوا قد عرفوا ان خيبر قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتحسسون الاخبار فلما أبصروني قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه بلغني انه قد سار اليها وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون انه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي على غرمائي بمكة فاني أريد أن أقدم خيبر فاصيب من نفل محمد واصحابه قبل ان يسبقني التجار الى هنالك فقاموا معي فجمعوا مالي كأحث جمع سمعت به قال وجئت صاحبتي فقلت مالي لعلي ألحق خيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عني أقبل حتى وقف الى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به قال قلت وهل عندك حفظ لما أضعه عندك قال نعم قلت فاستأخر

رهذا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وأرسل الله عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفطنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ من الجواهر المنثورة ونوادر الكلام المأثورة (منها) من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أمن عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به (ومنها) اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا يسام وحاكم لا يرتشى فتدرع بها وأمن فيما استحفظ له من الاختلال والضياع وان يحارفيه عاديه (ومنها) ما استظهر عدو المرء عليه بأعظم من توان دائم يجده فيه وغفلة مستمرة يأنس بها واستقبال اعباء التحرز والتحفظ واهمال الفرص فى أوقات انتهازها (ومنها) من احتجب عن وفود اليقظة اذن فى ورود النقم ومن استعذب راحة الغفلة تجرع مرارة الندم ومن استفرش شقة التوانى فيستبطن مشقة الالم ومن استصوب مصاحبة الاهمال فسوف يزل به القدم

﴿الباب التاسع فى العفو واصطناع المعروف﴾

العفو عن أرباب الهفوات والتجاوز باقالة العثرات والحلم عن مقترفى الزلات والصفح عن ذوى الهيآت واسداء الاحسان وفعل الخيرات واصطناع المعروف لاسيما الى أهل الدرايات كل ذلك معدود من محاسن الحسنات ومكارم الاخلاق التى هى صفة الصفات وقد نطق بذلك القرآن الكريم فى كثير من الآيات وصرحت به السنة النبوية على ألسنة الرواة الثقات قال الله عز وجل وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر وقال تقدس اسمه يخاطب نبيه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ونقل انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة قلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال أبو هريرة رضى الله عنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له فى ذلك مم تضحك يا رسول الله قال

ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد
ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وأولادهم بغيره وليسوا أمثالكم
فان هم رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل
ببلدكم ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون
بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمدا حتى تناجزوه قالوا أشرت بالرأي ثم أتى
قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان قائد المشركين من قريش ولمن معه من كبراء
قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني أمر قد رأيت على حقا أن
أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على
ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على نقض العهد الذي
بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من
أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي حتى نستأصلهم
فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا
منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان قال يا معشر غطفان انكم أصلي
وعشيرتي وأحب الناس الى ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم
قال فاكتموا على ما أقول لكم قالوا نفعل ثم قال لهم ما قال لقريش وحذرهم مثل ما
حذرهم فلما كان ليلة السبت وكان من صنع الله تعالى لرسوله أرسل أبو سفيان
ورؤس غطفان الى بني قريظة فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر
فأعدوا القتال حتى نناجز محمدا ونفرغ ما بيننا وبينه فارسلوا اليهم في جوابهم ان
اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا
حتى تعطونا رهنا من رجالكم تكون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان
ضرمتم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل
في بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش
وغطفان والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا
لا ندفع اليكم والله رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا
فقال بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل هذا الكلام الذي ذكره نعيم لحق ما يريد
القوم الا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا

آباطال وان غضب لا يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وكان معاوية يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى

﴿ بداية وهداية ﴾

فى جواهر الآثار وخبايا الاخبار ما تشنف أسماع ذوى الاستبصار ويرشد الى ارتقاء منازل أهل الفخار فانه يقال من اقتدى بعلوم الحكماء فى اقتناء الاخلاق الرضيه واهتدى بنجوم العظماء فى اقتفاء الطرائق المرضية كان خليقا أن يوصف بالنفس الزكية والسنة الاخرمية وجدير ان يعرف بالسيرة النبويه والهمة العلية كما نقل عن المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور فى الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدى عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما دخل بغداد اختفى ابراهيم بن المهدى وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى اخذه متنقبا مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدى المأمون فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال له المامون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولى الثار يحكم فى القصاص والعفو والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسه ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرخاء أمن عادية الدهر على نفسه وهجمت به الايام على التلف وقد جعلك الله فوق كل ذنب كما جعل كل ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * واصفح بعفوك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع فى عينيه وقال يا ابراهيم القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله وهو أعظم مما تحاول وأكثر مما تؤمل ولقد حبب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تثريب عليك ورد أمواله جميعها اليه فقال فيه مخاطبا

رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل من أوزاري ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك اليوم ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك الى الجنة فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن يملك ثمنه يا رب قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت عنه قال فخذ بيده وادخل به الى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وقال تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله ونقل أيضا أبو هريرة ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع في أبي بكر رضي الله عنه وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد عليه أبو بكر رضي الله عنه بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله شتمني وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض الذي قال فغضبت وقمت فقال صلى الله عليه وسلم حين كنت ساكتا كان ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان ولم أكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاثة حق انه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا أعزه الله ونصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة الا زاده الله بها كثرة وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت انه يوصيني بترك الحدود وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من كان له أجر على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العبادة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم أتى جبريل عليه السلام بمكارم الاخلاق في الدنيا والآخرة قلنا ما هي يا رسول الله قال قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * ودخل معن بن زائدة على معاوية فقال له يا معن كيف حبك لعلي بن أبي طالب فقال أحبه على وجوه كثيرة على حلمه اذا غضب وعلى صدقه اذا قال وعلى وفائه اذا وعد وعلى عفوه اذا قدر وان رضي لا يخرجه رضاه الى

تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال ألست الراكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال قالت بلى قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس و بتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والامر يحدث بعده الامر فقال صدقت فهل تحفظين شيأ من كلامك قالت لا والله قال لله أبوك لقد سمعتك تقولين أيها الناس انكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيالها فتنة عمياء صماء لا يسمع لقائلها ولا ينقاد لسائقها أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكوكب لا ينير مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشد أرشدناه ومن سأل أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معاشر المهاجرين والانصار فكان قد التأم شعب الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوى المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر فمن كتب يمدح الاقدام وذم الاحجام ولا يجان أحدكم يقول كيف ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا ان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الامور عاقبة أيها الى الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت قد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه فقال لها وقد سرك ذلك قالت نعم والله سرني قولك وانى لي بتصديقه فقال معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب الي من حبكم له في حياته اذكرى حاجتك لتقضى قالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا أعنت عليه شيأ قال قد أشار على بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت كرم منك يا أمير المؤمنين فمثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسئلة وجاد من غير طلبة فقال صدقت ثم أعطاها كسوة ودراهم واقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الى وطنها وكتب الى والى الكوفة بالوصاة بها وبعشيرتها (وقيل) كان لعبد الله بن الزبير أرض وله فيها عبيد يعملونها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا الى معاوية يقول

رددت مالي ولم تمنن علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فان يجد نك ما أوليت من كرم * اني لبالاؤم أولى منك بالكرم

﴿تأكيد بيان وتجديد برهان﴾

من قابل المكروه بالعفو والزلة بالحلم والاساءة بالاحسان والسيئة بالغفران فقد أوطأ أخمص قدمه مفرق أوج السيادة وأعطى نفسه بشراها بأن لها الحسنى وزيادة وكان في أول جريدة الاعتبار اذا عد أهل السعادة وقد صدع لسان النقل فأسمع وفرع فنن الرواية فأينع وطلع نجم الاسناد فلمع وتتابع طريق الاخبار فما انقطع ﴿ان معاوية﴾ لما ولي الخلافة وتفوق حلب اخلافها وتطوق نصب انصافها ومزق سرب أخلافها وفرق عصب اسرافها وانتظمت لديه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعفه في مراده القدر المقدور استحضر لديه خواص أصحابه المنتظمين في سلك مساعدته على محابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة فيها من المعروفين وانهمكوا في القول الصحيح والمريض وسلكوا شعبه في اليفاع والحضيض وآل حديثهم بعد التصريح والتعريض الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة بأصحاب علي مسمعة اياهم كلاما كالصوارم لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية فأيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال ما تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال معاوية بئسما أشرتم به وقبحما قلتم أيحسن أن يشتهر عني انني بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة وفت لصاحبها اني اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة أن أوفد الى الزرقاء بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وأقرأها الكتاب فقالت ما أنا بزائغة عن الطاعة فان كان أمير المؤمنين جعل الاختيار الي لم أبرح من مكاني وان كان حتم الامر فالسمع والطاعة له فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف مسيرك قالت خير مسير كأني كنت ربيبة بيت أو طفلا في مهد فقال بذلك أمرتهم فهل

من مكارم الاخلاق واقتد بالله تعالى فانه لو أطاع فيك مشير الما استخلفك طرفة عين وأحسن كما أحسن الله اليك فأمر باطلاقه وأحسن اليه وقال لا تعاودونى فيه

﴿حكاية عن المنصور﴾

ومن قبيل ذلك مما ينتظم فى سلك هذا الاستبصار وينذرج تحت هذا الاعتبار ما نقل عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جأشا ولا أثبت جنانا من رجل رفع عليه وسعى به الى المنصور ان عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فأمرنى باحضاره اليه فأحضرته ودخلت به عليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى لبنى امية عندك فاخرج الينا منها واحضرها ولا تكتم منها شيأ فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بنى أمية قال لا قال فوصى لهم فى أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فاطرق المنصور يفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين وأنا وكيل المسلمين فى حقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله فى بيت لمال قال يا أمير المؤمنين فتحتاج الى اقامة بينة عادلة على أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شئ ولا يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال لى هل لك من حاجة قال نعم حاجتى أن تنفذ كتابا على البريد الى أهلى ليسكنوا السلامتى فانهم راعهم اشخاصى اليك وقد بقى لى حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال وما هى قال تجمع بينى وبين من سعى الى بى فوالله ما لبنى أمية فى يدى مال ولا وديعة ولكننى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى دللته أولا فرأيت ذلك أقرب للخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى ضارب على ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من الطلب له فسعى بى فشدد المنصور على الغلام وخوفه فاقر بانه غلامه وأنه اخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه خوفا من أن يقع فى يده فقال المنصور للشيخ أنسألك أن تعفو عنه قال قد عفوت عنه وأعتقته وقد وهبت له الثلاثة آلاف دينار التى أخذها وثلاثة آلاف دينار أخرى أدفعها له فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى

فيه أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان الى ذلك
شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال
يا بني ما ترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك
يأتوك برأسه فقال أو خير من ذلك يا بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب
عبد الله بن الزبير فقال وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه
وسلم وساءني ما ساءه والدنيا بأسرها هينة في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي
صكا بالارض والعبيد وأشهدت على نفسي بذلك وليستضفها مع عبيدها الى أرضه
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على
كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله من قريش
هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقرأه رمى به الى ابنه يزيد
فلما قرأه أسفر وجهه فقال له يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
القلوب فاذا ابتليت بشيء من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء

﴿استبصار مهتد واعتبار مقتد﴾

قد تعظم جريمة المسيء في القلوب ويتفاقم ذنبه في النفوس فلا يرجى له عفو
ولا يتوقع عنه صفح فاذا أقيم مقام الانتقام منه وتمكنت فيه يد الاقتدار
عليه أنطق الله جل وعلا لسانه بما يرغب المنتقم منه في العفو عنه وربما يزيد
على العفو والصفح عن جرمه بالاحسان اليه والرعاية له كما جاء ببطون الصحائف
الى الخوالف من أخبار من سلف من الخوالف قال الرشيد بن المهدي خرج عليه
خارجي رام زوال ملكه وافساد دولته فجهز له جيشا وانهض الناس واجند
للخروج لقتاله فلما توجه الجيش اليه وظفروا به أحضروه الى دار الخلافة فلما
دخل على الرشيد قال له ما تريد أن أصنع بك قال له اصنع بي ما تريد ان يصنع الله
بك اذا وقفت بين يديه وهو أقدر عليك منك علي فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه
وأمر باطلاقه فلما خرج قال بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين تقتل رجالك وتفني
أموالك وتظفر بهذا الذي خرج عليك وأفسد في بلادك وتطلقه بكلمة واحدة
تأمل يا أمير المؤمنين هذا الامر فانه يجرئ عليك أهل الفساد فأمر الرشيد برده
فلما عاد ومثل بين يديه علم انه قد سعي به وأشير على الخليفة بقتله فقال يا أمير المؤمنين
لا تطع في مشيرا يمنعك عفوا تدخر به عند الله يدا ويبعثك على الانتقام الذي ليس

و بين الدخول عليك فان أراد رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن
ذلك ووقفت رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك المظلوم الى ان رجل و بلغ بطانتك
سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته فان المتظلم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفا منهم
فلا يزال المظلوم يختلف اليه و يلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدافعه ولا يقبل عليه
واذا جهد واضطر وأخرج وقف وصرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا مبرحا
ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر فما بقاء الاسلام على هذا وقد كنت يا أمير
المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا
فعزاه بعض جلسائه فقال اما انى لست ابكي على ما نزل بي من ذهاب سمعي
ولكنى ابكي لمظلوم يقف يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال اما اذا ذهب سمعي
فان بصري لم يذهب نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ثم صار يركب
الفيل طرفى النهار و ينظر هل يرى مظلوما فهذا مشرك بالله تعالى غلبت رأفته
بالمشركين شح نفسه وأنت تؤمن بالله واليوم الآخر ثم من بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم غلبك شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله
فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة
تحويه فما يزال الله جل وعلا يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس
اليه ولست الذى يعطى بل الله يعطى من يشاء بغير حساب وان قلت انما
أجمع المال لتشديد السلطان وتقويته فقد أراك الله تعالى بنى أمية ما أغنى
عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والكراع والسلاح
حين أراد الله بهم ما أراد وان قلت انما أجمعه لطلب غاية هى أجسم من الغاية
التى أنا فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة لا منزلة لا تنال الا بخلاف ما أنت عليه
يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأكثر من القتل أو الصلب قال المنصور
لا قال فكيف تصنع يا أمير المؤمنين يوم القيامة عند لقاء الله عز وجل الذى خولك
ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه من عبيده وعمل بخلاف ما أمر به فى كتابه بالقتل
ولكن يعاقبه بالخلود فى العذاب الاليم وقد ترى ما عقد عليه قلبك وعملته
جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه قدماك هل يغنى
ما شححت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يديك ودعاك الى الحساب على ما خولك
فلما أتم الرجل كلامه والمنصور يعلو منه بكا بكاء شديدا ثم قال يا ليت المنصور

يا امير المؤمنين ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل الشيخ يا ربيع

﴿موعظة بليغة تحض الحكام على تطلع أحوال رعاياهم﴾

ومما يطرب لفظه ويجتنب رفضه ويتعين على ذوى الدراية واليقظة حفظه ما يجمع أشتاتا من الفوائد ويسرع أسبابا الى المقاصد ويطوق أجياد الغير بفرائد القلائد ويحقق لذوى الفكر ان نصح أولى الامر من أعظم الفوائد وهو ما جرى للخليفة المنصور المذكور بمكة حرسها الله تعالى وتلخيص ذلك ان المنصور كان يطوف بالكعبة ليلا اذ سمع قائلا يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فخرج المنصور وجلس فى ناحية المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه فصلى ركعتين واستلم الركن ثم أقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور ما الذى سمعتك تقول وتذكر من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى قال يا أمير المؤمنين ان أمنتنى انبأتك الامور على جليتها واصولها والا أجادل عن نفسى قال له المنصور أنت آمن على نفسك فقال ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين اصلاح ما ظهر من البغى والفساد أنت قال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى قال وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ان الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم الاسلحة وأمرتهم أن لا يدخل عليك الا فلان وفلان سميتهم ولم تأمر بايصال الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير وما أحد الا وله فى المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يحجبوا عنك تجبى الاموال فلا تعطيها وتجمعها ولا تقسمها قالوا هذا خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل يخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما اشتهر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ليناولوا به ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه

رجل منهم له سمت ورواء وهيئة فلما هم الحجاج
ما هذه الضجة قال نسوة في الباب يسألن
لهن بالدخول فدخلن وهن ثلاث وعشرون
الذي هم الحجاج بقتله فقال لهن الحجاج
قالت أصلح الله الامير ان رأيت أن تجود باستماع

كه * عليـنا وإما أن تقتلنا معا
ه * وعمـاته يندبنه الليل أجمعا
ه * ثمـانا وتسعا واثنتين وأربعا
ه * علينا فمهلا لا تزدنا تضعضعا

وعفا عنه وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار
وخبر النسوة والمرأة وشعرها وانه قد رق لهن
الى عبد الملك يحمده على ذلك وأمره أن
صارت له زيادتان زيادة الحجاج وزيادة عبد
ت عن النسوة وهذه الحالة الصادرة عن
ناره لكن حذبه الله تعالى الى فعلها بأرمة
عفو والحلم والتجاوز والسمح الى هذا المقام فلا
نبذة من القول في اصطناع المعروف والدواعي
وثوابه مستفيض ومورده معين وروض
فيق يفاع ومقام مجتذبه حضيض وفي الآيات
بات وحض وتحريض فان اسداء المعروف
وأي عمل خير من خير يكتب في صحيفة
فعلوا من خير فلن تكفروه وقال تعالى ان
وقال تعالى ان الله يحب المحسنين وقال تعالى
تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أهل المعروف
وانه قال اصطناع المعروف يقي مصارع السوء

لم يخلق ثم قال للرجل يا هذا لو كنت أفكر في الانتقام منك على ما جبهتني به والآن فقد رأيت العفو عن مقالتك أصدق مقصدك أولى وشكرك على نصحك أحمد فكيف أخذتني إلى نفسي والسلامة مع مؤاخذة الله تعالى على ما أوبخته فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم ويرضون بقولهم فاتخذهم لك بطانة يرشدوك واستعن بآرائهم وأقوالهم يسددوك قال المنصور قد بعثت إليهم فهربوا مني قال الرجل خافوا منك ان تحملهم على طريقتك فلم يرضوا بها ولكن افتح باب مجالسك وسهل حجابك وانظر في أمور الناس وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفيء والأموال مما حل وطاب واقسم ذلك بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن لك انك اذا فعلت ذلك أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة فبينما هو والرجل في الحديث دخل المؤذنون فسلموا عليه للصلاة فقام وصلى فلما فرغ من صلاته ودعا فطلب الرجل فلم يجده فما زال المنصور بعد ذلك يذكره ويقول اذا ذكره كرهت كلامه ثم حمدته وانتفعت به

(تذييل اشارة وتسهيل عبارة)

اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وفتح أبوابه وأوضح صوابه ومنح اكتسابه وقلب له القلوب النافرة عنه فآثرته وجذب إليه النفوس الحاذرة منه فباشرته حتى يصدر ذلك المصدور على خلاف طباع مصدره ويحصل منه ولو فعله غيره لاستحق الانكار عليه في نظره كل ذلك لانفاذ الله تعالى في عباده حكم قضائه وقدره

(بديعة عن الحجاج)

هذا الحجاج بن يوسف الثقفي كان قد جمع خلالا قبيحة ظاهرة وباطنة من دمامة الصورة وقبح المنظر وقساوة القلب وشراسة الأخلاق وغلظ الطبع وقلة الدين والاقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة حرسها الله تعالى وهدم الكعبة ورماها بالمنجنيق وبالنفط والنار وأباح الحرم فسفك وهتك وقد قيل ان في مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ومات في حبوسه ثمانية عشر ألف انسان وكان لا يرجو عفو الله ولا يتوقع خيره وكانه قد ضرب بينه وبين الرحمة والرأفة بسور من فظاظة وغلاظة وقساوة ومع ذلك فقد رقق الله قلبه وألان عريكته وألهمه ما خالف سجيته وباين عادته فانه في واقعة يزيد بن شبيب الشيباني لما خرج في أيام عبد الملك بن مروان بالعراق فظفر به الحجاج وبأصحابه جعل يقتل كل مقدود

واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه ودخل فيما جعل الله نجاة من تلفه وأرغب السجان وتحدث اليه واستماله اليه وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وهو عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وأمير المؤمنين أشمل رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يا أمير المؤمنين انى انما أجرت يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه اربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار هذا الرجل الى مستجيرا فاجرته وانا أغرم عنه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فعل منعما فكتب اليه الوليد انه لا بد أن تنفذ الى يزيد مقيدا مغلولا فلما ورد ذلك على سليمان بن عبد الملك أحضر ولده أيوب فقيده ودعا بيزيد فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وحملهما الى الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فانى قد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد ابن المهلب وأيوب بن سليمان عليه في سلسلة واحدة أطرق واستحيا وقال لقد أسأنا الى سليمان اذ بلغنا به هذا المبلغ فأراد يزيد ليتكلم ويحتج عن نفسه فقال له الوليد ما تحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فصار يزيد الى سليمان بن عبد الملك بن مروان في أعلى المراتب وأفضل المنازل وينتظم في سلك هذه الواقعة ويقرب منها واقعة الكوفي مع معن بن زائدة

﴿لطيفة وهي واقعة الكوفي مع معن بن زائدة﴾

وتلخيص معناها ان الخليفة المهدي بلغه عن انسان من أهل الكوفة انه سعى في

وانه عليه السلام قال من بسط يده بالمعروف اذا وجد أخلف الله عليه في دنياه وضاعف له الاجر في الآخرة ونقل عن المسيح بن مريم عليه السلام انه قال لاصحابه استكثروا من شئ لا تأكله النار قالوا وما هو يا روح الله قال المعروف وقد قيل ان كعب الاحبار كان عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو ينشد هذا البيت

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال له كعب يا امير المؤمنين ان هذا الذى قلته فيما أنزله الله في التوراة على موسى بن عمران عليه السلام فان في التوراة يقول من يصنع الخير لا يضيع عندى لا يذهب العرف بيني و بين عبدى

﴿تمهيد قاعدة وتجديد فائدة﴾

من مد يد تطلعه الى اقتطاف ثمار الاخبار وجذب جديد فطنته في استعراف أسرار الآثار وردد انسان ناظره الى استجلاء ما أسفرت عنه وجهات الاسفار وشد وسط عزمه لاجتناء الفوائد المقتطفة من جهات الاسفار كان خليقا أن يحصل منها على غرائب يفتح لها ابواب المسامع وجديرا أن ينقل عنها عجائب يطرب عند ذكرها كل سامع لاسيما فيما يستعبد حرا ويخلد ذكرا ويستجد شكرا ويسد فقرا ويبيد عسرا ويفيد يسرا ويمد الى اكتساب مكارم الاخلاق جمرا فمن ارتدى بجلبابها واهتدى بأسبابها واقتدى بأربابها فمنح معروفا وأفرح ملهوفا وكشف مخوفا وصرف عن أبناء جنسه حتوفا فقد أسجل له حاكم فعله بشرف أصله وأدخله المعروف في زمرة أهله وفضله التوفيق على غيره لما أتاه الله من فضله ولا بد لمن أحب الارتداء برداء السعداء والاقتداء بما اعتمدوه من الاسداء والاهتداء بنور أفعالهم في الاعادة والابداء من أن يقع لهم على وقائع كرائم اعتمدوها وصنائع معروف رددوها وطرائق خيرات قصدوها وحقائق مروآت وجدوها ومنن نظموها في قلائد الاعناق وقلدوها واحسان استرقوا به رقاب الاحرار فاستعبدوها فانه يقال من نسج على منوال رآه فقد أصاب ومن ابتهج قصد منال حذاه فما خاب وهذه نكت صنائع انتج القدر الاستدلال بها في هذا الباب وصور وقائع برزت من حجابها الذكرها أولوا الالباب

﴿غريبة عن واقعة يزيد بن المهلب﴾

(منها) واقعة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فان الحجاج أخذه وعذبه وقصده

ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار عظيم عليه شجرة وعلى الباب
خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم عندك ماء تسقينيه قال نعم وقام فأخرج
قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت
مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعمى يتلمس فقلت ما تريد
يا هذا قال اياك أريد قلت وما حاجتك فجاء حتى قعد الي وقال شممت منك رائحة
طيبة فظننت انك من أهل النعم فأردت أن ألقي اليك شيئا فقلت قل قال ترى باب
هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه
فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار
لاسأله شيئا يصلني به وأستوصل به الى سوار فانه كان صديقا لابي قلت ومن أبوك
قال فلان بن فلان قال فاذا هو أصدق الناس كان لي فقلت له يا هذا ان الله
تعالى قد أتاك بسوار منعه النوم والطعام والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك
ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان غد فصر الى
منزلي ثم مضيت فقلت ما أحدث أمير المؤمنين المهدي بشيء أظرف من هذا فأتيته
فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته فأعجبه وأمر لي بالفي دينار وقال
ادفعها الى الاعمى فنهضت فقال اجلس أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت
خمسون ألف درهم فأمسك وجعل يحادثني ساعة وقال امض الى منزلك واذا بخادم
معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت ذلك
منه فلما كان من الغد ابطأ علي الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته
فقال فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا
ثم أمرت لك بخمسين ألف درهم أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعمى
فدفعت اليه الالفين وقلت له قد رزق الله تعالى بكرمه وحسن معاملته بابتداء
المعروف اليك بأضعاف ذلك ثم أعطيته شيئا آخر من مالي وجهزته وانصرف

﴿جوهرة قضية عبد الله بن مالك الذي كان ينفذ أوامر الخليفة ويخالف ابنه ثم تولى ابنه الخلافة وقربه اليه﴾

ومما يلتئم مع هذه القصة ويشفعها ويلتئم بها ويتبعها قضية عبد الله بن مالك
قال كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي وكان يبعث الي في ندماء ولده الهادي
أن أضربهم وأحبسهم صيانة للهادي عنهم فيبعث الي الهادي يسألني الرفق بهم
والتخفيف في أمرهم فلا ألتفت الى ذلك وأمضي لما يأمر به المهدي فلما ولي

فساد دولته فأهدر دمه وجعل لمن دل عليه أو جاء به مالا جزيلا وأقام الرجل مدة
متوار بالأطمار مخافة الهلاك فلما طالت الأيام عليه خرج هاربا من بغداد فبينما هو
يمشي في بعض نواحيها بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثوبه
وقال هذه بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحال إذ سمع وقع الحوافر من
ورائه فالتفت فإذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال
للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين فإنه أهدر دمه وجعل لمن دل عليه
مالا جزيلا فقال معن لغلام من غلمانه انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح
الرجل بالناس أيحال بيني وبين طلبة أمير المؤمنين فقال معن اذهب وأخبره أنه
عندي فانطلق الرجل إلى باب دار المهدي وأخبر الحاجب فأخبر المهدي فأمر بإحضار
معن فأتته الرسل فأحضر أهل بيته وقال لا يخلص إلى هذا الرجل ومنكم عين تطرف
ثم ركب وسار إلى المهدي فدخل عليه وسلم فرد سلامه وقال يا معن أتجير علي قال
نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي ونعم واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين قتلت في اليمن
في يوم واحد في طاعتكم خمسة عشر ألفا إلى أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن
عنائي فما رأيتموني أهلا أن يوهب لي رجل واحد استجار بي فأطرق المهدي طويلا
ثم رفع رأسه وقد سري عنه وقال قد أجرنا من أجرت ووهبناه لك فقال معن إن
رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف
درهم قال فيأمر أمير المؤمنين بتعجيلها فأمر بذلك فأحضرت فانصرف معن إلى
الرجل بالمال وأضاف من عنده كسوات ودفع الجميع إليه وقال خذ هذا والحق
بأهلك وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى

﴿غريبة من غرائب هذا المطلوب وعجائب هذا الأسلوب﴾

ما أورده محمد بن القاسم الأنباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو
من المشهورين قال انصرفت يوما من دار المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام
فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية لي أحادثها وأشتغل بها فلم تطب
نفسي ودخلت وقت القائلة فلم يأخذني نوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت
وأحضرت فركبتها فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال
ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني قال فخليت رأس
البغلة حتى عبرت الجسر ثم عبرت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت إلى الصحراء

الخليفة الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال أخبرني عن قصة هذا البيت قال كنت يا أمير المؤمنين في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت بضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال رجل من القوم لي تقدم ترى ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع يخور كخوار الثور ويرغو كرغاء الابل فهالني أمره وبقيت لا اهتدى الى ما أعمل في أمره فعدلنا عن الطريق في ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم يقربه واذا رمى بسهم نبا عنه ولم يعمل فيه فقلت في نفسى أفدى هذا العالم بنفسى أتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وأنا متوقع منه وثبة يزدردنى فيها فلما رأى القربة من الماء فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في اناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من ماء وعدلت عن الطريق ناحية فقضيت حاجتي وفرغت من صلاتى وجلست مكانى والقافلة على حالها فأخذتني عيني فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا فلما لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أعمل أخذتنى حيرة وبقيت أضطرب واذا بصوت هاتف يقول ولم أر شخصا

يا أيها الشخص المضل مركبه * دونك هذا البكر منا فاركبه

وبكرك الميمون أيضا فاجنبه * حتى اذا الليل أزال غيهبه

فحط عنه رحله وسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندى وبكرى الى جانبه فأنختـه وركبت فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولى فتحولت الى بكرى وقلت

الهادى الخلافة أيقنت بالتلف فبعث الى يوما فحضرت ودخلت عليه متكئا متخطا واذا هو جالس على كرسى والنطع والسيف بين يديه فسلمت عليه فقال لا سلم الله عليك تذكر يوما بعثت اليك فى أمر الحرامى لما أمر أمير المؤمنين بضربه فلم تجبنى وفى فلان وفلان وجعل يعدد ندماءه فلم تلتفت الى قولى قلت نعم يا أمير المؤمنين أفتأذن أن أتكلم قال نعم قلت أنشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك انك وليتنى ماولانى أبوك وأمرتنى بأمر فبعث الى بعض ولدك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك قال لا قلت فكذلك أنا لك وكذلك كنت لابيك فاستدنانى فقبلت يده فأمر بخلع أفيضت على وخرجت من عنده وصرت الى منزلى مفكرا فى أمره وأمرى وقلت فى أمرى يحدث القوم بالامر الذى عصيته فيه وهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكأنى بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه عن رأيه فى وحملوه فى أمرى على ما كنت أتخوفه قال فانى لجالس وبين يدى خبز من رقاق مشطور بكامخ وأنا أسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت ان الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت هاو الله قد جاء الامر واذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا وأمير المؤمنين الهادى فى وسطهم فلما رأيته وثبت من مجلسى مبادرا فقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال لى يا عبد الله انى فكرت فى أمرك بعد انصرافك فقلت يسبق الى قلبك انى اذا جلست وحولى أعداؤك الذين أسأت اليهم أنهم يزيلون ما حسن فى رأيى فيك فاقلقك ذلك وأوحشك ومنعك القرار فصرت الى منزلك لأؤنسك وأعلمك ان الوحشة قد زالت عن قلبى فهات فاطعمنى مما كنت تاكل وافعل فيه ما كنت تفعل حتى تعلم ان الوحشة قد زالت وقد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فلا استوحش ليزول خوفك ووحشتك فادنيت منه ذلك الرقاق والسكرجة التى فيها الكامخ فاكل ثم قال هاتوا ما أحضرتموه لعبد الله من مجلسى فادخلت بغال كثيرة موقورة دراهم وأطعمة وقال هذه لك فاستعن بها وهذه البغال أيضا وقد وليتك ماكان ولاك اباه والدى المهدى ثم انصرف فوجدت من النعيم والخيرات والدراهم والملابس ما لا حصل لى فى طول مدة خدمتى المهدى وصرت بعد ذلك أعد نفسى من صنائعه

(غريبة)

ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى ما قاله القاضى يحيى بن أكتم قال دخلت يوما على

وبطالب التضايا عند ظلم الشبهات تعرف بأنوارها ولما كان الصدق من أجل المزايا وأكمل السجايا وأشرف العطايا وأتم الرضايا وانه من أعلى الاوصاف محلا وأعظمها منزلة وأحسنها سمعة وأنفعها أثرا ووجه صاحبه الابيض وباعه الاطول لاجرم كرر الله تعالى ذكر الصدق ومدحه في مواضع من كتابه وأثنى على من اعتمده وأتى به فقال جل وعلا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال تعالى الصابرين والصادقين وقال تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وقال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون والآيات في هذا الباب كثيرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وأما الكذب فقد صرح القرآن الكريم في محكم آياته والحديث النبوي على ألسنة رواته بما يشهد بقبح الكذب اما للازمه واما لذاته وانه معدود في حق مباشره من أوزاره وسيآته ويكفي في ذلك قول الله سبحانه وتعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال صفوان بن سليم قلنا يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أيكون كذابا قال لا

﴿ومما فيه زيادة استبصار وافادة اعتبار﴾

انه كم من سبب دمار وعطب وبوار واتلاف من ذي اقتدار واشراف على جرف هار عارضه الصدق فأبطل حكمه ومقتضاه وأزال أثره وعفاه وزحزح صاحبه عن التلف ونجاه وألبسه لباس سلامة وسعادة وكساه

﴿حكاية الغار﴾

وفي القصص التي جمعت الصحة بين متنها واسنادها وأجمعت أئمة العلم على نقلها وايرادها ما فيه غناء عن كثرة الوقائع وتعدادها والاكتفاء عن مقدمات استدلالها واستشهادها (فمنها) واقعة أصحاب الغار وتلخيص معناها

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن فيافي تضل المدلج الهادي
ألا تخبرنا بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
ارجع حميدا فقد أبلغت مأمننا * بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت الى البكر وسمع منه الصوت يقول

انا الشجاع الذي ألفيتني رمضا * والله كشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكادي
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقضية والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع

خاتمة لهذا الباب

في كلمات من الحكم مرقومة ببراعة الفصاحة واشارات من الكلام المنظومة من براعة الملاحة (منها) ليس من عادة الكرام اسراع الانتقام فلا تأخذنك النميمة ولا تنتقم مع القدرة ولا تزهد في العفو وارحم من دونك يرحمك من فوقك (ومنها) أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه (ومنها) من احب أن يعفو الله عن سيآته ويتجاوز عنه فليعف عن هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيآتهم ما لم يكن فيه اسقاط حد من حدود الاسلام ويجاوز الى الوقوع في حمى الحرام (ومنها) الانتقام من المذنب عدل والعفو عنه فضل ومحل الفضل أعلى والتحلي به أولى وذو الهمة العلية والنفس الزكية يرغب في الحظ الوافر والنصيب الاوفر (ومنها) اصطناع المعروف يقي مصارع السوء ويزرع المحبة في القلوب ويكتب الشكر على الالسنة وينشر حسن السمعة في الدنيا ويستميل الناس الى مدح فاعله عند استغنائه عنهم والى تلبية دعائه واجابة ندائه عند استغاثته بهم والى الاخذ بيده ان أحوجته حوادث الايام اليهم ويورث جزيل الاجر ويخلد جميل الذكر

الباب العاشر في مدح الصدق وذم الكذب

مراتب المزايا في مقام التفضيل بمقدار آثارها ومناقب السجايا عند ذوي التحصيل بتفاوت مقدارها ومواهب العطايا بين أهل الرغبات تختلف باقدارها

لنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أن يتأهب الناس
جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفه
ظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي
يا بالغداة وكان يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم
نطلق غدا الى السوق فأشتري جهازي ثم ألحق بهم
دفعسر على بعض شأني ورجعت فقلت غدا ان شاء الله
على بعض شأني أيضا فلم أزل كذلك حتى التبس لي
الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أمشي في الاسواق
ن لا أرى بالمدينة أحدا الا رجلا مغموصا عليه في
ـه تخلف الا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا
ـع من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا
النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال ما فعل
من قومي يا رسول الله خلفه برداه والنظر في عطفيه
ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه الا خيرا فبينما هم
لسراب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة
لنبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ودنا من المدينة
هس سخط النبي صلى الله عليه وسلم واستعين على ذلك
قيل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مصبحكم بالغداة راح
نحو الا بالصدق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتين ثم جلس فجعل يأتيه كل من تخلف فيحلفون له
لهم ويعجل علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى
لس فلما رآني تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين
تعت ظهرا فقلت بلى يا رسول الله قال فما خلفك قلت
ت لخرجت من سخطه على بعذر لقد أوتيت جدلا
وان أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فاني
ك اليوم حديثا ترضى عني فيه وهو كذب أرشك الله
ت أيسر ولا أخف حاذا مني حين تخلفت فقال أما هذا

وذكر ما أسنده اليه ميد الصدق من حسنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل واحد منكم بما يعلم انه صدق الله فيه فقال أحدهم اللهم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا وتأخرت مرة فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ومالا فلبثت والقدح على يدى أرتقب استيقاظهما حتى أشرق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منها قال النبى صلى الله عليه وسلم وقال الآخر اللهم كانت لى ابنة عم أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فاعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى وتركت لها الذهب الذى أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبى صلى الله عليه وسلم وقال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء فاعطيتهم أجرهم غير واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أدالى أجرتى فقلت كل ما ترى من الابل والبقر والغنم والرقيق من أجرتك فقال يا عبد الله تستهزئ بى فقلت انى لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون

﴿نفيسة قضية الثلاث الذين تخلفوا فى غزوة تبوك﴾

ومنها قضية الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وتلخيص معناها ان كعب بن مالك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزاة بدر فى غزاة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهى آخر غزاة غزاها وآذن النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل ليتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار وكان صلى الله عليه وسلم قلما أراد غزوة الاورى بغيره

قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله فسكت حتى قلت ثلاثا قال الله ورسوله أعلم فلم أملك
نفسي ان بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجا حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم
جلست وأنا بالمنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علينا الارض بما رحبت
وضاقت علينا أنفسنا اذ سمعت نداء من ذروة سلع أن ابشر يا كعب بن مالك فخررت
ساجدا وعلمت ان الله قد جاء بالفرج ثم جاء رجل على فرس له يركض يبشرني فكان
الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين قال وكانت
توبتنا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة يا رسول الله
ألا نبشر كعب بن مالك قال اذا يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليلة وكانت أم
سلمة محسنة في شأني تحزن بحزني فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان اذا سر
بالامر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال ابشر يا كعب بن مالك بخير يوم أتى
عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند
الله ثم تلا عليهم لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقوله وعلى
الثلاثة الذين خلفوا الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب وفينا نزلت يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فقلت يا رسول الله ان من توبتي أن
لا أحدث الا صدقا وأن أنخلع من مالي صدقة لله عز وجل ولرسوله فقال أمسك
عليك بعض مالك فانه خير لك فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر قال فما أنعم الله على
نعمة بعد الاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
صدقته أنا وصاحباي وأن لا يكون كذبنا فهلكنا كما هلك غيرنا واني لارجو أن
لا يكون الله أبلى أحدا في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعمدت الكذب بعد واني
لارجو أن يحفظني الله فيما بقي فلو لم تكن للصدق ثمرة سوى النجاة من المكروه
لكانت له شرفا فكيف وفيه من الفوائد ما تقدم ذكره في أول الباب وحسبه ذلك
وكفى فما أعظم بركته وأعمها وأكمل النعمة به وأتمها ولهذا يقال من صدق نجا
ووجد من التهلكة فرجا وأدرك به ما أمل ورجا وجعل الله له ببركته من كل
ضيق مخرجا

﴿زيادة وافادة في ضرر الكذب﴾

كما أن الصدق مجلبة لنجح كل طلب ومرتبة تنيل مقترعها مرغوب كل أرب وهو

فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على أثري ناس من قومي يؤنبونني فقالوا والله ما نعلمك اذنبت ذنبا قبل هذا هلا اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي من وراء ذنبك ولا تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضي لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت ان أرجع فأكذب نفسي قلت هل قال هذا القول أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فذكروا رجلين صالحين شهدا بدرا فقلت لي فيهما أسوة وقلت والله لا أرجع اليه أبدا في هذا القول ولا أكذب نفسي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا ولبثت كذلك حتى طال على الامر وما من شيء أهم الي من أن أموت فلا يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة ولا يكلمني أحد منهم ولا يصلي على قال فجعلت أخرج الى السوق فلا يكلمني أحد وتنكر لنا الناس حتى ماهم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ماهي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الارض حتى ماهي بالارض التي نعرف فكنت أقوى أصحابي وكنت أخرج فأطوف في الاسواق وآتي الى المسجد فادخل وآتي النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه فاقول هل حرك شفتيه بالسلام فاذا قمت أصلي الى جنب سارية نظرا الى بمؤخر عينيه فاذا نظرت اليه أعرض عني واستكان صاحبي فجعلا يبكيان الليل والنهار لا يطلعان رؤسهما قال فبينا أنا أطوف في السوق اذا رجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون الي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فاذا فيها أما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك فقلت هذا أيضا من البلاء فسجرت التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني فقال اعتزل امرأتك قلت أطلقها قال لا ولكن لا تقربها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا نبي الله ان هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي ان اخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك فقلت يا نبي الله والله ما به حركة لشيء مازال مكبا يبكي الليل والنهار مذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت أنشدك الله يا أبا

فرد الله بصره حتى ما شئت ودع ما شئت [illegible] وبقيه [illegible] اليوم بأي أخذته لله تعالى فقال أمسك عليك فإنما ابتليتم ثلاثتكم فرضي عنك وسخط على صاحبيك وعادا الى ما كانا عليه [illegible] فمن شجرة الصدق يجتني ثمر السلامة ويجتني غروس الكرامة ومن شجرة الكذب يجتني كؤوس الندامة ويكتسي لبوس الملامة

﴿خاتمة لهذا الباب﴾ في الحكم التي تضاع شره ارتفاع ومصالح [illegible]

(منها) الصدق ميزان العدل وعنوان المروءة وعلامة الكرم ونتيجة النفس المستعدة لاقتناء الفضائل والكذب مكيال الجور ومعدن اللؤم وقرين سوء العقيدة وشاهد على النفس الباعثة عليه باتصافها بالرذائل (ومنها) لو لم يكن الصدق سببا للثواب والثناء لتعين على العاقل فعله ولو لم يكن الكذب سببا للعقاب والذم لتعين على العاقل تركه لقبحه فكيف والصدق سبب المرغوب والكذب سبب المرهوب (ومنها) الصدق عز والكذب ذل والمرء [illegible] الى العز [illegible] عن الذل فلهذا يؤثر الصدق ويجتنب الكذب (ومنها) لا مروءة لكذوب ولا أمانة لغادر كما انه لا وفاء لملول ولا رياسة لضجور (ومنها) الصدق لصاحبه [illegible] حاصل وحاكم فاصل وعز حاصل وحمد متواصل والكذب لصاحبه لوم عاجل وعار شامل وسم قاتل وذم آجل

﴿القاعدة الثانية في السلطنة والولايات﴾

ومقصود القاعدة يشتمل على بابين ﴿الباب الاول في السلطنة وما يتحلى به السلطان من الصفات وما يعتمده لاقامة لوازمها الوظائف﴾

﴿الباب الثاني في الولايات التي تدار المملكة عليها وبها مصالح الدولة [illegible] وبيان طبقاتها التي مرجع امورها اليها﴾

﴿الباب الاول﴾

في السلطنة وصفات من خصه الله بها فأكرمه وأعلى قدمه على رؤس العباد وقدمه * السلطنة سر من أسرار الربوبية يناط بها العباد ويحفظ بها البلاد ويقطع بها العناد ويجمع بها المراد من جميع المرايا وشرف السجايا بها أدناه حراسة الرعايا وسياسة البرايا وقد امتن الله تعالى على كليمه موسى حين استضعف نفسه عن اداء رسالة ربه وخشي اعتراض مقدورات معجزة من تبليغ رسالته وكتبه وخاف ان لا ينهض منفردا بثقل ما امره الله تعالى به سأل الله جل

على التحقيق الى كل خير أقرب سبب فكذلك الكذب يفضي بصاحبه الى كل
دمار وعطب ويسوّد وجهه في العاجلة ويورده في الآجلة شرّ مورد ومنقلب وفي
القضية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالصحة اجماعا المسعود
بها من رزق تيقظا وانتفاعا المقصود منها معرفة شقاوة الكاذب وسعادة الصادق
عيانا وسماعا ما يقوم بالقصد الاقصى في ذلك ويشير اليه ويقيم للصدق زيادة
وللكذب نقصا ويسجل عليه

﴿حكاية عن قضية الاقرع والابرص والاعمى وهي تشتمل على ضرر الكذب﴾

وهي قضية الاقرع والابرص والاعمى وصورتها على ما ورد بها لفظ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم
فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال اى شئ أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن
ويذهب عني الذي قد قذرني الناس فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لونا حسنا
وجلدا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال الابل فأعطى ناقة عشراء فقال بارك
الله لك فيها قال فأتى الاقرع فقال أى شئ أحب اليك قال شعر حسن ويذهب عني
الذي قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فاى
المال أحب اليك قال البقر فاعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك فيها قال فاتى
الاعمى وقال أى شئ أحب اليك قال أن يردّ الله على بصري فابصر به الناس قال
فمسحه فردّ الله اليه بصره قال فاى المال أحب اليك قال الغنم فاعطى شاة والدا
فانتج هؤلاء فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال
ثم انه يعني الملك أتى الابرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي
الحبال فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد
الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري قال الحقوق في المال كثيرة فقال له كأني
أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فاغناك الله فقال انما ورثت هذا
المال كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأتى
الاقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا فقال ان
كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت قال وأتى الاعمى في صورته وهيئته فقال
رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله
ثم بك أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري قال قد كنت أعمى

جدير به أن يقابل هذه المنحة من الله تعالى باقامة شعائرها فى مواقفها ويحلى نفسه النفيسة بما استطاع بصفات عوارفها ويعلم أن الله تعالى قد فرض عليه أمورا لا بد من القيام بوظائفها من عقيدة صالحة سوية وطريقة هادية مهدية وسيرة حميدة مرضية وأخلاق طاهرة رضية وأعمال صالحة زكية وهمة موثقة علية وقد استقصينا تفاصيل الاخلاق والخلال المرغوبة المستحسنة والشيم المستقبحة المستهجنة وشرحنا ما يتعين اكتسابه وما يجب اجتنابه وبسطنا القول فى أقسام ذلك فى القاعدة الاولى غير أنه لا بد فى هذه القاعدة من الاشارة الى ما يخص السلطان كان الله له عونا وعضدا وأقام له من ملائكته المقربين مددا وسلك به الى بلوغ كل سعادة وزيادة جدد الا ينقطع أبدا * فأقول ان الله تعالى خلق الانسان وجبله على أخلاق قل أن تحمد جميعها أو تذم كلها بل الغالب كون بعضها محمودا وبعضها مذموما ولهذا قيل قديما

وما هذه الاخلاق الا طبائع * فمنهن محمود ومنهن مذموم

غير ان من علت همته وانصرفت الى معالى الامور عزمته ورغب فى أن يكون أخلاقه كلها حميدة تعرف بها سمته لا بد له من رياضة تأديب وتدريج وتكلف فلم يلبث الا هنيهة حتى تستقيم له أخلاقه طبعا وبعضها تابعا ويعلم أن شريف الاعمال لا تتصرف فيه الا بشريف الاخلاق والخلال وقد نبه الله تعالى على ذلك فى القرآن الكريم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فان النبوة لما كانت أشرف مراتب الخلق ندب لها من قد حاز فضائل أشرف الاخلاق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ولما كانت السلطنة عالية المقام معدودة من الرتب العظام مضبوطا بها مصالح الانام مرفوعة القدم على قمم الخاص والعام كان جديرا بمن تسربل أثوابها وتفوق شرابها واحرز نصابها أن يأخذ نفسه برعاية أحوالها ويروضها فى أفعالها ويعلم أنه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد أقدر وقديما قيل لا ينبغى لذى لب وعقل أن يطمع فى طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة كما قيل

أتطمع أن يطيعك قلب سعدى * وتزعم أن قلبك قد عصاكا

وقد تزين نفس الانسان له حسن الظن بها فيعتقد أنه متصف بمحاسن الاخلاق فيعرض عن مراعاتها وينقاد بزمام الرضا عنها الى متابعتها فى شهواتها فيبقى وهو

وعلا اسعاده فى ذلك باخيه هرون فقال وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله
معى ردءا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون فاجابه الى مسؤله وأجناه من شجرة سؤاله
ثمرة سؤله ومنحه سلطنة يقصر عن تاميل ادراكها الطالبون ولا يقدر على منالها
بجدهم واجتهادهم الراغبون فقال تعالى سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما
سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالسلطان فى الحقيقة
قائم برعاية عباد الله وحماية بلاد الله وحراسة دين الله واقامة حدود الله وحفظ
أحكام الله قد ارتضاه الله من خليقته وأمرهم بطاعته ورسوله فى السر والجهر
والمعنى بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر وهو بالامان ظل
الله فى أرضه وبه تقام شعائر سننه وفرضه وعلى الجملة فشرف السلطنة جسيم
وقدرها عظيم ومحلها كريم ونفعها عميم ومن أراد كشف الحجاب عن بصر
بصيرته ليدرك فضلها ويعلم نبلها ويستوضح سبلها ويكون أحق بمعرفتها وأهلها
فلينظر الى آثار السلطنة وثمرتها ويعتبر لوازمها التى بها يستدل على شمول منفعتها
اذ الاشياء تعرف بآثارها ويستدل بعظم نتائجها على خطر أقدارها وثمرة
السلطنة حراسة البلاد وسلامة النفوس وحفظ الاموال وادرار الارزاق واقامة
المعايش ونشر العلم واظهار الدين وذلك بقمع الظلمة وردع البغاة ومنع المتعدين
والانتقام من المفسدين فتأمن السبل وتتوفر الدواعى على مصالح الدين والدنيا
فاى منقبة أنفع وافضل وأى مزية أرفع وأكمل وأى مرتبة أجمع للمزايا وأشمل
من حالة بها انتظام مصالح الدنيا وهى قوام الآخرة والاولى فانه عند التحقيق
لولا السلطنة لما قدر طائع على أداء طاعته ولا خاشع على اقامة عبادته ولا زارع
على القيام بزراعته ولا واضع على استرباح بضاعته ولا صانع على اجتناء ثمرة
صناعته ولا راتع فى رياض الجنة بتلاوة الذكر على تحصيله ودراسته ولا قاطع
مفاوز الفلوات لبلوغ مطالبه وحاجته فانه بتأييد السلطنة ينتج لكل انسان مقاصد
حركته ويبلغ كل عامل بسعيه غاية أمنيته ويدرك خاطب الدنيا منها نهاية مآربه
ويحصل الراغب فى طلب العلم على مطلوبه وبغيته فكأن السلطان قد عبد الله
تعالى بعبادة كل عابد وشكره بلسان كل شاكر وحامد واذا كانت هذه فضيلة
قد أفاض الله تعالى على السلطان سابغ لباسها ورزقه يانع غراسها وأدرله
أخلاف نعمتها بابساسها واصطفاه لهذه النعمة والموهبة فرضى به للامة واجناسها

لاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
فلا يتعدى اثره شيء واحد بل هو ماحق لما بيننا آن من مبني
لحسن ثمره عظام المترة ونيل المكارم ونفاذ الامر وقلة رؤية الامثال
ثمرة اعتقاد رجحان الصفات النفسانية فلا يتوهم ان لغيره كمالا
ما احتياجا الى أحد من الناس ولهذا يقال من استهواه العجب
واختال في برديه ولم ير لغير فضلا عليه فقد اكتسب ما فوّت
ما يورثه ندامة يوم يعض الظالم على يديه

﴿السبب الثالث الغرور﴾

لى العطب سائق له الى ورطات هلاك ذات شعوب وهو أن يرى
امنتظمة في سلك السداد والامر في أوائلها جار على وفق
كن تحت هبوب عواصف البغي والعناد والاحداثات الشاغلة
داء والاضداد فيظن ان هذه حالة واجبة الاطراد لازمة
ع ولانفاد فيغتر بذلك فيهمل التأهب ويغفل عن الاستعداد
دال وتتابع نوازل الزلل فتنسد عنه أبواب الصلاح وتفتح
وأعظم مواد هذا السبب نفاق المادحين ومدح المنافقين
ضرب المتملقين الذين اتخذوا الكذب والملق وسيلة وجعلوا
لك أحبولة وحيلة حتى وجدوا لمعاوهم نفاقا وسوقا ولكيدهم
وسيلة الى مرامهم وأبانوا المدح بهم غرض السهام وقد
ـذا النوع في الاغترار من أقوى الاسباب وحثوا أكابر الملوك
لاسهاب فيه والاطناب ونبهوا على الاحتراز منه والتجنب عنه
ـل ما فيه رواج الاستسخار والاستهزاء ونفاق الكذب
لذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باهانة مباشره فقال احثوا
راب

﴿السبب الرابع الشح﴾

في صرح الرسول صلى الله عليه وسلم كونه مهلكا ويكفي في
ن بالسلامة منه والتوقي عنه على ما قاله سبحانه وتعالى في محكم
نفسه فأولئك هم المفلحون ويقال الشحيح عدو نفسه وعمهم

لا يعلق في اسر هواه مرتهنا معدودا ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فتغوى نفسه
عابه حتى يغلب عقله ويلعب به هوا حتى يستغرق في شهواته فعاله ويكتنفه
صوارف غفلاته عن تأمل اصلاح شأنه فينسيه فرعه وأصله فلا يشعر الا وقد
أشرف به الاسراف على التلف وأفسد أمره كله فمتى استظهر على هذه الحالة من مبدأ
أمره واعتبر مواقع تزيين النفس الامارة ببصيرة فكره وحصر أسباب التزيين
فقطعها بشبا صبره وزجر قلبه عن اتباع هواه بموجبات زجره وقهر نفسه فانقادت
طوع عقله في سره وجهره كان خليقا ان تنقلب خلائقه الذاتية جيدة وطرائقه
المائلة معتدلة وتطوراته في تصاريف الحركات والسكنات سديدة فلا جرم تكون
مملكته دائمة ومدة سلطنته مديدة ولا يدرك هذا الاستظهار بعين اليقين
الا اذا أحاط علما بأسباب التزيين فقطعها بحد عزمه المبين ودفعها بجد ذي القوة
المتين وها أنا الآن أنبه عليها ليعرف اجتنابها وأشير اليها ليجتنب اقترابها فاولها
الكبر وثانيها العجب وثالثها الغرور ورابعها الشح وخامسها الكذب فهذه
الاسباب الخمسة هي أم التزيين لكل صفة ذميمة وأصل التحسين لكل خلة قبيحة
فاذا أبعدتها النفس عنها وأزالتها منها استعدت للاتصاف بشرف الخلال والتحلي
بصفات الكمال والارتقاء الى محل الفخار والجلال

﴿السبب الاول الكبر والتجبر﴾

وهو جالب لسخط الله تعالى قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني شيئا منهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال من تكبر بغير الحق وتجبر
على الخلق فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى ونفرت عنه قلوب السائلين واستجلب
العداوة والبغض منهم وقلما اتصف ملك بصفة الكبر الا اختلت أحوال
مملكته واضطربت قواعد دولته وعميت عليه أنباء مصالحه وظهرت مقاتله
لسهام أعدائه

﴿السبب الثاني العجب﴾

وهو من المهلكات قال الله جل وعلا ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال رسول الله صلى

ىنداعتراض الشبهات وأن يجانب سرعة الحركات وخفة
طرفه وملازمة صمته الا عند الحاجة في اكثر الاوقات
وطة وألفاظه منقولة * وقد قيل تكلم أربعة من
ت كأنها مقتبسة من جذوة نور مجموع أو منتخبة من
الروم أفضل علم العلماء الصمت وقال ملك الفرس اذا
ولم أملكها وقال ملك الهند أنا على رد ما لم أقل أقدر مني
الصين ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت فهذه
ت الفائقة والمعاني المتوافقة صدرت من هؤلاء العظماء
ت خواطرهم عليها وتوافقت اشارتهم اليها مع تباين
م وفي ذلك دلالة على شرف الصمت وعلو رتبته وقديما
نان ولسان واحد ليكون ما يسمعه أكثر مما يقوله فاذا
لم فليعتبره قبل أن ينطق به فان كلام الانسان ترجمان
التكلم بكلام جانب الاكثار فانه قيل من كثر كلامه
كلام أعذب الالفاظ وأحسنها وأجزلها وأثبتها وقد اختار
ة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في
تأديب على مقدار الذنوب ففيه جمع بين مصلحة العقوبة
حساب الاثم مجاوزة الحد والمقدار فقد قيل ان أبا بكر
كتب الى عكرمة وهو عامله بعمان يقول احذر أن توعد
و بتهما فانك ان فعلت أثمت وان لم تفعل كذبت وكلا
سلطان في منع نفسه من الغضب فان الغضب شر قاهر
اذا غلب أعظم الاشياء فسادا لنظام الآراء وأبلغ الامور
لتدبير فان قدره الله عز وجل في بعض الاوقات والاحايين
لحالة فعلا ولا ينفذ حكما وقديما قيل احترز عظماء الملوك
ملك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزيره وقال اذا رأيتني
هذا الكتاب ولا تؤخره فكان فيه مكتوب مالك والغضب
بشر مخلوق ارحم من في الارض يرحمك من في السماء
لاحتراس من الغضب فكذلك يجتنب اللجاج فانه أليف

به ومنقبض عن صديقه ومتنغص في حياته ومنكد في عيشه وشقي في دنياه
وآخرته فهو مطرود عن مقامات الكرام ومعدود من سيآت الانام مقصود
بسهام الملام بين الانام لا يسود أبدا ولا يبلغ وطرا ولا مقصدا

﴿السبب الخامس الكذب﴾

ويكفي في ذمه أنه مجانب للايمان ويسلب خصوصية الانسان فان النطق هو
الفاصل بينه وبين أنواع سائر الحيوان والنطق الفاصل وان كان بالقوة لكن
آلته المعبر بها عما في الضمائر المتوصل بها عند التخاطب الى اظهار ما في السرائر
هو اللسان فاذا استعمله صاحبه في الكذب فقرب البعيد وبعد القريب وغير
الاشياء عن حقائقها وأخبر بالامور على خلاف ما هي عليه وأبرز الباطل في صورة
الحق وكسا المحال لباس الصدق وأبدل شراب الظمآن سرابا وأبدى للمسترشدين
اختلافا وكذبا فقد سقط الوثوق به فلا يبقى لما يصدر عنه أثر من المطلوب فتبطل
خاصيته ويضمحل من النطق ثمرته فيلحق حينئذ الكاذب بالحمار والكلب
والخنزير بل يكون أسوأ حالا فانه كم من كذب أراق دما ولهذا يقال الكذب
يسلب صاحبه صفة الفلاح ويلبسه جلباب الافتضاح ويجعل در لغته لغا منثورا
ولو نظمها الجوهري في سمط الصحاح * فهذه الاشياء الخمسة يتعين على كل ذي فطنة
ونبل ودراية وعقل لاسيما من له نفس شريفة وهمة علية وتطلع الى معالي
الامور أن يصون شرف نفسه وعلو همته وعز سلطانه وحسن سمعته عن شيء من
هذه الاسباب التي هي أم النقائص وينبوع الرذائل فنها يتطرق تزيين الفضائح
وتحسين القبائح فانه قل من كانت فيه الا اختلت أحوال ملكه واضطربت
قواعد دولته ونفرت عنه قلوب أتباعه وعميت عليه أنباء مصالحه وطهرت مقاتله
لسهام أعدائه ومالت عنه خواطر ناصريه واتسعت فيه ألسن الطاعنين لسعة
مجال المقال وسقط وقعه من نفوس رعاياه وزال الوثوق بوعده والخوف من
وعيده فواجب على السلطان أن يحمي نفسه الشريفة عن ان يتطرق اليها شيء
من هذه النقائص كما يحرس مزاجه الكريم عن مولدات عوارض الامراض واذا
حماها من ذلك فيتعين أن يتحلى بما يزداد به مهابة ووقارا ويكسبه عظمة
وفخارا ويعلي له في العالم شأنا ومنارا ويبقي له على الابد ذكرا وآثارا وها أنا أنبه
على شيء منه قسيما أعتمد فيه اقتصارا واختصارا فعليه أن لا يسارع الى اتباع

فأحسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

ولا يجعل السلطان أوقاته مصروفة الى نوع واحد فان ذلك وان كان جدا واجتهادا
في مصالح الملك والنظر في تدبيره ضجرت النفس منه وسئمت الفكرة فيه وربما
أدى الى حال يساق الى زوال وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نفسي مطيتي
فان أجهدتها كسرتني وان كان ذلك في شيء أدى الى تضييع الملك وفساد
أموره ووقوع الخلل فيه بل عليه أن يقسم أوقاته فيصرف منها ساعة يخصها
بتضرعه الى الله وقيامه بشكر نعمه وأداء عبادته وكما أنه يقسم أوقاته فيخص
كل وقت منها بحالة لائقة بذلك الوقت لا يليق أن يوقع في غيرها كوقت ركوبه
في جاري عادته ووقت نظره في مصالح مملكته ووقت جلوسه لكشف قضايا رعيته
ووقت دخول الجند لاداء وظيفة خدمته ووقت استحضار من يحضر من الرسل
لاداء رسالة ووقت سكونه ومنامه وقيلولته ووقت استئناسه بمن يحضر محادثته
ووقت قيامه بفرض الله تعالى وعبادته وله كل حالة من هذه الحالات وقت من
الاوقات لا يتعداها وزمن منسوب اليه لا يليق به سواها فلو أوقع كل حالة في وقت
غيرها لأرداها وما أداها ولأخطأها عن صوب الاصابة وما هداها فكذلك يتعين
عليه أن يستعين في الاعمال بكفاة العمال ويعتمد في المهام الثقال بأجلاد الرجال
فيفوض كل عمل الى من قدمه راسخ في معرفته وأيديه يد باسطة في درايته وتجربته
ولا يفوض كل عمل الى جاهل ولا مهمة الى خامل ولا تيقظا الى غافل ولا ذي حلية
الى عاطل فان فعل ذلك فقد باع حقا بباطل واعتاض عن قس بباقل وسلط على
الدولة لسان كل قائل وقد قيل من استعان في عمله بغير كفاة أضاعه ومن فوض
أمره الى عاجز عنه فقد أفسده وأضاعه وليحذر كل الحذر من توليه أحدا أمرا
من أمور المملكة الدينية والدنيوية بشفاعة شفيع أو رعاية لحرمة أو لقضاء حق
اذا لم يكن أهلا للقيام بما ولي ولا ناهضا بأعباء ما استكفي ولهذا قيل من قلد عمله
بالدراية والكفاءة خف عمله وسلم ومن قلده بالرعاية والشفاعة ثوى عمله وندم فان
أحب مكافأة أحد من هؤلاء كافأه بالمال والصلات ويقطع طمعه عما لا يصلح له من
الولايات ليكون قاضيا حقوقهم بماله لا بملكه وهذا المعنى الذي كان يعتمده
كسرى لاحكام قواعد ملكه وتأييده وانتظام مقصد تدبيره وتأكيده حتى وضع
على بابه خشبة من ساج منقوشة بالذهب عليها مكتوب الاعمال للكفاة والحقوق

الغضب وحليف العطب وهو مما يثمر ازلال في العاجل ويسفر عن الندامة في الآجل ويدفعه عنه بعلمه ان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ولا يستعمل في الناس كلهم حالة واحدة بل يعتمد من الحالات في كل قضية ما يليق بحال صاحبها من لين وشدة واقبال واعراض واحسان واساءة وعفو وعقوبة وتجاوز وانتقام واقدام واحجام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور وحجوب فان استعمال كل حالة في محلها مع مستحقها أكمل تدبيرا وأتم رأيا وأجمع لشمل مصالح الملك ووضعها في غير محلها أفضى الى توقع الضرر ومفتاح لباب العطب فان طباع العالم متفاوتة وأخلاقهم متباينة فمنهم من يصلحه الاقبال عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعين على السلطان استمالة الاعداء وأهل الاحن من ذوي الغدرة ويجتهد في اصلاحهم فان لم ينجع فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المداراة اللائقة بهم الى أن يلوح له وجه الفرصة وتمكنه المؤاخذة بالانتقام فينتهز ذلك بالمبادرة اليه ولا يؤخره عن وقته فان تأخيره مضر واهماله مفسد وليعلم السلطان أن من أعم الاشياء نفعا وأعظمها في مصالح الملك وقعا كتمان سره واخفاء أمره وأن لا يطلع أحدا على ما قد عزم على فعله قبل تمامه ولا يتحدث بما بين يديه من المهام قبل ابرامه فان ذلك من أقوى أسباب الظفر وأنكى في قلوب الاعداء وأعون على نجح المقاصد وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال استعينوا على الحاجات بالكتمان ونقل عن علي كرم الله وجهه سرك أسيرك فان أظهرته صرت أسيره لكن من الاسرار والامور ما لا يستغنى فيه عن اطلاع ناصح مشفق وموال مخلص برى من طاعته له به مناصحته لسلطانه فيستعين السلطان برأيه على المهمات وينتفع بفكره في الحوادث ولا يركن فيه الى أحد ولا يثق بكل متملق ومتى حدث أمر من الامور الجليلة يكثر الاستشارة فيه ممن يراه أهلا لذلك ويسمع رأي كل واحد منهم على انفراده وينظر في جميع ما سمعه ويعمل بمقتضى ما هو الاقرب الى نيل المطلوب والاصوب في دفع المرهوب ولا يهمل الاحتراز والحذر في عواقب الامور وما يؤول اليه ويجتهد أن لا يفتح بابا يعييه سده ولا يرمي سهما يعجزه رده وقد قيل قديما

وايالك والامر الذي ان توسعت * موارده ضاقت عليك المصادر

ونصحهم محفوظة محوطة (التاسع) أمور العامة بان يجلس لها في وقت من الاوقات لكشف المظالم واقامة فريضة العدل لازالة التظالم (العاشر) التطلع لى متجددات الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدد منها مخافة طريان مكروه ومحذور بان يجعل لها عيونا بصدودها وثقات يعتمدهم لرصدها فان حوادث الاقدار تقلب الموافق مخالفا والامين خائنا والناصح غاشا والساكن مضطربا فاذا تطلع الى معرفة متجددات الاسباب ظهر له الخطأ من الصواب وعلم المحق من المرتاب فبادر الى اصلاح الخلل وازالة الاضطراب بهذه الامور العشرة الاصول التي ينشأ منها شعب متفرعة وهى قواعد رواسخ تبتنى عليها أحكام متنوعة فاذا لحظها بعين يقظته وأدخل فكرها في باب معرفته حمى حوزة ملكه وقام بحق الله تعالى عند مسائلته فان السلطان نائب الله في خليقته وراعى أمورهم وكل راع مسؤل عن رعيته

﴿الباب الثانى فى الولايات﴾

قد تقدم القول مشروحا في الباب الاول فيما يعتمده السلطان وهذا باب معقود لبيان ما يعتبر في العاملين بمصالح المملكة المباشرين تفاصيل أحوالها فان السلطان وان كان يعتمد التطلع والنظر في ذلك فانه نظر كلى اجمالى غير تفصيلى ويكون النظر في التفصيل والقيام بجزئيات الامور والاعمال مفوضا الى من أقامه السلطان وولاه واستنابه فيما هو أهل لما تولاه فعلى السلطان في ذلك وظيفتان (الوظيفة الاولى) ان يعلم انه نائب قد أقامه تعالى في عباده وارتضاه من بين خلقه لرعاية بلاده فيعمل في نيابته عن الله ما يجب أن يعمله من يستنيبه من مماليكه وعبيده على وفق مراده (الوظيفة الثانية) أن يجهد رأيه ويعمل فكره في اختيار من يفوض اليه شيأ من أعمال مملكته ويستخدمه في بعض أحوال دواته ويوليه أمرا من أمور رعيته فان أفعالهم اليه منسوبة وأعمالهم عليه محسوبة * وقديما قيل وزير الملك عينه ويده وكاتبه ناطقه وحاجبه حافظه ورسوله لسانه فيعتبر فيمن يوليه أربع صفات لابد منها المعرفة والديانة والكفاءة والامانة فان تفويض الامر الى من لا معرفة له به ولا علم عنده فيه جدير باضاعته والى من لا دين له ولا تقوى فيه جدير بافساده والى من لا كفاءة فيه ولا نهضة له جدير بوقوع الخلل فيه والى من لا أمانة له جدير باجتناء ثمرة عمله لنفسه فهذه الصفات الاربع هى عناصر صلاح الاعمال بالعمال وموادّ نجاح مساعى ولاة الاحكام

على بيوت الاموال * ولهذا قيل أى ملك ملك حدّه هزله وقهر رأيه هواه وعبر فعله عن ضميره ولم يخدعه رضاه عن حقه وفوّض كل عمل الى مستحقه واستعمل بالكفاءة لا بالشفاعة ولم يأخذ بالسعاية قبل الكشف ولا استهواه تعرض المتعرضين فهو خليق باستحقاق المملكة وارتداء جلبابها جدير بها وان لم تكن أواصره وعناصره من أربابها

(تجديد افتتاح وتأكيد ايضاح واجبات السلطان)

يتعين على من رزقه الله نعمة السلطنة وحلاها بعقدها وآتاه أزمة حل الامور وعقدها وجعله نائبا فى حماية بلاده ورعاية عباده فاليه مآل مرجعها ومردها أن يصرف عين عنايته ونظر يقظته فى عشرة أمور (الاول) حفظ بيضة الاسلام والدين فى ناحيته لئلا يقوى عليه شوكة كافر أو يصل اليه يد فاجر وذلك باقامة الامراء والاجناد (الثانى) بتعهد الاعمال والحصون والثغور باعتبار أحوال ولاتها واختيار رجال حماتها والبدار فى اصلاح عمادها وذخائرها ومهماتها (الثالث) السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين فان بها يتم سعى الرعايا لتحصيل المعايش والاقوات ويعم نفع الانسان بالاسفار التى لا تحصل الا بأمن الطرقات (الرابع) اقامة حدود الله تعالى المانعة من ارتكاب المحارم الوازعة من اقتراب الجرائم الرادعة عن اكتساب المظالم فقد جعلها الله تعالى لحفظ النفوس وحراسة الاموال وأمر باقامتها فلا يحل اسقاطها بشفاعة ولا سؤال (الخامس) دوام تمسكه بحبل الشريعة والتزامها واعتماده فى أمره على نقضها وابرامها واعتباره أمور القائمين بأحكامها واعتناؤه باقامة قضاتها وحكامها فينصب صلحاء القضاة لقطع النزاع وصيانة الاموال والحقوق عن الضياع ويحفظ ذلك من أن يمتد اليه يد الانقطاع من ذوى الاطماع واقامة العقود المحتاج اليها على ما لها من الاوضاع (السادس) اقطاع الامراء والاجناد وأرزاق ذوى الحقوق من العباد وترتيبهم على مقدار منازلهم وأحوالهم وتفضيلهم بما يوجبه تفاضل الاحتياج اليهم فى أعمالهم (السابع) جباة الاموال لاجتلاب أنواعها ومواطن الغلال التى بها تقوية البلاد باعتبار مزارع ضياعها وأن لا تأخذها الا بالحق والعدل فهو أكبر حارس لها من ضياعها (الثامن) استخدام الكفاة والامناء واستعمال النصحاء والاقوياء لتكون الاموال بكفاتهم وقوتهم ملحوظة مضبوطة وبأمانتهم

منصب في نفسه جليلا كان التأهل للقيام بوظائفه قليلا فان
المتقدمين من فضلاء العلماء ذكروا في صفات مباشره شرحا طويلا
وجعلوا من جل أمانة الوزارة من الاوصاف المعتبرة عشرة تفصيلا وأحسن
ما كتبه المأمون في اختيار وزير لما اراده فقال اني التمست لاموري رجلا
جامعا لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب
وحنكته الوقائع وأحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار قام بها وان قلد مهمات
الامور نهض فيها يسكته الحلم وينطقه العلم تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة
له صولة الامراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن اليه شكر
وان ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال
بخلابة لسانه وحسن بيانه فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ولقد أشار في هذه
الكلمات الوجيزة والالفاظ المختصرة الى رموز تحتها كنوزا وفي رموزه
المسطور ووصفه الرجل المذكور بيان ان من تعهد مهمات الامور ومن نهض بمهمات
الدولة وأمور المملكة وتصدى لها لزمه أن يحمل أثقالها ويزيح اختلالها
ويصلح أحوالها ويحفظ رجالها ويثمر أموالها ويستخدم الكفاة الثقات
ويوليهم أعمالها ويلزمهم محجة المعدلة واعتدالها ويحذرهم عاقبة الظلم ووبالها
وينكلهم نكال الظلمة الخونة ومآلها ثم يتفقد تفاصيل أحوالهم ويراعي
تصرفهم في أشغالهم ويتطلع سرا وجهرا الى أقوالهم وأعمالهم فمن وجده منهم قد
نسي ذكره أو نقل من شيء نصبه أو انحط عن سمو من المدورة قدره ومن أحسن
منهم في عمله وقدره وقام فيه بواجب حقه ووفره خصه بزيادة رعايته وأعلى مكانته
وشكره ومن خان في عهده أمانته وقرن في ولايته عاقبه وأزال عزه ثم يعتني بجهات
الاموال وحراسة أسبابها وفتح أبوابها وضبط حسابها وحفظ نصابها وبث
الاحسان في مظان اكتسابها واعتماد العدل والانصاف في استخراجها واجتلابها
فان كثرة الاموال ووفاتها بقدر المعرفة باجتذابها من شعابها من جزية مقررة وتجارة
معشرة وأخرجة مقصرة وعشور محررة وقسم مقدرة وغنائم موفرة وفيء
من جهات غير محصورة هذا الى زكوات واجبة وأجور لازمة وديات دماء
ذاهبة ومحرم مناخاة راتبة ومستخرج معادن غير ناضبة وصدقات سنية
لا سائبة ووظائف عن أكره عاملة ناصبة الى غير ذلك من تبييع مزارع وتوزيع
قطائع وتوسيع مراتع وتفريع مواضع وترتيع طوائع فهذه جهات أموال

والاموال وقد أشار القرآن الكريم في قصة يوسف الصديق عليه السلام الى اعتبار هذه الصفات حيث قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم فالمكانة والامانة والحفظ والعلم أصل فيما ذكرناه من الاوصاف الاربعة ثم الديانة والامانة وصفان معتبران على الاطلاق من غير اضافة الى أمر معين ولا عمل مخصوص اذ لا يمكن ثبوتهما بالنسبة الى جهة ونفيهما بالنسبة الى جهة وأما الكفاءة والمعرفة فهما وصفان اضافيان يختلفان باختلاف الاعمال فانه قد يكون الانسان كافيا في عمل عارفا به ولا يكون كافيا ولا عارفا بعمل آخر غيره فالمعتبر حصول الاوصاف في المتولي بالنسبة الى العمل الذي فوض اليه واعتمد فيه عليه وهذا تفصيل طبقات الولايات وهي خمس طبقات * الاولى الوزارة * الثانية الولاية للانشاء والمكاتبات * الثالثة ولاية الجيش والجند * الرابعة ولاية ديوان الاموال * الخامسة سائر الحاشية

﴿ الوزارة ﴾

الطبقة الاولى الوزارة الوزير هو قطب الدولة ومدارها وزند المملكة وسوارها يستضيء السلطان في ظلم المهام بأنوار تدبيره ويحمل عنه أعباء ما يحدث من قليله وكثيره وجليله وحقيره وفتيله ونقيره فعليه بذل مجهوده ليصيب الصواب بسهام همه ويصوب أنوار آرائه فينبجس من التدبير عيون ديمه فلا بد للملك من وزير يعضده ومدبر يثقف المنآد ويؤيده وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به في التدبير فقال سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي وقال عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ولي شيأ من أمور الناس وأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه * واختلف الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة أوجه * أحدها انه مأخوذ من الوزر وهو الثقل فان الوزير يحمل عن الملك أثقاله * وثانيها أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزر أي لا ملجأ فالملك يلجأ الى رأي الوزير ومعرفته وتدبيره * وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو الظهر ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام اشدد به أزري أي قو ظهري فالملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر ولما كان

صادرة من رأيه ونظره وهي أن يقيمه السلطان واسطة بينه وبين الناس تؤدي عنه ما أمره ويطالعه بما يرد عليه وينفذ ما أمره ويسمع جوابه وينقله كما ذكره فهذه الوزارة لا يفتقر في صحتها الى عقد وتقليد بل يكفي فيها مجرد الاذن ولا يعتبر في المؤهل لها من الشروط ما اعتبر في القسم الاول لكن لابد أن يكون أمينا فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه وأن يكون صادقا بحيث يعتمد على انهائه ويعتمد على قوله في اعادته وابدائه فان الكاذب لا يوثق به وأن يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بارشاء الهدايا ولا يخدع بالتحف في شئ من القضايا وأن لا يكون بينه وبين الناس تشاجر وتباغض يحمله على ترك الانصاف ويحثه على الاجحاف والاعتساف وأن يكون عنده فطنة حس ويقظة نفس ليأمن التدليس عليه واشتباه الامور لديه وأن يكون خاليا عن الاهواء لان الهوى خادع الالباب قاطع طرق الصواب وفي الحديث النبوي ما يكمل به هذا الغرض ويتم وهو قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ولا النظر في المظالم ولا تقليد معزول ولا اقامة متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف في أموال بيت المال بقبض المستحق منها وصرف الواجب فيها وهذه كلها ملكها وزير التفويض ولاجل التفاوت بين الولايتين والفرق بين المنزلتين جاز أن يكون وزير التنفيذ مملوكا ولا يشترط أن يكون حرا وجاز أن لا يكون عالما بأحكام الشريعة وجاز أن يكون جاهلا بأمر الحرب والخراج غير عارف به اذ هو سفير بين السلطان والرعية مظهر ومخبر ولا يشترط في قبول الخبر الحرية ولا المعرفة المذكورة ولا العلم بتفاصيل الشريعة وهل يشترط في هذا الوزير الاسلام حتى لو أقام السلطان وزير تنفيذ من أهل الذمة كان جائزا أم لا اختلف آراء الائمة في ذلك فذهب عالم العراق الامام أبو الحسن علي بن حبيب المصري رحمه الله الى جوازه وذهب عالم خراسان امام الحرمين أبو المعالي الجويني الى منعه وعد تجويز ذلك من عالم العراق عثرة لن تقال وخطأ فيما قال وهذا بخلاف وزارة التفويض فان هذه الشروط معتبرة من جملة ما تقدم بيانه من الاوصاف في حق المباشر لها

﴿ كتابة الانشاء ﴾

الطبقة الثانية كتابة الانشاء لا بد قبل بيان المقاصد وبيان القواعد من ذكر شئ من أصل الكتابة ووضعها والتعرض لمن قام بتأليفها وجمعها ثم نعطف عليها بمقصد الغرض المطلوب ونضيف اليها ما يتعين من هذا الاسلوب فاول من وضع

جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ومكن من استيفائها سلوك طريقها ومنهاجها وفرض فيها حقوقا يجب رعايتها عند صرفها واخراجها فاذا أقام وزير المملكة فى جهات الاموال نوابا بين لهم تفصيل هذا الاجمال وحرضهم على حسن التوصل الى استخراج الاموال وعرفهم الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه عليهم الحرام بالحلال وأمرهم باتباع الحق واجتناب الباطل على كل حال

﴿وزير التفويض﴾

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من أن يكون وزير تفويض أو وزير تنفيذ فان لكل واحد من هذين القسمين حكما يخصه ووضعا يلزمه فان وزارة التفويض أعلى المرتبتين وأعظم المنزلتين وهى أن يفوض السلطان الى الوزير تدبير المملكة والدولة برأيه وسداده ويجعل اليه امضاء أمورها بمقتضى نظره واجتهاده فهذه ولاية لا يكفى فيها مجرد الاذن بل لا بد من عقد وتصريح فيقول قلدتك ما الى نيابة عنى أو قد استنبتك فيما الى أو ما يقوم مقام ذلك فلو قال فوضت اليك وزارتى أو ذكره بصيغة الجمع للتعظيم وقال قد فوضنا اليك الوزارة ففى انعقاد وزارة التفويض بهذا القول وحده خلاف والمختار أنها تنعقد وتحصل الولاية فيستفيد بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم فى امور المملكة والتصرف فى أحوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع واعطاء ومنع ونقص وزيادة وابداء واعادة وتسلط على كل ما للسلطان فعله من أمور المملكة الا على شيئين فانه ليس له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزارة أحدهما اقامة ولى العهد الثانى عزل من ولاه السلطان وأقامه فان فعل ذلك وأقدم عليه فانه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا * ووزير التفويض وان عمت ولايته وشارك السلطان فى حكمه فعليه وظيفة لا بد له من اقامتها ويجب عليه فعلها وهى أن يطلع السلطان بما أمضاه من عمل وما أنفذه من ولاية وتقليد وعلى السلطان أن يتأمل أعمال الوزير وما قد أصدره عن الرأى والتدبير ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب قرره وتركه وما رآه على خلاف ذلك رده واستدركه * فهذه زبدة ملخصة ونبذة مختصرة فى وزارة التفويض

﴿وزارة التنفيذ﴾

وأما وزارة التنفيذ وهى دون وزارة التفويض فان حكمها أضعف وشرطها أقل اذ السلطان هو القائم فى المعنى بالتدبير فيها والقضايا

مدة الدولة [illegible] فصل [illegible] الكاتب
ولما [illegible] وعاش على الدولة [illegible] الكاتب [illegible] ولما
[illegible] ابن [illegible] براعته [illegible] إلى أن ترك [illegible] اوحى اليه
من بلاغته [illegible] الاعلام من آيات [illegible]
[illegible] من ذلك من الاعتراف [illegible]
[illegible] التي لا [illegible] قوتها واداء [illegible]
[illegible] المرجوة [illegible]
[illegible] الآثار [illegible]
كتاب الانشاء [illegible] يوم الفتح [illegible] على
[illegible] الأول [illegible]
شروط براعته [illegible] الآيات القرآنية [illegible] الأحاديث [illegible]
[illegible] والفصاحة [illegible]
[illegible]
وفصاحتها وأوسع في أجزاء معاني الشعر [illegible] وطولها هذا
على زمام البلاغة والبراعة ورقي [illegible] أهل هذه الصناعة فإذا أمر
السلطان بكتب [illegible] وجعل [illegible]
بالعرف [illegible] أخرى [illegible]
[illegible]
[illegible] قال أرى [illegible] بين يديه كتابا إلى
بعض العمال على يد رجل له [illegible] وقال
أوجز ما استطعت وبالغ في حقه فكتبت [illegible] اليك كاتب [illegible] من كتب اليه [illegible]
[illegible] والسلام [illegible]
[illegible] فالتعبير بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة
وابداؤها للسامعين في الكلمات اليسيرة شاهد للكاتب برجحان فضله [illegible]
ولسان الادب كله فهذا النوع من الإيجاز في استعمال الحذف [illegible] معدود من
دلائل الإعجاز وقد أجمع أرباب علم المعاني والبيان وقطع أصحاب التقدم في هذا
الشأن أن أوجز كلمة كانت العرب تستعملها وتتداولها ألسنتهم الفصيحة وتفضلها
قولهم القتل أنفى للقتل ويعدونها واسطة عقد الإيجاز ويحمدونها بلسان التفضيل

ا العربي وأقامه وصنع حروفه وأسماءه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولا
عدنان بن أدد وكانت أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص
شت فوضعوا الخط والكتابة على أسمائهم فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست
أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء
ذين على حسب ما يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره ونقل
ول من أتى أهل مكة بكتابة العربية سفيان بن أمية بن عبد شمس ثم انتشرت
غير ذلك واستكتب النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث
هرة فكان يجيب عنه الملوك وبلغ من الامانة عند النبي صلى الله عليه وسلم
ن كان يأمره بأن يكتب الى الملوك فيكتب ويطين الكتاب ويختمه واستكتب
بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب الى الملوك وكان اذا غاب عبد الله
واحتاج أن يكتب كتابا يأمر من حضر أن يكتب وكتب له صلى الله عليه وسلم
بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي
ان وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم فالكاتب عضد معين وعون مسعد ولا
دولة والمملكة منه ولا غنى بها عنه ثم مراتب الكتابة المتعلقة بالسلطنة ثلاثة
الانشاء وهي الطبقة الثانية من هذا الباب وهذه الطبقة مسوقة لبيانها
الجيش وهي الطبقة الثالثة من هذا الباب وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى
ابة الخراج والاموال وهي الطبقة الرابعة من هذا الباب ويأتي ذكرها ان شاء
تعالى

﴿كتابة الانشاء﴾

كتابة الانشاء من مقومات الدولة وقواعد المملكة وصاحبها المباشر
خدمة السلطان معدود من أكبر الاعضاد والاعوان قائم في اتمام مقاصده
اضه مقام الترجمان نازل منه منزلة القلب واللسان من الانسان فانه المطلع
لاسرار المجتمع لديه خفايا الاخبار المنتفع به في طريقتي النفع والاضرار
جة الدولة اليه كحاجة الهيم الى منساته وذي السقم الى أساته والمعدم الى
اساته اذ كم من عصبة باغية أراق قلم الانشاء بشباه دمها وكتائب جيش قابلها
فردها وهزمها وصياص منيعة قصدت الكتب الى تسهيلها وتسليمها ونواص
ص اقتادت السطور الى الطاعة لمها وأنوف أنفة حطمها القلم ببرة الاذلال
مها وصفوف واقفة لا تزال أزال المنشئ عن موقفها اقدامها فهو يقوم من

أحكموا الكاتب اصابها كوكب فهمه الثاقب وهى عشرة شعب الاستعارة والتشبيه والكناية والايجاز والاطناب والمغالطة والتضمين والاستدراج والمبادى والمخالص * فهذه الشعب العشرة هى أصول وماعداها فيرجع اليها وأنا أشير الى كل واحد منها بذكر حقيقته ووصفه وأكشف وجهه ليعرفه النائر ولا جهالة بعهد كشفه وأوضحه ان شاء الله تعالى ايضاحا لا يأتيه الاشكال من بين يديه ولا من خلفه

(الاستعارة)

الشعب الاول الاستعارة وهى أن يحاول المنشئ تشبيه شئ بغيره ولا يؤثر الاتيان بلفظة التشبيه وارادته طلبا لزيادة الدلالة مع الايجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه المشبه من غير تعرض لذكر المشبه لفظا فيحصل له زيادة فصاحة وحسن بلاغة مثاله فى القرآن الكريم فى حق القرية التى كفرت بأنعم الله قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ووجه الاستعارة ان الثوب لما كان يحيط بجوانب لابسه ويشمله من جهاته استعار اسمه للجوع والخوف حيث اراد الاخبار عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فاتى بنظم هو أبلغ فى تحصيل الغرض من الحقيقة وأفصح فانه لو قال جعل الله الخوف والجوع محيطا بهم من جوانبهم كأنه لباس لهم لم يكن فيه من الفصاحة والحسن كما ذكر سبحانه تعالى من الاستعارة

(التشبيه)

الشعب الثانى التشبيه وهو الدلالة على ان شيئين اشتركا فى معنى هو ثابت لما دخلت عليه أداة التشبيه فى نفسه وهو أشهر معانيه فيجعل المنشئ أحدهما التى تدخل عليه الاداة مثل الآخر التى دخلت عليه كقول القائل رجل كالاسد ووجه كالقمر ومثاله من القرآن الكريم فى وصف العالم عند خروجهم من القبور يوم البعث والنشور قوله تعالى يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر فانه لما كون الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متحيرين قد طبقوا الجهات بكثرتهم وأسرعوا الى اجابة الداعى بحركتهم لا يلوى بعضهم على بعض شبههم بالجراد المنتشر وجعلهم مثله نظرا الى ماذكرناه من المعنى

(الكناية)

الثالث الكناية وهى أن يريد المنشئ اثبات معنى من المعانى ولا يذكره بلفظه

والامتياز فيما نزل القرآن الكريم وفيه قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقرعت آياته أسماعهم وقطعت فصاحته عن معارضته أطماعهم أذعنوا له بخفض الجناح ورفض الجماح واعترفوا برجحان هذه الكلمة لما فيها من الكشف والبيان والتكملة والايضاح ولاغنى عن كشف الغطاء عن وجه هذا الاجمال ببسط التفصيل وايداء الوجوه الموجبة لاعترافهم بالرجحان والتفضيل وهى خمسة * الاول ان قوله فى القصاص حياة عرى عن تكرار اللفظ خلى عن اعادته وقولهم القتل أنفى للقتل مشتمل على تكرار لفظ القتل وذكرها مرتين والتكرار يسقط فصاحة الكلام وجزالته * الثانى انه أوجز وأخصر فى العبارة وأقل تطويلا فان حروفه أقل عددا من حروف قولهم * الثالث انه أحسن تأليفا للحروف المباينة فان الخروج عند النطق من الفاء الى اللام فى قوله تعالى فى القصاص أعدل من الخروج من اللام الى الهمزة فى قولهم القتل أنفى وهى آخر القتل وأول أنفى لبعد مخرج ما بين الهمزة واللام وكذلك أيضا الخروج من الصاد الى الحاء آخر القصاص وأول حياة أعدل من الخروج من الالف الى اللام وهى آخر أنفى ولام تعريف القتل اذ الهمزة تسقط وحسن تأليف الحروف أدخل فى الفصاحة * الرابع اشتماله على اقامة العدل والانصاف بذكر القصاص الدال على المساواة فان القصاص مأخوذ من التساوى ومنه سمى المقص مقصا لاستواء جانبيه واعتدال طرفيه ولا كذلك لفظة القتل وما كان مشتملا على اقامة العدل والانصاف كان أرجح * الخامس تصريحه بالغرض المطلوب المرغوب فيه وهو الحياة ولا كذلك قولهم * فظهر بهذه الوجوه تفصيل أدلة الرجحان وتفضيل الجزالة والايجاز فى علم البيان فتى ملك الكاتب جواهر أنواع الكلام وسلك شعب البلاغة لاستجلاء وجوهها الوسام وأدرك معرفة أقسامها فأبرز فى كل مقام ما يليق به من الاقسام كان قد حاز قصبات الفضل وحصله وفاز بفضل الله فانه يؤتى كل ذى فضل فضله وحكم له باقتعاد غارب البلاغة المغربة واقتياد ركائب الفصاحة المعربة وجاءت ألفاظ كتبه ولها عذوبة وحلاوة وعليها بهجة وطلاوة فتستميل القلوب وتملك النفوس وتخدع الالباب فتنجح بها المساعى وتحصل المقاصد وتتم الاعراض وتقضى الحوائج فتكون حميدة الورود والصدور سعيدة فى جميع الامور ولا يحصل ذلك الا بسلوك شعب البلاغة التى مى

وهو شعب عنى به أكابر الفضلاء وأكثر ما يستعمل فى الخطب والمواعظ فانه يبين وقعها ويحسن وضعها

﴿الاستدراج﴾

(الثامن) الاستدراج وهو أن يصوغ المنشئ لغرضه ألفاظا يكسوها من اللطافة والبراعة ما يخدع بها الالباب لينقادمعه الى مراده وهذا الشعب وان كان خفيا فهو الركن الاعظم والسنن الاقوم فى هذه الصناعة وكل من لم يبلغ فى البلاغة الى أحكام مقامات الاستدراج فقلما ينجح مسعاه ويسعف بمبتغاه واذا تأمل المتأمل فى القرآن الكريم وجد فيه من حسن الاستدراج والتوصل ببلاغته وفصاحته مواضع كثيرة منها فى قصة موسى عليه السلام لما أراد أن ينقل قومه من أرضهم الى غيرها فاخبر الله تعالى عنه بقوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين فبسط آمالهم وأسمعهم ماسر نفوسهم واستدرجهم به الى قبولهم ما يأمرهم به ثم قال لهم مطلوبه ومقصوده وهو قوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم وفى هذه الآية وأمثالها من آيات الاستدراج من الحكم ما يحيط باسرارها من رسخت فى علم البلاغة أخمص قدمه وانبجست عيون البراعة من شق قلمه

﴿المبادى﴾

(التاسع) المبادى وهو أن يجعل المنشئ فاتحة كتابه وأوله دليلا على المقصود الذى أنشأه له فينظر الى الغرض المطلوب فيجعل التحميد أو الدعاء أو التضمين مشعرا بذلك فانه من أعلى مراتب البلاغة وفى القرآن الكريم من المبادى والافتتاحات مواضع كثيرة تخرق عقول الفاضلين بفصاحتها منها قوله تعالى فى أول سورة النساء وغيرها يا أيها الناس اتقوا ربكم فانه افتتح كلامه بالنداء الذى يستفتح أبواب الاسماع ويستحضر الاذهان لاجل الاستماع وهذا الشعب عظيم النفع لمن حققه لا يفتح بابه الا من طرقه

﴿المخالص﴾

(العاشر) المخالص وهو أن يجعل المنشئ بين المعنى الذى ينتقل عنه وبين المعنى الذى ينتقل اليه تعلقا وارتباطا بحيث يكون الكتاب المشتمل على المعانى المتعددة والالفاظ الكثيرة من أوله الى آخره كالمنتظم فى سلك واحد يأخذ بعضه بازمة بعض وفى القرآن العظيم من ذلك مواضع تطرب وتستعذب

الموضوع له فيعدل الى معنى هو تابعه ورديفه من الوجود فيأتى به لتحسين كلامه وايجازه ومثاله من القرآن الكريم فى صفة عيسى عليه السلام وصفة أمه قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كنى بذلك عن خروج الخارج منهما لانه من توابعه وروادفه فجاءت الكناية أفصح وأوجز * الرابع الايجاز قد تقدم ذكره والتنبيه عليه.

(الاطناب)

* الخامس الاطناب وهو أن يذكر المنشئ كلاما ثم يعقبه بلفظ مدلوله حقيقة المدلول عليه بالكلام الاول تضمينا ينبه بذلك على زيادة وقع هذا المعنى فى النفوس وشدة الاعتناء به ومثاله من القرآن الكريم فى قصة الافك فى حق عائشة رضى الله عنها قوله تعالى اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قوله بأفواهكم اطناب فانه دل على حقيقة مادل عليه قوله وتقولون لان القول لا يكون الا بالفم لكن نبه بهذا الاطناب على تعظيم هذا الامر المرتكب وشدة وقعه وقبحه وأكثر فضلاء الكتاب يستعملونه فى الوقائع المعتنى بها

(المغالطة)

* السادس المغالطة وهى من أحسن ما يتعاناه المنشئ المجيد ويعتمده الكاتب الذى يريد يختص بمواقف ما على حسن استعمالها فيها من مزيد وهى ان المنشئ أو المتكلم بكلام يدل على معنى له مثل أو نقيض فى شئ ويكون المثل أو النقيض أحسن موقعا للارادته والايهام به ومثاله من القرآن الكريم فى حق المنافقين وقد صدرت منهم حركات وكلمات فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بالاستهزاء والاستحقار فقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فغالطوا فى الجواب عن ذلك بهاتين اللفظتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه حتى كذبهم الله تعالى بقوله قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن

(التضمين)

* السابع التضمين وهو أن يأخذ المنشئ الآيات القرآنية والاخبار النبوية والامثال العربية والابيات الشعرية فيجعل سجعات كتابه مشتملة على شئ منها فتارة يأخذ الآية كاملة وكذلك الخبر والمثل والبيت وتارة يقتصر على شئ منها يتمم بها فقر سجعه فيكتسى كلامه بها رونقا واشراقا ويعذب عند سامعه مذاقا

ويتأخر يوم الاستعراض ويذكرون في ذلك أوصافا رضوها وأنواعا
شرحوها فيتعين الانتفاع بمعرفتهم وجرى في ذلك اتباع مجازهم
وحقيقتهم وأول من دون الدواوين في الإسلام ووضع الأمر على الإنشاد وحفظ
الأحوال بعد الاستشهاد ونزل أرباب الأرزاق على مراتب الأقدار وجعل
ما قرره من العطاء والأرزاق متصل المقدار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فإنه لما اتسعت خطة الإسلام واستوسقت أقطاره وظهرت آثاره وكثرت
أنصاره وصارت ترد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمول الأموال
من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمده ما يطابق ظاهر الأحوط رعاية لإقامة
ما هو الأنفع والأضبط فبادر ذو رأي من القوم بالإقبال عليه وبذل في المناصحة
جهده حتى قال خالد بن الوليد رضي الله عنه يا أمير المؤمنين إني كنت رأيت ملوك
الشام قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فوافقه عمر رضي الله عنه واستدعى عقيل
ابن أبي طالب رضي الله عنه ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش
وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا بمن نبدأ فقال عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه ابدأوا بحضرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بيت أبي هاشم وبني المطلب فبدأ بهم
ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى إلى
الأنصار فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل بينهم في العطاء
فجعل أرزاقهم متفاوتة بتفاوت سابقتهم في الإسلام فقيل له كيف تفاوت بينهم
وقد تساووا في الإسلام فقال كيف أسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى
إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف وليس من قاتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم كمن قاتل معه ثم قدر وضع الديوان وزاد بالسابقة وفضل كل من شهد
بدرا في عطائه وفضل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير
بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم وألحق
بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رضي الله عنهم لمكانتهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والإنصاف وجعل ترتيب
أسماء المرتزقة وتنزيل قرارهم من قواعد الديوان فاقتدى الناس بعده بطريقته
وعملوا في ذلك بمقتضى سنته * وإذا وضح ذلك فالذي يجب اعتباره ويتعين اعتماده
يعتمد في ديوان السلطنة ثبوته واستقراره على قسمين قسم يختص بصاحب ديوان

أوضاعها منها قصة ابراهيم عليه السلام في سورة الشعراء فمن تأملها حق التأمل
من أولها وهو قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون الى
آخر القصة علم كيف تكون الفصاحة في ارتباط الكلام بعضه ببعض والتخلص
من معنى الى غيره فانه جمع في هذه القصة المختصرة من المعاني العظيمة وتخلص من
بعضها الى بعض بالالفاظ المتتابعة ما يحار فيه من له ذوق في علم البلاغة
فهذه الشعب العشرة هي قواعد أصول الكتابة التي تستقر بها أوصافها وتدور عليها
خلافها فيما يرجع الى معرفة البلاغة والفصاحة من علمي المعاني والبيان ولا غنى
لمن حصل علم ذلك وأدركه ودخل في سننه وسلكه أن يعرف حال الحروف المتقاربة
والمتباعدة والحروف المتصاحبة والمتضادة ليفتح بذلك أقفالها ويوضح أشكالها
ويشرح أشكالها فان حال التراجم عنوان فضل الكاتب وبرهان فكره الصائب
وفهمه الثاقب فان معرفة حال الحروف في ذلك من أسبابه اللوازم اللوازب
وقد استقصيت الكلام في أقسام الحروف وتركيبها وتسهيل معرفتها وتقريبها
للافهام تأليفها المعتني بها في الكتاب المسمى بالكوكب الناجم في معرفة
التراجم ولولا ان الاسهاب موجب للاضجار والاطناب متعب للافكار وان
الاولى سلوك سبيل الاختصار والميل الى الايجاز والاقتصار لما اقتصر لسان
القلم على هذا المقدار ولنشر من محاسن الانشاء ما يحار منه أولو البصائر
والابصار

﴿ كتابة الجيش ﴾

﴿ الطبقة الثالثة كتابة الجيش ﴾ أجمع أرباب الدراية بتدبير الممالك
ومن انتصب لاصلاحها بايضاح الطرق والمسالك ان من حراسة المملكة
وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فانه قطب مدارها وسبب
استقرارها فيتعين الاعتناء به والنظر في وظائف كتابته فان شأنه أرفع وديوانه
أجمع وعمله أوسع لاسيما في دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكناف قد قد تملكت
زيادة جيشها على آلاف فيحتاج الى ترتيب منازلهم على أقدار طبقاتهم وضبط
مقادير اقطاعهم ونفقاتهم ورعاية مبادي مددهم وأوقاتهم وتمييزهم بالاسماء
والكنى وتعريفهم بالاوصاف والحلى واشتباههم واختبارهم وانتقادهم لازالة
ريب التلبيس واعتمادها يؤمن من الاشتباه والتدليس والتيقظ لهذا الامر
والتحفظ فيه من أعظم الاغراض فان كثيرا من الدواب والاسلحة يستعار

العمائر فمنها قريش عمارة ثم من العمارة البطون فمنها عبد مناف بطن ثم من البطون الافخاذ فمنها عبد المطلب فخذ ثم من الفخذ الفصائل فمنها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فصيلة وعلى اعتبار ذلك ترتيبهم على قرب أنسابهم وسابقتهم في الاسلام وان لم يكونوا عربا وكانوا أجناسا مختلفة كالاتراك والاكراد والديلم وغير ذلك من الاجناس فيعتبر في ذلك تقدمهم في الاسلام فان لم يكن لهم تقدم بأن استووا فيه أولم يعلم حاله فيعتبر قربهم من ولي الامر فان استووا فيه يعتبر أعلاهم درجة في طاعة الله ونصرته فهذه الجهة العامة

وأما الجهة الخاصة بعد التساوي في الجهة العامة فيعتبر في تقدم الواحد على غيره التقدم بالسن فان استووا فيه فالمقدم بالشجاعة فان استووا فيه فولي الامر ان شاء يقدم بالقرعة وان شاء من يقتضيه نظره واجتهاده فهذا ما يتعلق بالترتيب والتنزيل * وأما عطاؤهم فعليه النظر في حال المرتبين في ديوان الجيش واعتبار ما يحتاج اليه كل واحد منهم في سنته لنفسه وأولاده ولوازمه ومماليكه ودوابه من طعام وكسوة وعلوفة وما تدعو حاجته اليه ثم بعد اعتبار ذلك يعتبر محله في الغلاء والرخص فيقدر له ما يكفيه لذلك كله ويستغنى به لسنته ثم يتفقد أمره كل حين فاذا زاد في عائلته ولوازمه زاده بقدر ما تجدد و يعتبره كل سنة ثم اختلف أهل العلم اذا كان قرر له ما يكفيه و يقوم بمؤنته فكثرت أموال بيت المال وتجددت زيادات و زادت متجددات فهل يجوز ان يزاد قراره على قدر كفايته و يعطى قسطا زائدا على ذلك فذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه لا يزاد على قراره الذي يكفيه ولا يعطى بسبب الزيادة المتجددة لبيت المال زيادة فيه وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى جواز الزيادة عند اتساع المال

(ترتيب المعاش والكلام على الاقطاعات)

وليجعل لصرف قرارهم اليها وقتا معينا في السنة اما في أولها أو في وسطها وان جعله في كل فصل جاز فان طرأ على أحدهم موت أو قتل وله ذرية صار ما كان قد استحقه في المدة الماضية حقا لهم يطالبون به وأما في المدة المستقبلة فقد اختلف العلماء في أن نفقة ذريته هل تصرف اليهم من القرار الذي كان باسمه في الديوان أم لا فمنهم من أوجبه لتتوفر دواعي الناس على الخدمة وبذل النفوس في الطاعة ومنهم من منع ذلك لانقطاع الاستحقاق بموت المستحق وكذلك اختلفوا لو طرأ زمانة على المستخدم فهل يبقى استحقاق نفقته في عطائه الذي كان مقررا باسمه أم يسقط على

الجيش وقسم يختص بصاحب ديوان الاموال * أما ما يتعلق بصاحب ديوان الاموال فيأتي مشروحا ان شاء الله تعالى

﴿صاحب ديوان الجيش﴾

وأما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فأمور كثيرة لكن اذا ذكرت أصولها لزمتها فروعها وهي اثبات المستخدمين من الجند وعطائهم وقرارهم من الاقطاع والنقد ولكل واحد من هذين الامرين شروط لا يجوز الاخلال بها ولا ينبغي الاعراض عنها * أما الاثبات والاستخدام فانه يستدعي اعتبار صفات خمسة منها واحد مختلف فيه وأربعة متفق عليها أما المتفق عليها فالبلوغ والاسلام والسلامة من أسباب العجز كالزمن والعمى وكل ما يمتنع القتال معه فأما العرج فان كان ممن يستخدم يقاتل راجلا فيمنع الاستخدام فلا يثبته وان كان ممن يقاتل راكبا فانه لا يمنع من الاستخدام فيثبته والرابع أن يكون قوي البنية عارفا بالقتال غير جبان فهذه الاربعة المتفق عليها وأما المختلف فيها فالحرية اعتبرها الشافعي رضي الله عنه وأسقط اعتبارها أبو حنيفة رضي الله عنه فاذا كانت هذه الصفات حاصلة في واحد وطلب أن يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش ويجرد عن الاعمال الشاغلة والموانع القاطعة فيجيبه ولي الامر ان كان الاحتياج يدعو اليه وان لم يكن هناك حاجة داعية فلا فاذا استخدم وأثبت في ديوان الجيش فان لم يكن معروفا مشهورا بل كان خاملا مغمورا فيحليه كاتب الجيش ويصفه ويذكر ما يميزه به ويعرفه ولا يقتصر على مجرد اسمه فان الاسماء قد تتوافق والالقاب قد تتطابق ثم يضيفه الى مقدم يصحبه أو نقيب بحيث يرعاه ويعرفه فاذا أثبتهم نزلهم منازلهم على أقدارهم وراعى في ترتيبهم أسباب اعتبارهم ولاعتبار ترتيبهم جهتان جهة عامة وجهة خاصة

﴿ترتيب القبائل﴾

فالجهة العامة وترتيب القبائل والاجناس فاذا كانوا عربا فاعتبار القبائل والانساب يقدم في ترتيب العطاء واثباته الاقرب فالاقرب من شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتبر في ذلك قاعدة أنساب العرب فان أنسابهم على ست طبقات شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل فالشعب طرف النسب الاعلى من جهة البعد والفصيلة طرف النسب الادنى من جانب القرب فعدنان مثلا شعب ومنه تشعب القبائل ومضر منها قبيلة ثم من القبائل

وتدبيرها ولهذا اعظم مطلوب الوزارة الاعتناء بامور الاموال وتدبيرها وصاحب
الديوان وان كان فرعا من فروع الوزارة فله ولاية واسعة وايالة جامعة ومكنته
في جهات الاموال بتقديره وتدبيره ناهضة وافرة وهو في الحقيقة كافل المرجو
المملكة وحاصل اثقالها وحامل نمو الدولة وحارس اعمالها ونائل كافة
آرائه لتوفير جهاتها وتثمير اموالها وباذل جهده في ادامة عمرانها وحفظ الفها
وذخائرها وارزاق رجالها فهو من الوزارة بمنزلة حصره لجهات الاموال واقسامها
ونظره في مناصبها واحكامها وحيث كانت الاموال التي جعل الله تعالى بيد
السلطنة زمام استخراجها وناطها بنظرها واقامة خراجها وخاطبها بسياستها مواد
انتاجها واوجب عليها سلوك سنن الحق والانصاف في اخذها واخراجها
متنوعة المواد متعددة الانواع متسعة الاعداد منعقدة الاتساع مرتفعة الازدياد
متزايدة الارتفاع يكاد لسان القلم ان رام حصرها ان يعترضه حصر او تطاول
الى استقصائها ان يعتريه قصر وجب ذكر اصول الاموال دون فروعها فانه يلزم
قبل بيان تالي كل قضية بيان موضوعها فاذا احكم صاحب الديوان معرفة
اصول الاموال استظهر على استخراج احكامها وقدر على استفتاح مقاصد الولاية
ومرامها * واصولها عشرة جزية وخراج وعشور واجور وزكوات واثمان
مقاطعات ومناجح وغنيمة وفيء ومعادن ولكل واحد من هذه الاصول
احكام سوغها الشرع ورسوم قررها الوضع والتعرض الى ابداء شعارها
والحث على اجتناء ثمارها من لوازم الوزارة وآثارها وصاحب الديوان هو المباشر
القيام بواجبها المثابر على [illegible]

﴿ الجزية ﴾

الاول الجزية) قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون الجزية هي البراءة المأخوذة
بعقد الذمة من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وتؤخذ من المجوس وفي
السامرة والصابئة خلاف ولا تؤخذ الجزية من امرأة ولا صبي ولا عبد ولا مجنون ولا
خنثى مشكل واقل الجزية دينار [illegible] الى الاجتهاد والاولى ان يكون
على الفقير [illegible]
[illegible]

الخلاف الذى كون ولو أراد ولى الامر قطع بعض الجند المستخدم فى الجيش واسقاطهم
من ديوانه فان كان قد ظهر بينهم ما يوجب قطعه أو حدث عذر يقتضيه جاز له ذلك
ولا جناح عليه وان لم يكن شئ من ذلك فلا يجوز قطعه وان أراد بعض الجند اخراج
نفسه من الديوان وقطع الخدمة فان كان عنه استغناء جاز له ذلك ولا يمنع منه وان
كانت الحاجة تدعو اليه فلا يجوز واذا جردت طائفة من الجيش للقاء العدو
فامتنعت من ذلك فان كانوا أكفاء العدو سقط قرارهم ومحقهم ولا يصرف اليهم
وان ضعفوا عن العدو لكثرته فلا يسقط ومن ماتت دابته فى حرب عوض عنها
وان تلف سلاحه فى قتال عوض عنه وان لم يكن داخلا فى قراره * وأما الاقطاعات
فيلزمه امعان النظر فى تحرير اعتبارها وتقدير عبرها بنسبة بدارها وتقدير محصلها
بتحديد مغلها المدة تختلف فى ريعها وأسعارها واخراج ما بين أول الحل والاقطاع
من المدة عن أجزائها فى استقبالها واستدبارها ثم اثبات ما على فلاحى النواحى
المقطعة من الحقوق المقررة والرسوم المقدرة واللوازم المحررة والغرم المعتبرة
وتنزيلها فى منشور من جرت تلك الناحية فى اقطاعه وقراره وذكر الاشتراط عليه فيه
أنه لا يتعدى حده بتناول ما يغير ذلك عن استمراره واستقراره ثم يضبط حدود ما
أقطعه لئلا يعدو أحد يده الى زيادة فى مقداره ثم يأتى كل فى تكميل عدة الرجال
المضاف استخدامهم اليه وعدة الاسلحة التى أوجبها شرع الخدمة عليه ويستعرض
البرك التام الذى به يستظهر على الاعداء والحروب ويعتبر فى دفع جوارح الاسلحة
عند الالتقاء عن الراكب والمركوب هذا الى اقامة حساب الجرائد وادامة العمل
بتكميل أسباب المقاصد واجراء كل ما يتعلق بالجيش على أجمل قواعد العوائد
* فهذه جمل من أصول عمل الجيش يحكمها العارف بقوانينها المستغنى بدرايته
ومعرفته عن شرحها وتبيينها

﴿ كتابة ديوان الاموال ﴾

﴿الطبقة الرابعة﴾ كتابة ديوان الاموال وهى طبقة صاحب الديوان لما كانت
السلطنة لا يتم نظامها ولا ينتظم تمامها ولا يدوم أحكامها ولا يحكم دوامها الا بالامراء
والاجناد والزعماء والقواد والعساكر الاجلاد فى الجلاد وهؤلاء لا يصحب جامح طاعتهم
ولا يقرب نازح خدمتهم الا بأموال تدر أخلاف عطائهم وأرزاق كافلة فيه تصل اليهم
ولا جرم كانت الاموال فى الحقيقة للسلطنة قواما ولشمل استقرارها واستمرارها انتظاما
فيجب الاهتمام بحفظ جهات الاموال وتثميرها وتعيين القيام بتسهيل موادها

أثبت ذلك الشرط في الديوان حفظاً للاعتبار وان كان فاوت فيه بين الامتعة وأنواع الاموال أثبته أيضا وذكره واستوفاه على مقتضى الشرط أما أعشار الاموال المستغلة في دار الاسلام من بلاد الحرب فممنوع منه شرعا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس العاشرون

الاجور

(الرابع الاجور) وهي أجرة كل مكان من حقوق بيت المال أو حواجار فشرعية ولا يجوزان تؤجر كالبياع فيه حجر أو ماجار ولا تحل ذلك نص عليه الشافعي رضي الله عنه

الزكوات

(الخامس الزكوات) وهذا نوع عظيم الاحكام كثير الاقسام فان الزكاة تتعلق بالذهب والفضة والابل والبقر والغنم وعروض التجارة والزروع والثمار والمعدن والركاز فأما الذهب فانه اذا بلغ عشرين مثقالا فصاعدا تعلق وجوب الزكاة به فيجب منه ربع العشر والفضة اذا بلغت مائتي درهم فصاعدا وجب فيها ربع العشر وأما الابل فاول نصابها خمس الى خمس وعشرين يجب فيها عن كل خمس شاة وفي الخمس والعشرين بنت مخاض وعمرها سنة فصاعدا الى ستة وثلاثين وفي ستة وثلاثين بنت لبون وعمرها سنتان فصاعدا الى ستة وأربعين وفي ستة وأربعين حقة وعمرها ثلاث سنين فصاعدا الى احدى وستين وفي احدى وستين جذعة وعمرها أربع سنين فصاعدا الى ستة وسبعين وفي ستة وسبعين بنتا لبون الى احدى وتسعين وفي احدى وتسعين حقتان الى مائة واحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ثم يستقر الحساب في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة وأما البقر فأول نصابها ثلاثون وفيها تبيع وعمره سنة وفي أربعين مسنة وعمرها سنتان وهكذا الحساب وأما الغنم فأول نصابها أربعون وفيها شاة الى مائة واحدى وعشرين وفي مائة واحدى وعشرين شاتان الى مائتين وواحدة وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه ثم في كل مائة شاة وأما عروض التجارة فتقوم ويعتبر الحول ورأس المال والربح على تفصيل مبسوط فيه ويؤخذ منه ربع العشر بشرائطه وأما الزروع والحبوب القطانى ان سقيت بماء السماء أو السيح فيؤخذ منها العشر بعد التصفية والتنقية وان سقيت بالنواضح يؤخذ منها نصف العشر اذا بلغ مقدارها ثمانمائة منا

أو جن بعد تمام السنة لم يسقط عنه ما وجب عليه وان كان ذلك فى أثناء السنة فالصحيح أنه لا يسقط ما مضى ومن أعسر به لم يسقط عنه واذا أيسر تؤخذ منه ولا يجوز اسقاطها والمسامحة بها

﴿الخراج﴾

(الثانى الخراج) قال الله تعالى أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين الخراج هو المال المؤدى عن رقاب الارض بشرط مخصوص والاراضى أربعة أنواع * الاول ما أحياه المسلمون فذلك أرض عشر لا يكون عليها خراج * الثانى ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به فعند الشافعى هى أرض عشر لا يكون عليها خراج * الرابع ما كان قد صولح عليه المشركون من أراضيهم فهى أرض الخراج ثم منها ما يكون أهله قد انجلوا عنه فتصير تلك الاراضى وقفا على مصالح المسلمين و يضرب عليها الخراج وتكون أجرة مقررة على الابد لا تؤثر فيها الجهالة ولا يجوز بيع هذه الاراضى المختصة بهذا الخراج ومنها ما يقيم أهله فيه و يصالحون على اقراره بأيديهم بخراج يضرب عليهم ثم الخراج المضروب على الارضين يختلف مقداره باختلاف نماء الارض فان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ضرب الخراج على سواد العراق اعتبر ذلك وكان كسرى أول من مسح السواد وضرب عليه الخراج فراعى ما تحتمله الارض ولما بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن حنيف الى العراق أمره بالمساحة ووضع ما تحتمله الارض فمسح ووضع على كل جريب من الكرم والشجر الملتف عشرة دراهم ومن النخل ثمانية دراهم ومن قصب السكر ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم ومن الحنطة أربعة دراهم ومن الشعير درهمين فهذا كان عمله فى أرض العراق وعمل فى أرض الشام غير ذلك رعاية لاحوال الارض واختلاف أحوالها من ثلاثة أوجه الاول لذاتها الثانى لذات المزروع ولتفاوت قيمته فان الحنطة أعلى من الشعير الثالث لحالها فى السقى وغيره فراعى هذه الاحوال فى ضروب الخراج لئلا يحيف باحدى الجهتين

﴿العشور﴾

(الثالث العشور) والعشر ينقسم الى قسمين أحدهما يجب فى الزروع التى سقيت بماء السماء على تفصيل فيه وهو مذكور فى الزكوات الثانى ما يؤخذ من أموال الكفار فاذا دخل شئ من أموال الكفار أهل الحرب الى بلد الاسلام المناخم لهم وقد استقر الصلح معهم على أخذ العشر أو الخمس أو أكثر منه أو أقل منه

مال مات عنه من لا وارث له وهي الاموال الحربية

﴿المعادن﴾

(العاشر المعادن أجناس) والعلماء قد اختلفوا في مقدار ما يؤخذ منها وفي الجنس المأخوذ منه والمختار ما تقدم في نوعه في الزكاة فان كان لها قرار مثبت في الديوان عن اجتهاد من تقدم فيعمل به وان لم يكن هناك قرار فيعمل بما ذكرته * فهذه أصول جهات الاموال السلطانية ومواد الحقوق الديوانية وهي وان كانت مختصرة الالفاظ فلها لوازم وتوابع وفروع مبسوطة المعاني لا يجوز اغفالها ولا اهمالها ويستعمل اليقظة في التطلع الى أحوال المستخدمين بين يديه ويتبع قضايا من استنابه في بعض الاعمال واعتمد عليه ويلزم كل عامل بحساب عمله ويؤاخذه بما يظهر عليه من خلله ويسترفع شواهد الاعمال لاوقاتها ويستطلع عوائد العمال في خلواتها فمن أحضر حساب عمله محررا ووجده فيما باشره لا خائنا ولا مقصرا ولم يكن في خلابة اللعب واللهو منهمكا ولا مشتهرا استدام استخدامه وأدام اكرامه وزاد احسانه اليه وانعامه وشكر نهضته في عمله وقيامه ومن نكب منهم عن سنن الصواب وركب مطا الاضطراب قطعه عن مباشرة الاسباب وجرعه من الاهانة صاب الاوصاب وليجتهد في أن لا يدخل عليه في شيء من أحواله خلل ولا يتطرق اليه من جهات الاعمال والعمال زلل فانه مطالب بعهدة ما تقلده محاسب في الدنيا والآخرة على ما اعتمده

﴿الطبقة الخامسة﴾

سائر الحاشية المرتبين بصدد المهام المستبدين للقيام باتمام المراد والمرام المعدودين من أصحاب المناصب الجسام والمراتب الوسام فيجب نزاهتهم عن مواقف التهمة واحترازهم عن سوء ظن الرتبة واتصافهم بالامانة واجتنابهم وصمة الخيانة خصوصا من كان منهم ناقلا عن السلطان واليه وشاهدا في الحقيقة له وعليه وهو المرتب للحجبة والمستندب للرسالة فان أدنى زلل يقع منهما وأقل خلل يصدر عنهما يفتح باب فساد لا يسد ثقبه ويقدح في الدولة قدحا يتسع خرقه فلهذا اعتبر قدعا فيمن يقوم بالمصالح معرفة ودين وأمانة وصدق ومروءة ونزاهة نفس لئلا يستمال بشيء من الرشوة فيضيع مصالح الدولة وللقلم في هذا المقام مقال واسع ولمن

فصاعدا ولا يمنع من أخذ ذلك كون الارض المزروع فيها خراجية بل يجمع بين العشر والخراج عند الشافعي رضي الله عنه وأما المعدن فيؤخذ مما يخرج منه من ذهب أو فضة خمسه على قول وربع عشره على قول وأما الركاز فيؤخذ ان كان دفين الجاهلية خمسه اذا كان في موات وفي تفاصيل شروط الزكوات وجوبا واستخراجا وصرفا وأخراجا أبحاث كثيرة ومسائل متعددة لا حاجة الى تسطيرها في هذا الكتاب وفي القدر المذكور من التنبيه على أنواع الزكاة كفاية في هذا الباب

﴿ أثمان المبيعات ﴾

(السادس أثمان المبيعات) قد تدعو الضرورة في بعض الاوقات عند تضاعف مواد الخراجات وترادف ذوي الحاجات الى سد بثق وعمارة ثغر وتجهيز جيش وهجوم عدو ومداراة معاند ودفع خارج وتضيق الاموال الحاصلة والنقود المدخرة عن الوفاء بذلك فيجوز بيع شيء من الاملاك المنتقلة الى بيت المال رعاية للاغبط واعتناء بالعمل الاحوط وكذلك أثمان مبيعات ديوانية وأعواض مصالحات عن أمور سلطانية كل ذلك من أمور السلطنة وحقوق المملكة ويتعين عليه في بعض ذلك ما يتعين على الوكيل المطلق من رعاية ثمن المثل والنقدية والحلول

﴿ المقاسمات ﴾

(السابع المقاسمات) لا يكاد يخفى حكم المقاسمة على من انتصب لخدمة السلطان ورسم نفسه بصاحب الديوان والتزم بالولاية حمل أعباء هذا الشان متى خرجت مساحة الارضين من الديوان وكان قد تقررت القسمة مع أربابها بجزء معلوم من ثلث أو ربع أو غير ذلك من الاجزاء يجب اتباع ذلك ولا يجوز أخذ الزائد على المشروط وقد تقدم استخراج العشر من الغلال وطريق ذلك المقاسمة مع أرباب الاموال

﴿ الغنيمة ﴾

(الثامن الغنيمة) وهي ما يؤخذ من الكفار بالقتال والايجاف فأربعة أخماسها للغانمين وخمسها يخمس فخمسه مرصد للمصالح العامة

﴿ الفيء ﴾

(التاسع الفيء) وهو كل مال يؤخذ من الكفار من غير قتال وكل ما هربوا عنه وكل

هو ظل الله في أرضه والنظر في أحوالها وحرمت عليه الاعراض عن تفقدها مخافة اختلالها من أوقاف قصد واقفوها التقرب الى الله تعالى لصرفها الى جهات الاستحقاق واتصالها الى أربابها لينالوا بها ميرة الارتفاق وهم الخصماء المتعاون عند الله تعالى بعطائها وماله من الله من واق والغرماء المتظلمون في عرصات القيامة من مبطلها يوم صيحة واحدة ما لها من فواق وكيف لا وهي سبب خير كثير وباب بر كبير من اعانة أسير واغاثة فقير واسعاد فقيه واسعاف طالب علم وارفاد صوفي ومبرة عابد وتعهد منقطع وسد فاقة محتاج واطلاق مسجون وصلة رحم وجبر كسير ومداواة مريض واقامة وظائف مدارس العلم التي بها تحفظ أحكام الشريعة وادرار ارزاق عمرة المساجد باقامة الجماعات من الائمة والمؤذنين والقومة والقراء فهذه الاصول من قواعد الديانات والفصول المعدودة من محاسن الحسنات لا يجوز تفويضها الا الى متصف بما اشترطته الشريعة الشريفة من الصفات واعتبرت وجوده في صحة تقليد هذه الولايات من عدالة لا يجوز العدول عنها وأمانة لا يحل الاخلال بها وكفاءة لا ينبغي الخلو منها فان تولى شيأ من هذه الاعمال فاسق أو خائن أو عاجز لا تصح ولايته ولا تحل مباشرته ويكون من ولاه ذلك عالما به عاصيا آثما يطالبه الله عز وجل يوم القيامة بعهدته ويؤاخذه بفعله اذا ظهرت هذه الجملة وتفصيل القول فيها ان أركان أصولها وفصولها المذكورة أربعة الفتيا والقضاء والحسبة وأمر الاوقاف ولكل واحدة من هذه الرتب شروط تخصها وأمور تتعلق بها وأحكام تنبني عليها وهذا بيان شاف بشرح هذه الاركان وأهلها يوضح ان من لا أهلية له لا يحل أن يتعرض لها

﴿الركن الاول الفتيا﴾

الفتيا وهي ركن عظيم من الشريعة وعليه عول الصحابة رضي الله عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم التابعون ومن بعدهم الى زماننا هذا والكلام في صفات المباشر للفتيا القائم بها وهو المفتي المتسلط على أحكام الشريعة تناولا واستنباطا فلا بد له من أوصاف يصير بها متوصلا الى استخراج الاحكام وأهلا لقبول قوله في الحكم المستفتى وهي العقل والبلوغ والعدالة واجتناب المعاصي القادحة فيها ومعرفة اللغة وفهم كلام العرب وعلم النحو

تقدم من العلماء فيه كلام نافع لكن صدف عن بسط لسان القلم به عذر من الاطالة مانع وعلى الجملة فاهماله واغفاله سيف قاطع وسم ناقع

(القاعدة الثالثة في الشريعة والديانات)

الشريعة هي المحجة الواضحة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعها والحجة القاطعة التي أدحض بها شبه المبطلين وقطعها والطريقة المثلى التي بناها على قاعدة الوحي والتنزيل ووضعها والحقيقة العليا التي أعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها فهي سبيل يفضي بسالكه الى الصراط المستقيم ودليل يهدي متبعه الى الامور العظيم ولقد تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية للناظرين وأقام لها شاهدا من القرآن الذي هو لسان صدق في الاولين والآخرين وجعل لها حماة وحملة فحماتها الملوك وحملتها العلماء فأما الملوك الذين أقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملة وحماية الشريعة فقد تقدم القول في تفاصيل صفاتهم وفيما يتعين اعتماده من صنوف تصرفاتهم وأما العلماء فهم القائمون بحملها المعتنون بنقلها الحاملون عبء ثقلها فهم في الحقيقة بإحكام أحكامها معتنون يعتدون بها ذخرا يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق بعض درجات واختص من يشاء منهم من لطفه بمزايا وصفات وأقدارهم مرتفعة بالصفات دون الذوات ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا منه من الثمرات فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أما الظالم لنفسه فهو الذي لا يعمل بعلمه ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه فهو على الحقيقة تابع هواه بائع هداه فينبغي أن لا نفوض اليه أمر ديني ليتولاه فان لم ينصح نفسه خليق به أن لا ينصح من سواه وأما الآخران فجدير بهما أداء أمانة ما تحملاه وحقيق بهما النهوض بأعباء ما تقلداه فان الاعمال الدينية هي أبدا مبدأ أهل الاهتداء الى طريق الحلال والحرام والاقتداء فيما يعرض من الوقائع والاحكام والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام والاعتناء بأمور المستضعفين من الايامى والايتام ثم الحسبة التي هي من شعائر الاسلام وهي مشاركة للقضاء في كثير من أقسام النقض والابرام هذا الى تعليم العلم ونشره وتفهيم غامضه وذكره واشتغال كل فقيه بمقدار ما يحتمله اذ قدر فهمه حتى قدره الى غير ذلك من الامور الدينية التي منعت الشريعة المطهرة من اهمالها وأوجبت على من

المنبه عليه من لوازم القضاء وآدابه وكيت عن السنن القويم الذي من زاغ
عنه حكم عليه بعطبه ومن أمه واقتفاه حصلت له النجاة بسببه ومن لم يعلم تفاصيل
الآداب ويميز بين الغثر واللباب ففصل أيها المصنف ما أجملته وبين ما أهملته
ليعلم عند تتبع أحكام الحكام أي الفريقين أحق بالأمرين من العطب وأي
الحزبين يقال لهم انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
قلت اعلم ان ولاية القضاء تستدعي تقدم أوصاف في مباشرها حتى يجوز له الارتقاء
الى ذروتها وتستلحق آدابا يؤمر بحكم الولاية بالقيام بها والاستمساك بعروتها
وانا الآن أفصل كل واحدة من هاتين الحالتين المذكورتين في جهتها أما الأوصاف
المشروطة في هذه الولاية فهي الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والذكورة
والسلامة في السمع والبصر واللسان ولا يقتنع بالعقل الذي هو مناط التكليف بل
ينبغي أن يكون صحيح التمييز جيد الفطنة بعيدا عن السهو والغفلة يتوصل بذكائه
الى وضوح ما أشكل وفصل ما أعضل ثم العدالة وهي أصل في ذلك ومدارها على
اجتناب الكبائر وترك الاصرار على الصغائر وحفظ المروءة والكبيرة من
الذنوب ما يوجب حدا وقيل ما لحق الوعيد فاعله بنص الكتاب أو السنة والصغيرة
ما ليس كذلك من الذنوب ويندرج فيما ذكرناه على رأي بعض الأصحاب
أن من ترك فريضة واحدة من الفرائض مع العلم حتى خرج وقتها من غير عذر
فلا عدالة له وكذا من اعتاد ترك السنن الرواتب وتسبيحات الركوع والسجود
وأما المروءة فهي حسن السيرة ومجانبة الدنايا فتلخص من ذلك أن يكون صادق
اللهجة ظاهر الامانة عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا من الريب
مأمونا في الرضا والغضب معتمد المروءة مثله في دينه ودنياه وأن يكون
عالما بالاحكام الشرعية عارفا بالكتاب والسنة والاجماع والاختلاف والقياس
ولغة العرب ولا يشترط معرفة ذلك جميعه بل يعرف من الكتاب والسنة
ما تفتقر الاحكام اليه بحيث انه يقدم المحكم على المتشابه والخاص على العام
والمبين على المجمل والناسخ على المنسوخ ويبني المطلق على المقيد ويقضي بالمتواتر
دون الآحاد والمسند دون المرسل وبالمتصل دون المنقطع وبالاجماع دون الاختلاف
ويعرف أنواع الأدلة وما يتعلق بها بالترجيح بعضها على بعض ويعرف أقسام
الأقيسة ليتوصل بها الى الاحكام فانه ليس كل حكم منصوصا عليه
وأقسام القياس المعتبرة ثلاثة جلي وواضح وخفي فالجلي ما يقع السامع عليه بأول

والاحاطة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية بما يتعلق بالاحكام والعلم بما يختص بذلك من ناسخ منسوخ وعام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين ومتقدم ومتأخر ومتواتر وآحاد وصحيح وسقيم واجماع وخلاف وأقوال الصحابة والمجتهدين وكذلك يعلم أقسام الاحكام من الواجب والمندوب والجائز والحرام والمكروه وأقسام الاوامر والنواهي وما يتعلق بهما وعلى الجملة فمعرفة أصول الفقه شرط لا بد منه واذا حصلت هذه الصفات وكانت هذه الشروط فلا بد معها من غريزة نفسانية لا تحصل بالاكتساب فنباغة النفس واستقامة الذهن بحيث يحصل بها استكمال هذه الاسباب لمعرفة الحكم المستفتي فيه فان قيل فمن لم يعرف هذه الاسباب ولا حصلت له هذه الصفات هل يجوز أن يفتي وهل تقبل فتواه قلت ان فقد العقل أو العدالة فلا يجوز له الافتاء بالاجماع فان قول الفاسق ومن لا عقل له لا يقبل وان كان عاقلا عدلا ونقل الحكم عن غيره وحكاه عن امام درج الى رحمة الله تعالى فقد اختلف الناس في جواز فتياه فذهب بعضهم الى انه لا يجوز ومنع منه وذهب آخرون الى جوازه توسعة للامر على الناس ورفقا بهم

﴿الركن الثاني القضاء وشروطه﴾

القضاء وهو من أعظم الاركان وقعا وأعمها نفعا وعليه مدار مصالح الامة عقلا وشرعا والمقصد به نصب ميزان المعدلة في الاحكام وفصل القضايا بين الانام عند الخصام وبسط بساط التناصف بين الخاص والعام في النقض والابرام ولن يتم هذا المقصد من مباشره الا اذا كان كثير من الاخلاق النبوية من صفاته وما آثره من متانة دين تزعه عن موارد الهوى ومصادره وغزارة علم يهتدى بنوره في باطن كل أمر وظاهره وعفة نفس تحميه عن مواقف التهم وشرف همة تحمله على اكتساب مكارم الشيم ونزاهة تقي عرضه عن أن يتهم فيما به حكم وأن يكون متضلعا من معرفة آداب القضاء متحليا بتجربة قد كشفت له حقائق الاشياء رحيب الصدر ثابت الرأى لا تتزعزع حصاته اذا طاشت ثوابت الآراء هذا مع الارتداء بجلباب الوقار والتدرع بشعائر النزاهة عن الاكدار والتجنب لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار وسلوك السنن القويم عساه يكون أحد القضاة الثلاثة الذين في الجنة ولا يكون أحد الآخرين اللذين في النار فان قيل قد أجملت القول في الجلباب الذي يتعين على الحاكم الارتداء به وأعرضت عن تفصيل ما يجب

المصلحة فى التقديم قدمه وههنا جرت قضية كتب فيها مكتوبا بشرحها واذ ذكره احببنا لو من جرت منه اساءة أدب فى مجلسه عزره بما يراه ويعزر شاهد الزور وينبغى ان لا يأخذه فى الله لومة لائم ولا يحكم بخلاف علمه قولا واحدا وفى حكمه بعلمه خلاف مشهور ولا يقضى لنفسه ولا لولده وان سفل ولا لوالده وان علا وعلى الجملة فلو بسط العلم لسانه لاستقصا لوازم هذا الباب واستيعاء ما للولاية القضاء من الشروط والآداب لمد بذلك أطناب الاطالة والاطناب ولخرج عن الاختصار المشروط فى هذا الكتاب وفى هذه النبذة اليسيرة كفاية لمن وعاها وهداية مغنية لمن رعاها

﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية فى المقاصد العلية والمقاصد المرعية لاسيما فى المراصد الشرعية أن يتطلع الى الوقوف على شئ من جزئياتها وتوقع معرفة شئ من أحوال سالكى طرقاتها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها الفارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء نفوسهم الامارة فى ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القائمين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للمتوسمين واذكار نافع والذكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشرع بعده هذا وضعها وولاة أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفى ذكر بعضها تبصرة يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لا حاجة معها الى زيادة تذكرة

﴿ القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحى ﴾

قال غير المدنى قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحى متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور فى شئ ذكروه فأمرنى أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفينى من ذلك فانه يعرف خطى فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله ما يمضى به غيرك فمضيت به الى الربيع حاجبه وجعلت أعتذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة

وهلة من غير اعمال فكر وهو أنواع بعضها أجلى من بعض وأما القياس الواضح فهو
أن يستنبط علة الحكم من محل الحكم المنصوص عليه ويأخذ معنى الاصل بكماله في
الفرع وأما القياس الخفي وهو قياس الشبه فهو أن تكون الحادثة أو الواقعة تشبه
أصلين مختلفي الحكم ويكون أحدهما أكثر شبها بها من الآخر فيلحق بالاصل
الذي شبهه أكثر وهذه الاقسام الثلاثة أرجحها القياس الجلي فانه لا يحتمل
الا معنى واحدا فأشبه النص ولهذا يجوز نقض الحكم اذا وقع على خلافه
بخلاف القسمين الآخرين وأما الآداب التي يؤمر بها فأمور كثيرة منها ما هو
واجب ومنها مستحب وأنا أشير الى بيانها على وجه الاختصار فأقول ينبغي
أن يكون شديدا من غير عنف لينا من غير ضعف ويجعل مجلسه في وسط
البلد لتستوي الجهات اليه ويتخذ كاتبا عدلا أمينا كامل العقل عارفا
شروط الكتابة ومحاسبه وترجمانه ويتخذ قاسما أمينا على صفة
الكاتب وزيادة معرفة الحساب لاجل وقائع الاملاك المتجددة وأن يشاور
العلماء في الوقائع الاجتهادية ويستحضر الشهود الى مجلسه وأن ينفرد بسجادة عن
الحاضرين ويحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبعده احترازا
عن التضاغن بينهما فان أبيا بت الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشتري بنفسه ولا
يجعل له وكيلا معروفا في البلد لئلا يراعيه الناس في البيع والشراء ولا يشتغل
عن حال المحبوسين وكشف أمورهم فيطلق من حبس ظلما ويستديم من حبس
بحق ومن جهل حاله أشاع أمره لينكشف وفي مدة الاشاعة لا يحبس بل يوكل
به من يحفظه أو يطالب بوكيل لا غير ثم ينظر في أمور اليتامى وأموال الاطفال
بمحاسبة الاوصياء ثم في أمور الامناء الذين نصبهم الحاكم قبله ثم في أمور الشهود
بتقديم المزكين والمترجمين اذا دعت الحاجة اليهم ولا يقضي عند تغير طبعه واختلال
خلقه بغضب أو حزن أو فرح أو جوع أو عطش أو حر مزعج أو برد مؤلم أو عند
مدافعة الاخبثين أو عند غلبة النعاس فان خالف وقضى نفذ قضاؤه ويحرم عليه
أن يرتشي فان أخذها ففيها وجهان أحدهما أن ترد الى أصحابها والثاني انها تحمل
الى بيت المال لمصالح المسلمين واذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما بادنى
زيادة بشر ولا قيام ولا محادثة ولا نظر ولا يرفع أحد الخصمين في المجلس الا أن
يكون مسلما وخصمه ذميا ففيه خلاف ويقدم السابق فالسابق في فصل القضايا
ان تساووا اقدم بالقرعة في قضية واحدة فان كان فيهم امرأة أو مسافر ورأى

﴿القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت اخوتي و بنيت بيني و بينهم حائطا وجعلت فيه رجلا فارسيا يحفظ النخل و يقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وساومني ورغبني فلم أبعه فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيأ واختلط بنخل اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر فختمها وقال امضي الى بابه حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة المختومة وأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع لي صاحب الشرطة فدعا به فقال امض الى شريك وقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي" قال صاحب الشرطة ان رأى الامير أن يعفيني من ذلك فقال امض و يلك فخرج وقال لغلمانه اذهبوا واحملوا لي الى حبس القاضي بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه أدى الرسالة فقال لغلام المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسني فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس و بلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أي شئ عليه فقال شريك اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحق بن الصباح الاشعثي والى جماعة من وجوه الكوفة من اصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام و أعلموه انه استخف بي واني لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالي أراكم جئتموني في غبرة من الناس فكلمتموني من ههنا من فتيان الحي فأجابه جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أجاد أنت قال حقا حتى لا تعودوا لرسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره فدعا بالقمطر فختمه ووجه به الى منزله وقال لغلامه الحق بثقلي الى بغداد

والاشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انى دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأنى بالسلام ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو فى ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضى أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم والجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضى من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فاقتضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أبرك سلوك السنن القويم واتباع الصراط المستقيم

﴿ القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضى ﴾

نقل ان عاقبة بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى فجاء فى بعض الايام وقت الظهر للمهدى وهو خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه فى ان يسلم اليه القمطر الذى فيه قضايا مجالس الحكم واستعفاه من القضاء وطلب منه أن يقيله من ولايته فظن المهدى ان بعض الاولياء قد عارضه فى حكمه فقال له فى ذلك وانه ان عارضك أحد لننكر عليه فقال القاضى لم يكن شئ من ذلك قال فما سبب استعفائك من القضاء قال يا أمير المؤمنين كان تقدم الى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة وكل يدعى بينة وشهودا ويدلى بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا أو أن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما انى أحب الرطب فعمد فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبا لا يتهيأ فى وقتنا جمع مثله لامير المؤمنين وما رأيت أحسن منه ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرد عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق فرد عليه فلما كان اليوم تقدم الخصمان الى فما تساويا فى عينى ولا قلبى فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة فى دينى وقد فسد الناس فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله واعفنى عفا الله عنك

السياط فسلم على شريك وجلس الى جانبه فقال رجل انا بالله ثم بك اصلحك الله
أنا رجل أعمل هذا الوشي أجري كل شهر مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر
واحبسني في طراز يجري علي القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأفلت
اليوم نحوهم لأراهم فلحقني فجعل يضرب ظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع
خصمك يا نصراني فقال أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مر به الى
الحبس قال قم ويلك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال ما هذه الآثار التي
بظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلح الله القاضي انما ضربته أسواطا بيدي
وهو يستحق أكثر من ذلك مر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج
سوطا ثم ضرب بيده الى مجامع ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب والله بعدها
المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحي خذوا هؤلاء الى الحبس
فهرب الاعوان وبقي النصراني فضربه أسواطا فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما
فرغ من ضربه ألقى السوط في الدهليز وقال لي يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج
بغير اذن مواليه فأخذنا فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيأ وقام النصراني الى
البرذون ولم يكن له من يمسكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال له
شريك أرفق به ويلك فانه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال عمر فقلت له
ما أول هذه الفعلات اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لي أعز
أمر الله يعزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصراني الى موسى بن عيسى فقال
شريك فعل بي كيت فقال له والله ما أتعرض لشريك فمضى النصراني الى
بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

﴿ القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقة ﴾

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقة
وكان الرشيد اذ ذاك بها فجاء رجل الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر
فكتب اليه القاضي ابن ظبيان أما بعد أبقى الله الامير وحفظه وأتم نعمته أتاني رجل
فذكر انه فلان بن فلان وأن له على الامير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان
رأى الامير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب
الى الرجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل
هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع

والله ما طلباهذا الامر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا الغافية الاعزاز ادتعلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى وركب فى موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول يا أبا عبد الله تثبت انظرا خوانك تحبسهم دع أعوانى قال نعم لانهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا والامضيت الى أمير المؤمنين المهدى فاستعفيته مما قلدنى فأمر موسى بردهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجان فقال قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لاعوانه خذوا بلجام دابته بين يدى الى مجلس الحكم فروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس فى مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس فقال ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبنى حائطها سريعا كما كان قال أفعل ذلك قال لها أبقى لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسى ومتاعه قال موسى بن عيسى ويرد ذلك كله بقى لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيرا قال قومى فقامت من مجلسه فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه فى مجلسه وقال السلام عليك أيها الامير أنأمر بشئ فقال أى شئ آمر وضحك فقال له شريك أيها الامير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه

﴿القضية الرابعة عدل القاضى شريك أيضا﴾

قال عمر ابن أخى خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضى شريك فأتيته يوما فى منزله باكرا فخرج الى فى رداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابى أمس فلم تجف اجلس فجلست فجعلنا نذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى ان لا يعصى له أمرا بالكوفة وكان مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق معه جماعة من أصحابه وعليه جبة خز وطيلسان وتحته برذون فاره واذا بين يديه رجل مكتوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضى واذا فى ظهره آثار

أمير المؤمنين اجابه بقول وتحنط وتكفن فعلت الله ... ثم أتى دفعت عن
صاحب نبيك أن طعن على أصحابه وسلم منه وادخلت على الرشيد وهو جالس
على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال
يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرأت
علي فقلت يا أمير المؤمنين ان الذي قلته وجادلت عنه ازراء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فانه اذا كان أصحابه ورواة سنته
كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصلاة والصيام والنكاح
والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغي
اليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحييتني يا عمر بن حبيب
أحياك الله أحييتني أحياك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم

﴿القضية السابعة عدل حفص القاضي﴾

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جمالا على مرزبان المجوسي وكيل
أم جعفر بثلاثين ألف درهم فمطله بثمنها وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل
وأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني
ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقي وأسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفني حتى
أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل
فأخبره فقال له عد اليه وقل له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى
أوكل رجلا يقبض المال منك في دفعات وأروح أنا الى خراسان فاذا جاء وجلس الى
القاضي فادع بمالك كله فاذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني
الى مرزبان وسأله ذلك فاجابه وقال غدا انتظرني بباب القاضي فلما ركب من
الغد قام اليه الرجل وقال ان رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل بقبض المال
وأروح فنزل مرزبان فتقدما الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصلح الله
القاضي لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادعى عليه فقال له حفص ما تقول
يا مجوسي قال صدق أصلح الله القاضي قال قد أقر لك قال يعطيني مالي والا الحبس
فقال للمرزبان يا مجوسي ما تقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال له حفص
يا أحمق تقر ثم تقول هذا على السيدة ما تقول يا رجل قال ان أعطاني مالي

لك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا وسأله أن يحضره الى مجلس
الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه فحضرا باب
عيسى بن جعفر ودفعا الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب اليه
حفظك الله وامتع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت
انهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقعدا
على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به
عادا فأبلغاه ذلك فختم قمطره وأغلق بابه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعاه
يسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفلح
قاض لا يقيم الحق على القوي والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من اقامة الحق
قال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن
جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى
الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس
وأغلق الأبواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأي في قتله
ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الأعوان من خلف الباب وارتفع الصراخ في منزله وضج
النساء فسكتهن ثم قال لبعض الأعوان من غلمان ابراهيم ادع لي أبا اسحق لأكلمه
فأعلموه فجاء حتى وقف على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر
القاضي ابن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن
تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح
أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمه فيك ما رأيت وإياك ومعارضته

﴿القصة السادسة جزاء عمر بن حبيب القاضي﴾

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما فجرت مسئلة فتنازعها
الخصوم وعلت الأصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون
منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم
ونصرقولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة
صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الي
الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب

البيع مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك افلاسه وقد قسمت لهم ماله فاجعلنا
كأحدهم وقسط لنا فقال أبو خازم قل له أطال الله بقاءه اذكر ما قال لي وقت أن
قلدني القضاء قد أخرجت الامر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال
رجل لمدع الا ببينة فرجع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني
رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل
عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبت عندي وامتنع أولئك
من الشهادة فزعا أن لا تقبل شهادتهما ولم يدفع للمعتضد شيء فهكذا يكون القضاء
السديد

﴿القضية التاسعة نادرة في عدل أبي خازم عبد الحميد القاضي﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقلد لأبي خازم عبد الحميد القاضي وقوفا في أيام
المعتضد بالله منها وقوف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر
المعروف بالحسني أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري
وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مال الوقوف الا ما أخذه المعتضد
فجئت الى القاضي أبي خازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في
سبله على أهل الوقف فقال هل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب
الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لئن لم يزح العلة لا وليت له
عملا ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال امض الى صافي
الحرمي وقل له انك رسول أنفذت في مهم فاستأذن لك فاذا وصلت اليه فعرفه ما قلت
لك فجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين
يديه ظن أن أمرا عظيما قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد
قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره
ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقته الى ان أجبي ما على أمير المؤمنين
وأنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب وأمرني ان أقول اني حضرت في مهم لأصل
اليك قال فسكت المعتضد ساعة مفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافي أحضر
الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أربعمائة دينار قال أتعرف
النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزانا ثم قال اتزن أربعمائة دينار فقبضتها
وانصرفت الى أبي خازم فعرفته ذلك فقال أضفها الى ما عندك من الوقوف وفرقه

والا حبسته فقال حفص يا مجوسى ما تقول قال المال على السيده قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت و بعثت الى السندى وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فاسرع السندى فاخرجه من الحبس و بلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندى والله لا أجلس للقضاء أو يرد مرزبان الى الحبس وعلق باب بيته فسمع السندى ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله فى فان حفصا من لا يأخذه فى الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لى بأمر من أخرجته رده الى الحبس وأنا أكلم حفصا فيه فاجابته ورده الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحمق حبس وكيلى واستخف به اكتب اليه ومره لا ينظر فى الحكم فامر لها بالكتاب و بلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضر لى شهودا لاسجل لك على المجوسى بالمال و جلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن فى حكم شرعى حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لاخبرن أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل له ما أحببت فجاء الخادم وأخبر هرون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر لحفص بن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضى قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب فى هذا وقال حفص تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما زدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أنى سجلت على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه فقال يحيى فمن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿القضية الثامنة عدل القاضى أبى حازم﴾

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصيبى حضرت القاضى أبا حازم وقد جاءه طريف المخلدى من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان

بها تعلقه ولايتها ولا يراقب الا الله تعالى في اقامة وظيفتها فتجري بذلك ادوار
الاقدار وتحقق هذا النبأ العظيم واتصل الهوى المتبع بالقلوب وانقطع الصراط
المستقيم وضعف الحق حتى لو نطق لقال من غير نظر في النجوم اني سقيم فلا يعتقد
أن ذلك مع تفاقمه يجوز ترك الرعايا سدى أو يبيح اغفال أحوال القضايا أبدا بل
يتعين العمل بقدر الامكان من الجانبين معاناة وعقدا و يطلب من فوض الله
اليه أمر بلاده وعباده الاصلح لذلك اذ لم يجد على سيرة المتقدمين أحدا
* ومما قيل قديما ان الميسور لا يسقط بالمعسور الا اذا كانت الامور طرائق
قددا

﴿الركن الثالث الحسبة﴾

وهي في الحقيقة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي من أرسخ قواعد الدين
واقامة شعائرها من أقوم المسالك الى التمسك بحبل الله المتين وهي ولاية جليلة
لا يقوم بها غير القوي الامين ولا يؤدي فرضها الا من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
والنظر فيها يتعلق بقسمين الاول في الشروط المعتبرة في القائم بها والمنتصب لها
والثاني فيما يلزمه من أعمالها و يباشره من أحوالها أما القسم الاول الشروط
المعتبرة فيه فأن يكون حرا عدلا ذا رأى وصرامة وخشونة في الدين عالما بالمنكرات
الظاهرة لينكرها أمينا لا يقبل رشوة ولا يرتكب خيانة واعتبر أبو سعيد
الاصطخري أن يكون عالما من أهل الاجتهاد وجعل له أن يحمل الناس على
رأيه واجتهاده فيما ينكره مما اختلف العلماء فيه وغير أبي سعيد لم يعتبر ذلك ولا
جعله له وعلى الجملة فلا يتقلد من امتطى مطا هذه الولاية الظاهرة الرياسة المشهود لها
بالجلالة والنفاسة من اقامة أوضاعها المبنية على الحماية والحراسة ومعرفة
أحكامها المتعلقة بالسياسة ولا يكفي فيها مجرد القراءة والدراسة بل يفتقر الى
نفس متصفة باليقظة والكياسة متحلية بشيء من التجربة والفراسة فانها ولاية
شاملة للاعيان والرعاع نافذة في تأديب أهل المكر والخداع مسلطة على ردع
ذوي التحيل والتحمل من الصناع مسيطرة في استنباط حال الظالم والمظلوم عند
الاختصام والنزاع فلهذا احتاج الى نفس سديدة يقظة عارفة ومعرفة بتالده وطارفه
وتجربة لانواع الوقائع مشارفة وفراسة لتحقيق الحق اذا تعارضت الشبه كاشفة

غدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

﴿القضية العاشرة عدل اسمعيل القاضي﴾

قال الدارقطني سمعت عبد الرحيم بن القاضي اسمعيل بن اسحق يقول كان في حجر أبي يتيم فبلغ وله أم وأخت في دار الخليفة المعتضد بالله فقالت أم اليتيم لاختها كلمي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي يفك الحجر عن فلان فقال له الوزير ان أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والدة الصبي الى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لحشونته فعاودته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسمعيل القاضي بان يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعاه الوزير ثانيا وقال له أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيأ وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيأ لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فاخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم ان هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه والقاه وقال لا تعاوده في هذا فاخذ عبيد الله الوزير الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المنصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين في اعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت احكامهم وجرت اقلامهم وشكرت ايامهم ولم تعثر بهم آثامهم

﴿تنبيه﴾ قد يضعف عصام التقوى في بعض الاوقات ويعم ظهور الفساد لمتابعة الشهوات ويدفع الانسان الى الحالة الموعود بوقائها على السنة الرواة الثقات وتذهب القرون المشهود لها بالخيرة لتطاول المدد وامتداد الفترات فيقل وجود من يقوم بفصل الاحكام وينصب لقضايا الانام ويتولى هذه الحالة من الحكام ممن يحمي الشريعة عن اضاعتها ويرعاها حق رعايتها ويتصف بصفات يستحق

ا منها بقسطاسها ومعيارها او يؤدب من يعتمد الخيانة فيها فان بها
قة وشرارها هذا الى الالتفات البالغ الى اصلاح الشوى في
قت علاجه واستعمال قدر صالح من الملح في جوانبه ليكمل بذلك
تبار نقص الثلث منه لاستحقاق فتح تنوره واخراجه وتنظيف
رها باثره لنفاقه ورواجه ويعتمد في ذلك كله متابعة طريق
اجه ولولا أن الاطناب مسئم والاسآم مؤلم لشرح القلم من
ا التدليس ويجري فيها الغش والتلبيس من أنواع المركبات
، كالاشربة والمعاجين والربوب والادقة والادهان والحلاوات
أنواع البر وأصناف من المأكولات والاطعمة والكسوات
تعداده ويكثر تعجيبه من جمعه وايراده كل ذلك مما يتعين على
احتساب بذل جهده واجتهاده في اعتباره واختباره وافتقاده
بسياسته مادة الدعار ويسلك جادة حفظ أموال التجار
من الاعصار والرعايا فيما تدعوهم اليه حاجة الاضطرار
عاسرة والدلالين والباعة والكيالين والنقلة والحمالين
لين وان كان في مكان فيه سفن ومراكب فالنوتية والملاحين
رصناعة في أمتعة يتسلمها من أربابها وينفرد بها دون أصحابها

الث ماهو مشترك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد

ور باعتباره وهو داخل تحت أمره وانكاره كالطرقات العامة
والاسواق المشتركة فكل من أحدث بناء أو غرس
ط أو ميزابا أو جدد مصطبة تضر بالمارة وتضيق على
ير دعه عنه وكذلك من أراد أن يشرف من سطحه على
ظر الى حرمهم يردعه عنه ويكفه منه ويمنع أهل الذمة
ى بناء المسلمين ويأخذهم باقامة ما هو مشروط عليهم في عقد
يار ولبس ما يخالف هيئة المسلمين ويمنعهم من التظاهر
علا وقولا ويكف عنهم من يقصدهم بظلم أو أذى واذا كان
ساجد امام يطيل القراءة في الصلاة الى غاية يضعف عنها
ينقطع بها ذوو الحاجة يزجره عن ذلك ويأمره بالتخفيف

وديانة عند أوامر الشريعة الشريفة ووقفة فهذه صفات من يصلح للاحتساب والشروط التى لابد من اعتبارها فى هذا الباب وأما القسم الثانى وهو تفصيل ما يأتيه من الاعمال وما يذره وما يأمر به وما ينكره وذلك كله ثلاثة أنواع أحدها خالص حق الله تعالى وثانيها خالص حق العباد وثالثها مشترك بين الله وبين العباد

﴿النوع الاول حقوق الله تعالى﴾

حقوق الله تعالى من أنواع العبادات كالصلاة والصيام والطهارات والزكاة والجماعات وغيرها من شعائر الاسلام فان رأى أو علم انسانا يعتمد الخلل فيها ويقصد الاستهانة كمن يصلى جنبا أو محدثا أو متلاعبا بالصلاة أو يأكل فى رمضان نهارا من غير عذر أو يتجاهر بمنع الزكاة الواجبة عليه استهتارا أو أهل بلد أو محلة عطلوا صلاة الجماعات فى مساجدهم واغلقوها عمدا غير معذورين أو تركوا الاذان فى أوقات الصلوات وتطابقوا عليه أو أهملوا غسل موتاهم وتكفينهم من غير عذر الى غير ذلك مما يطرق الى الدين خللا واستهتارا ويقضى على فاعله بقلة دينه وسوء عقيدته ويلتحق بذلك التجاهر بالمحرمات والتبجح باظهار المنكرات ومنه كشف العورات فى مجامع الناس والجماعات استهانة واستهتارا بالديانات والمروآت فهذه كلها وما يجرى مجراها ويشاركها فى معناها داخلة فى باب الاحتساب يلزمه انكارها بما يحسمها من الاسباب ويأمر فيها بسلوك السنن المشروع الى كشف شبه الارتياب ويؤدب العاصى بها بما يناسبه من التأديب الا اذا تاب وأقلع وأناب

﴿النوع الثانى حقوق العباد والمعاملات﴾

حقوق العباد والمعاملات وما يتعلق بالمزروعات والمكيلات والموزونات وما يعتمده أرباب المعايش والصناعات فيلزمه النظر فى أمورها الاصلاح فسادها واعتبار ماخرج منها عن المعروف من عوائدها وملاحظة معاملة ساكنى الاسواق فى مألوف قواعدها وتفقد أحوال جلوسها فى مصاطبها ومقاعدها فيحسم مادة الفساد ويقوم عوج المناكد ويأمر بسلوك سبيل الرشاد ويصرف قسطا وافرا من عنايته وحظا وافيا من يقظته ودرايته الى أحوال طهارة الخبازين ومقادير الاذرع والاكيال والموازين وتضايق سكك الدروب ومسالك المجتازين فيتطلع الى تصحيح

...ها متنوعة وشعبها متفرقة فأهم أصناف
...هم الأشراف المتصلون برسول الله صلى الله عليه
...لويون والحسنيون والحسينيون وغيرهم ومنهم
...كية والحنابلة وغيرهم ومنهم الصوفية والفقراء
...اء السبيل والمرضى والمجانين ومنها تكفين
...ات وعمارة المساجد ومصابيحها وأئمتها ومؤذنوها
...ا وطلبتها وكذلك الربط والخوانق والمشاهد
...ن ووصلى في تعليم اليتامى الخط وصلى من
...روضها وغير هذا من أبواب الطاعات وجهات
...جميعها على اختلاف مصارفها وتباين جهاتها
...الله تعالى فانها معدودة من الصدقات داخلة في
...واقفها والعمل بها والكلام الآن على فصلين
...شروط المتولي للوقف

...عة لقوم موصوفين غير معينين يتعذر عليهم
تعيينهم جرى أمر الناظر فيها والمتولي في أموال
...كالأوصياء والأمناء فكل صفة مشترطة
...العاجزين عن التصرفات بصبا أو جنون في
...تمنع من صحة ولاية الوقف العام فالفاسق
...وصيا في ذلك ولا أمينا عليه حتى لو أوصى الأب على
...دعليه فانه لا تصح وصيته ولا يعتبر قوله وكذلك
...ن اليتامى أو غيرها وهو فاسق فانه لا تصح توليته
...طلاف كذلك ولاية الناظر في الاوقات المذكورة
...سواء كان الناظر مفوضا اليه من الواقف أو من
أهليته لها وصفات أهلية الامانة فانها أصل
...واز ولايته وجود احدى الصفتين فانه لو كان
...هو تاجر فانه لا تحل توليته ولا يجوز أن تفوض
...شاعا صيانة مضمونة عليه تصرفاته فان كان وقت

كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع معاذ بن جبل وان كان في السادة من يجوع مماليكه وعبيده ولا يكسوهم فله الاحتساب عليه وكذا ان كلفهم من العمل فوق طاقتهم أو كان لاحد دابة يثقل عليها اذ قصر حملها بما يضر بها فله أن يمنع من ذلك ويأمره باتباع طريق العدل وسلوك سبيل الحق حتى لو رأى من بعض ذوي الاحترام وأرباب المناصب العظام والمراتب الجسام تقصيرا فيما يلزمه فعله كان له الاحتساب فيه بالانكار عليه وقد حكى ما نقل عن محتسب بغداد أنه مر يوما على باب دار القاضي ابن حماد فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرون جلوسه لينظر بينهم وقد علا النهار وهجرت الشمس فوقف واستدعى حاجبه وقال له تقول لقاضي القضاة الخصوم جلوس بالباب وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فاما جلست واما بلغتهم عذرك لينصرفوا ويعودوا اذا زال عذرك وجلست فحمله دينه على الاحتساب على قاضي القضاة وكأن بيده زمام الاحتساب وله ولاية الامر والنهي فيما سبق من الاسباب فكذلك له التأديب والتعزير على قدر الجرائم والذنوب الا أنه لا يبلغ بتعزيره أدنى الحدود ويجوز في التعزير الضرب والصفع وحلق الرأس دون اللحية ويجوز فيه أن يصلب حيا ولا يزيد في صلبه على ثلاثة أيام ولا يمنع فيها من الطعام والشراب ولا من وضوء الصلاة ويصلي بالايماء ويعيد الصلاة اذا أطلق ويجوز أن يشهر المعزر في الناس وينادي عليه بذنبه اذا كان قد تكرر منه ولم ينقطع عنه ويجوز تسويد الوجه في التعزير عند أكثر الاصحاب ويفرق الضرب في التعزير على جميع البدن بعد اتقاء الوجه والمقاتل ولا يجوز أن يجمعه كله في موضع واحد من الجسد على رأى جمهور الاصحاب وذهب أبو عبد الله الزبيري رحمه الله تعالى من أصحابنا الى جواز ذلك ويجوز التعزير بالحبس والنفي واختلف الاصحاب في مدة الحبس فذهب الزبيري الى تقديرغايته بستة اشهر ولا مزيد عليها وقال غيره لا يتقدر وأما النفي فظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه أن غاية النفي مدة مقدرة بما دون ستة أشهر ولو بيوم ويومين لئلا يساوي النفي المشروع في الحد في باب الزنا وقد يكون التعزير في حق بعض الناس بالكلام الخشن والشتم دون الفعل وان رأى المصلحة في العفو عن التعزير جاز بخلاف الحدود فانه لا يجوز العفو عنها بحال

﴿الركن الرابع الاوقاف وما يتعلق بها﴾

ولاية الاوقاف من باب التعاون على البر والتقوى ولا ينهض بحمل ثقلها الا الامين

قد شرط أن لا يعقد عقداً حتى تنقضي مدة العقد الاول فلا يجوز زمانه وله الناظر
وكانت الاجارة باطلة في غير العقد الاول وان لم يكن قد شرط ذلك ففي صحة العقود
المدة المستقبلة الواقعة بعد الاول خلاف

﴿الحالة الثالثة﴾ أن يكون قد سكت عن القسمين منعاً واذناً فهنا تجوز الاجارة على
ما تقتضيه المصلحة برعاية ما هو الاغبط والاحوط وكذلك الحكم اذا جهلت الحال
للاختلاف في الاقسام كلها حيث جوزت الاجارة أنها مقيدة بأجرة المثل فان أجر
دونها فالعقد باطل والاجارة مردودة ثم ان الاولى ان الناظر في الوقف اذا أجره فلا
يزيد على مدة ثلاث سنين فان الامام أبا سعد المتولي رضي الله عنه قال ان الحكام
اصطلحوا على منع الاجارة في الاوقاف أكثر من ثلاث سنين على سبيل المصلحة حتى
لا تندرس الاوقاف ويطول بقاؤها في يد انسان واحد فيدعيها ملكاً ويجب عليه
أن يوصل الى كل ذي حق حقه من المصارف ولا يحرم أحداً من المستحقين
ولا يعطي منه من لا حق له فيه ولا يدخل فيه من ليس من أهله ولا يخرج أحداً من
أهله الا أن يكون قد جعل الواقف له ذلك وفوضه اليه بطريقه ولا يجوز
أن يجعل لنفسه منه ما لا يستحقه فان خالف ما ذكرناه وعمل ما هو ممنوع
منه عالماً بأنه لا يجوز له واصر متبعاً هواه مضيعاً هداه فقد خالف الله
تعالى وعصاه وزالت أمانته وظهرت خيانته فلا يجوز بقاؤه ويتعين صرفه
وازالته وكان الواقف وأرباب الوقف خصماءه عند الله لتفريطه في حقهم
وارتكابه ما لا يجوز فعله في وقفهم وكان مطالباً بما فرط فيه مؤاخذاً بما
أضاعه منه

﴿القاعدة الرابعة في تكميل المطلوب بأنواع من الزيادات﴾

لما كانت هذه القاعدة آخر القواعد وبها اختتام هذا الكتاب المشتمل على فرائد
قلائد ضمنتها أنواعاً من فوائد النوادر ونوادر الفوائد وأودعتها أنواعاً متعددة
المقاصد صالحة للعالم والعامل والصادر والوارد وبدأت منها بما هو وسيلة الى
معرفة العلماء الذين دأبوا لحمل العلم في صدورهم ونفروا في اكتسابه حتى حصلوا
غاية مستطاعهم ومقدورهم بحيث اذا عرفوا اختصوا بالرعاية والعناية وميزوا
بمقدار ما عندهم من المعرفة والدراية فيكون ذلك داعياً على الاشتغال به وفي كل
بداية ونهاية الى الغاية واذا كانت أنواع العلوم وصنوفها مختلفة الشعوب

التولية متصفا بهما فطرأ عليه ما ازال احداهما بان تجدد فسقه بخيانة أو غيرها أو عجزه بزمانة أو غيرها تعين على السلطان انتزاعه وصرفه عنها حتى لقد صرح عالم خراسان امام الحرمين رضى الله عنه بان الواقف لو صرح وشرط النظر لنفسه في وقفه ثم اختل فيه الوصفان أو أحدهما ان السلطان لا يتركه والتحقيق فيه ما ذكرناه من أن الولاية في الوقف العام تصرف في حق الغير نظرا له من غير جهته فيعتبر في صفاته لصحة ولايته ما يعتبر في حق الوصي والامين والقيم من العدالة وغيرها وكل ما يقدح في الامانة والكفاية يقدح في الولاية

﴿الفصل الثاني﴾ في بيان ما يلزمهم عن التصرفات وما يجب عليهم منها وجملة القول في ذلك تنكشف باجمال وتفصيل أما الاجمال فانه يجب اتباع الشروط المشروعة والعمل بها من اقامة الوظائف ورعاية المصارف حسبما صدر عن الواقف وأما التفصيل فيقوم بالمصالح من عمارة الاصل وحفظه واستنماء غلاله وترميم أماكنه وتثمير جهاته والنهوض بكل ما فيه مستزاد مسوغ في ريعه حتى لا ينسب الى تقصير ولا ينظر اليه بعين تفريط ولا يجوز أن يغير شيأ من الاوقاف عن صورته فلا يجعل الحمام خانا ولا الخان دكانا ولا الدار بستانا ولا يحدث في الوقف ما يغيره عن صفته فان فعل ذلك منعه منه السلطان وألزمه أن يزيل ما أحدثه ويعيده الى ما كان عليه الا أن يكون الواقف قد جوز له ذلك وجعله له بطريقه ولا يجوز أن يؤجر الوقف على خلاف شرط واقفه وأحوال الواقف ثلاثة فانه اما أن يكون قد صرح بالمنع وشرط أن لا يؤجر الوقف أصلا ورأسا واما ان يكون قد صرح بالاجارة والاذن فيها واما أن يكون قد سكت ولم يذكر شيأ لا منعا ولا اذنا

﴿الحالة الأولى﴾ ان يصرح بالمنع وشرط أن لا يؤجر فالظاهر من مذهب الشافعي رضى الله عنه اتباع شرطه ولا يؤجر ومن الاصحاب من رأى ذلك على خلاف المصلحة وانه حجر على الموقوف عليه فيما هو مستحق له فجوز الاجارة ومنهم من قال لا يزاد على سنة واحدة حفظا للوقف

﴿الحالة الثانية﴾ أن يصرح بالاذن في ان يؤجر فان عين مدة ونص عليها فلا يجوز ان يزيد في عقد الاجارة على مقدارها فان آجره مدة زائدة على المدة المعينة في الاذن وجعل الجميع في عقد واحد فهو باطل مردود وان فعل ذلك في عقود متعددة متتابعة كل عقد مشتمل على المدة المعينة المأذون فيها لا غير فان كان الواقف

لم ينعقد وان كان لحنا خطأ صدر منه ولم يكن طبعا صحت صلاتهم وعبادتهم
(مسئلة) مصل جلس في آخر صلاته ليتشهد فحصل له شك هل سجد في صلاته أم لا
فهل يسن له السجود أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ
* والصواب من الجواب انه ان كان شكه في زيادة زادها في الصلاة فلا يسجد
للسهو اذ الاصل عدم الزيادة وان كان شكه في نقصان شئ من هيئات الصلاة
كالقنوت والتشهد الاول يسجد للسهو اذ الاصل انه لم يأت به (مسئلة) رجلان دخلا
مسجدا وصليا واعتقد كل واحد منهما ان صلاته وقعت جماعة مع صلاة صاحبه ثم
فرغا وانصرفا فهل صحت صلاتهما لاعتقادهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا كان خطأ * والصواب من الجواب ان كان كل واحد منهما يعتقد حصول
الجماعة له مع صاحبه لكونه اماما وصاحبه مأموما فصلاتهما صحيحتان وان كان كل
واحد يعتقد أنه مأموم وصاحبه امام فصلاتهما باطلة (مسئلة) انسان له من الابل
نصاب وجبت عليه فيه الزكاة ولم يجد السن المفروض عليه فهل يجوز له ان يصعد
الى سن أعلى منه ويأخذ الجبران أو ينزل الى سن أنزل منه ويعطي الجبران أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الابل
ان كانت صحاحا فيجوز له الصعود وأخذ الجبران ويجوز له النزول ودفع
الجبران وان كانت كلها مراضا فيجوز له النزول ودفع الجبران ولا يجوز له الصعود
وأخذ الجبران لانه مضر بالفقراء (مسئلة) امرأة ماتت في شهر رمضان ولها
مال كثير وخلفت زوجا وابنا منه فورثاها ووجبت عليهما زكاة الفطر وهما
غنيان فأخرج الاب زكاة الفطر من ماله عنه وعن ولده فهل يجوز اخراجه عن ولده
مع كونه غنيا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب
ان الولد ان كان صغيرا جاز وان كان كبيرا لم يجز لاشتراط بذل البالغ (مسئلة)
انسان وجب عليه صوم بحكم النذر ومات فهل يلزم وليه قضاؤه ان أجيب فيها
بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان كان نذر صوم
الدهر فلا قضاء عليه لتعذره وان كان غيره فيلزمه القضاء (مسئلة) رجل
معتكف تعين عليه أداء شهادة هل يجوز له أن يخرج لادائها من المسجد أم لا
ان أجيب فيها بالنفي أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه
ان كان تحملها ابتداء تعين عليه فيجوز أن يخرج لادائها وان كان تحملها بأمر تعين

متناسبة الاسلوب متعددة الضروب لا تنضبط بكتاب ولا تنحصر بمكتوب وقع الاقتصار منها على النوع الذى هو العلم الحقيقى شرعا الذى هو فى الملة الاسلامية والشريعة النبوية أكبر نفعا وأكثر جمعا وهو علم الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ومتى أطلقت لفظة العلم جاءت على علم الشريعة دون غيره من العلوم المتعددة الانواع والاقسام حتى لقد صرح الائمة رضى الله عنهم بأنه لو أوصى رجل بثلث ماله للعلماء فانه يصرف الى علماء الشريعة دون غيرهم وقد كشف الامام عالم العراق أبو الحسين على بن حبيب الماوردى رضى الله عنه غطاء الاضطراب عن وجه الصواب وذكر فى كتابه المسمى بالحاوى فى الفتاوى ان الرجل لو قال أعطوا ثلث مالى لاعلم الناس فانه يصرف الى الفقهاء لقيامهم بعلم الشريعة الذى هو بأكثر العلوم متعلق ثم ان حاجة الناس داعية اليه ومصالحهم منوطة به ووقائعهم موقوفة عليه والمدعى أنه من حملته كثير وهذه الوسيلة مفضية الى معرفة الفرق بين الفريقين كاشفة عند استعمالها كنه الحقيقتين وقد مخضت لاستخراجها أوطاب المسائل ووصفت صفاتها فاصبحت عمدة السائل ووضعت صورها من أقرب الوسائل محكا للاختيار ومسلكا الى اعتبار ذوى الفضائل فمن أجاب فيها بالاطلاق فما أصاب الصواب ومن فصل القول لجوابها فقد أجاد وأجاب وهى فى العبادات والمعاملات والمناكحات والجنايات فمن ذلك

﴿مسائل العبادات﴾

(مسئلة) انسان يصلى على سجادة فلما أحرم بالصلاة وأراد السجود نظر الى موضع سجوده من السجادة نجاسة فاخذ طرف السجادة وسجد على موضع طاهر هل صحت صلاته أم لا ان أجيب فيها بالصحة أو بالابطال فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان أخذ الطرف الطاهر من السجادة وغطى به النجاسة ولم يرفع النجاسة وسجد على الموضع الطاهر الذى وضعه على الموضع النجس لم تبطل صلاته وان رفعه عن موضع سجوده وسجد على الارض بطلت صلاته لانه حمل فى صلاته نجاسة فبطلت (مسئلة) جماعة صلوا خلف امام صلاة الصبح فقرأ الفاتحة فلحن فى آخرها لحنا يغير المعنى فنبهوه على ذلك بالتسبيح فلم يعد الى الصواب ففارقوه وأتموا لانفسهم فهل تصح صلاتهم أم لا ان أجيب فيها بالصحة أو بالبطلان فهو خطأ * والصواب من الجواب ان اللحن ان كان عامدا عالما تصح صلاتهم وعليهم الاعادة فان احرامهم خلفه

اذ لا يقدر على تحليله وان كان احرامه بغير اذن مولاه فلاخيار له اذ يمكن تحليله
(مسئلة) أجير استؤجر ليحج عن غيره فاعتمر أو استؤجر ليعتمر فحج فالاجر
لايستحقه للمخالفة ولكن النسك الذى أتى به من الحج أو العمرة هل يقع عنه
أو عمن نواه به ان أجيب فيهما بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن
الاجارة ان كانت عن حى فلا يقع الذى أتى به عنه لعدم اذنه فيه وهو شرط و يقع عن
الاجير وان كان ذلك عن ميت فيقع عنه دون الاجير فان اذن الميت ليس شرطا
ولهذا لو حج رجل عن الميت تبرعا منه صح وسقط به الحج الذى كان واجبا على الميت
(مسئلة) رجل اشترى عينا وتلفت فى يده بعد القبض ثم اطلع على عيب قديم فهل له
الرجوع بالارش على البائع أم لا ان اجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ
* والصواب ان كانت العين المبيعة تالفة غير دراهم ودنانير فله الرجوع بالارش
وان كانت دراهم أو دنانير فى عقد الصرف بيعت بدراهم أو دنانير وتقابضا فانه
لايجوز الرجوع بالارش لما فيه من الوقوع فى الربا ولكن يفسخ العقد بينهما و يرد
مثل التالف و يسترجع ما سلمه ان كان باقيا او بدله ان كان تالفا (مسئلة) رجل
باع عبدا بالف درهم وتقابضا ثم ان البائع عاد الى المشترى ومعه ألف درهم زيوف
وقال هذه الدراهم التى قبضتها فخذها فقال ليست هذه تلك الدراهم فهل يقبل
قول البائع أم قول المشترى ان أجيب فيها بالاطلاق فهو خطأ * والصواب من
الجواب أن الدراهم ان كانت معينة وقت العقد ووقع عليها فالقول قول المشترى
وان كان العقد وقع على دراهم فى الذمة وعينت تلك الدراهم عما فى الذمة فالقول
قول البائع ومثل هذه المسئلة لو ابتاع ثوبا وقبضه ثم جاء بثوب معيب وقال هذا
الثوب الذى اشتريته منك فارده بالعيب وقال البائع ليس هذا الثوب الذى
قبضته منى بل هو غيره فهل القول قول البائع أم قول المشترى ان أجيب فيها
بالاطلاق فهو خطأ * والصواب أن الثوب ان كان معينا ووقع العقد عليه فالقول
قول البائع وان كان عينه عما فى الذمة فالقول قول المشترى اذ الاصل بقاء ما فى
الذمة الى أن يتبين تسليمه (مسئلة) رجل اشترى حابلا لا حبل به ثم تجدد به حبل
بعد القبض ثم اطلع به على عيب قديم بعد الولادة ولم يتجدد عند المشترى عيب فهل
يجوز له أن يرده على البائع بالعيب القديم أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى
مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الحيوان المشترى ان كان بهيمة فيجوز له الرد

عليه فلا يجوز له أن يخرج لاداثها لانه هو الذى أدخل نفسه فيها باختياره (مسئلة) رجل أراد أن يحرم بالحج فهل يجوز له أن يقدم الاحرام على الميقات المعين له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان قدمه على الميقات الزمانى لا يجوز وان قدمه على الميقات المكانى فيجوز لاتحاد الزمان بالنسبة الى الناس كلهم واختلاف المكانى (مسئلة) اذا قطع المحرم شعره لدفع الاذى فهل يجب عليه ضمانه بالفدية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب انه ان كان الاذى من الشعر بان نزل الى عينيه فلا ضمان عليه وان كان الاذى من غير الشعر بان كان فى رأسه قمل فازال الشعر لتزول القمل فيجب عليه الضمان لنسبة الاذى الى غير الشعر (مسئلة) طائر له فرخان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم أمسك رجل حلال غير محرم الطائر وتركه فى قفص فمات ومات الفرخ بسببه وكل واحد فى موضعه أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فهل يجب عليه ضمان الطائر والفرخ أو الفرخ وحده فان أجيب فيها باحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الطائر ان كان فى الحل والفرخ فى الحرم وجب عليه ضمان الفرخ دون الطائر وان كان الطائر فى الحرم والفرخ فى الحل وجب عليه ضمانهما (مسئلة) محرم معه كلب فارسله على صيد فاصابه فهل يجب عليه ضمانه أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الكلب ان كان معلما يجب عليه الضمان وان لم يكن معلما فلا ضمان عليه اذ فعل غير المعلم لا ينسب الى مرسله (مسئلة) محرم رمى بسهم الى صيد فاصابه وسقط الصيد المرمى على صيد آخر وماتا كلاهما فهل يجب على الرامى ضمانهما أم يجب عليه ضمان الاول دون الثانى ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن الصيد الاول المرمى بالسهم ان تحامل بعد الرمية ومشى قليلا ثم وقع على الآخر وجب عليه ضمان الاول دون الثانى لنسبة سقوط الاول بعد مشيه وتحامله الى فعله دون الرامى وان وقع عليه بحدة السهم وشدة الرمية من غير تحامل وجب عليه ضمان الاول والثانى لنسبته اليه (مسئلة) رجل له عبد مملوك محرم فباعه فاشتراه انسان آخر ولم يعلم أنه محرم فهل يثبت للمشترى الخيار أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب أن احرام العبد ان كان باذن مولاه البائع فيثبت خيار الفسخ للمشترى

ن بحيث اذا قسم لم ينتفع كل واحد من الشركاء
ان كان بحيث ينتفع به بعد القسمة وكان للمشترى
لم يكن طريق غيره ففيه خلاف (مسئلة) رجل
على الشفيع بأنه عفا عن الشفعة فهل تقبل
ات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب من
ن الثمن قبلت وان كانت قبل قبضه لم تقبل
درهم قراضا ليكون الربح بينهما نصفين ثم سلم
ه الالف الثانية الى الالف الاولى ليكون
اضا صحيحا أم يكون الاول صحيحا والثانى فاسدا
بغيره مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب
صرفه فى الدراهم الاولى كان الجميع قرضا
الاول صحيحا والثانى فاسدا (مسئلة) رجل
ثلثه على أن لا يتصرف بعضها بعض
ه فهل يصح القراض بهذا الشرط أم يبطل ان
قا فهو خطأ * والصواب أنه ان كان شرط أن
صح لانه لا تناقض مقصود العقد وان كان
ع فهو باطل لانه يبطل المقصود (مسئلة) رجل
تاج فى الطريق الى دليل فاجره هذا الدليل فهل
كارى ان أجيب فيهما بالوجوب على أحدهما
ب أن الاجارة ان كانت اجارة عين فاجرة الدليل
فاجرة الدليل على المكارى (مسئلة) رجل
ن حنطة فخزن فيه كرين من حنطة فهل يجب
بسبب الزيادة فى الحنطة أم لا ان أجيب فيهما
صواب أن البيت المستأجر ان كان على الارض
ب الزيادة فى الحنطة وان كان البيت غرفة على
ائدة على الكر يحصل به زيادة ضرر على
بثلث ماله لمن نصفه حر ونصفه عبد فهل تصح

وان كان جارية لايجوز له ردها لحرمة التفريق بين الام وولدها قبل البيع و تتعين
حقه في الارش لتعذر الرد شرعا ﴿مسئلة﴾ اذا أحضر المسلم اليه المسلم فيه أنقص
من المشروط فهل يجب على المسلم قبوله أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا فهو خطأ * والصواب أن المسلم فيه ان كان يتقسط عليه الثمن بالقيمة
كما لو أسلم في ثوب طوله عشرة أذرع فأحضره وطوله تسعة أذرع فانه لا يجب عليه قبوله
(مسئلة) جارية مرهونة عند رجل بدين له بيعت في الدين فاشتراها رجل وأعتقها
وتزوجت وولدت ابنين فكبرا وشهدا على المرتهن انه كان ابرأ الراهن من الدين قبل
أن يقع الرهن هل تقبل شهادتهما أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ * والصواب ان كان أبوهما قد تزوج أمهما على انها مملوكة ولم يعلم بعتقها وكان
ممن يحل له نكاح الامة لم تقبل شهادتهما لانه يلزم من قبولها عدم قبولها لوجود الرد
وان كان وطئها على انها حرة قبلت شهادتهما لعدم المانع من قبولها ﴿مسئلة﴾
رجل أقام البينة العادلة بافلاسه بعد تقدم الدعوى فهل لمن له الدين عليه أن يحلفه
أن لا مال له في الباطن أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو
خطأ * والصواب انه ان كان قد أقام البينة على تلف ماله لم يكن له أن يحلفه لما فيه
من تكذيب الشهود وان كان أقام البينة على أن لا مال له حلف وتكون يمينه واجبة
على وجه ومستحبة على وجه ﴿مسئلة﴾ رجل صالح رجلا على مسيل مائه في ملكه
بعوض معلوم وبين مقدار المسيل ولم يبين مقدار الماء الذي يسيل في المسيل فهل
يصح الصلح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان
كان المسيل على الارض صح وان كان على السطح لم يصح ﴿مسئلة﴾ عبد كاتبه
مولاه ثم بعد الكتابة صار يبيع و يشتري فاشترى سلعة فهل تجوز الحوالة عليه أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المكاتب ان كان قد
اشتراها من أجنبي جازت الحوالة وان كان قد اشتراها من مولاه لم يجز (مسئلة) رجل
غصب من رجل آخر حنطة وأكلها فهل اذا يضمنها بالقيمة أو بالمثل ان أجيب فيها
بأحدهما مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان أكلها على هيئتها حنطة ضمنها بالمثل
وان طحنها ثم أكلها ضمنها بالقيمة أكثر ما كانت وقت طحنها الى أن أكلها فان الدقيق
من ذوات القيم ﴿مسئلة﴾ زقاق أو دهليز مشترك بيع منه شقص فهل تثبت
فيه الشفعة أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من

وفى نكاح الحرة خلاف وان كان ممن يحل له نكاح الامة ورضيت الحرة بثبوت صداقها فى ذمته صح النكاحان جميعا ﴿مسئلة﴾ رجل كافر أسلم عن عشر نسوة ثم بعد ذلك أسلمن كلهن وثبت له اختيار أربعة منهن فهل يصح اختياره للاربع فى حال احرامه بالحج أم لا ان أجيب فيها بالنفى أو الاثبات مطلقا فهو خطأ * والصواب أن احرامه ان كان قبل اسلامهن فلا يصح اختياره لهن وان كان بعد اسلامهن فيصح لاستقرار حقه من الاختيار قبل الاحرام ﴿مسئلة﴾ اذا أسلم الرجل على أكثر من أربع زوجات ثم قال قبل اسلامهن كلما أسلمت واحدة من هؤلاء فقد نسخت نكاحها فأسلمن كلهن قبل انقضاء العدة فهل يصح قوله وينقطع النكاح أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان أراد بذلك الفسخ فلا يصح لان الفسخ لا يقبل التعليق وان أراد به الطلاق صح على أحد الوجهين لقبوله التعليق ﴿مسئلة﴾ رجل تزوج بامرأة فأحضرته الى الحاكم وادعت عليه انه عنين فهل يسمع الحاكم دعواها ليضرب له الاجل أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * الصواب أن الزوجة ان كانت حرة سمع الحاكم دعواها وان كانت أمة لم يسمع دعواها اذ لو سمع دعواها فقد شرط من شروط جواز نكاحها فيبطل حق الوطء فيلزم الدور فلا يسمع ﴿مسئلة﴾ رجل زوج عبده باذنه بحرة على صداق معين وهو مائة دينار مثلا وضمنها السيد لها ثم بعد مدة باعها العبد بتلك المائة المضمونة فهل يصح البيع أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفى مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان البيع بعد الدخول فهو صحيح وينفسخ النكاح لانها ملكت زوجها وان كان قبل الدخول فهو غير صحيح لان صحته تستلزم بطلانه بطريق الدور ﴿مسئلة﴾ رجل له زوجتان مسلمة ونصرانية فقال للنصرانية أنت قد ارتددت وصرت مسلمة وقال للمسلمة أنت قد ارتددت وصرت نصرانية فكذبتاه ولم تصدقه واحدة منهما فهل يبطل نكاحهما أو لا يبطل أو يبطل نكاح واحدة ويبقى نكاح الاخرى ان أجيب فيها باحد هذه الاقسام فهو خطأ * والصواب ان ذلك ان كان قبل الدخول بطل النكاحان لوجود المبطل فى زعمه فيؤاخذ به أما المسلمة فظاهر لتصريحه بردة وأما النصرانية فلانها بجحودها للاسلام قد ارتدت فى زعمه وان كان بعد الدخول ثبت نكاح المسلمة وبقى نكاح النصرانية موقوفا على انقضاء العدة فان

وصيته له أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن النصف المملوك ان كان لاجنبي صحت الوصية فان لم يكن بينهما مهايأة كان الثلث بينهما نصفين نصفه للولي ونصفه لهذا الموصى له وان كان بينهما مهايأة ففيه خلاف مشهور ومبناه ان المنافع هل تدخل في المهايأة أم لا فان لم تدخل في المهايأة كان بينهما بكل حال وان دخلت في المهايأة كان على الخلاف في تلك الوصية بالموت اذ بالموت تبطل وان كان النصف المملوك لوارث فلا تصح الوصية ان لم يكن بينهما مهايأة فكذلك على الصحيح (مسئلة) رجل أوصى لانسان بجارية ثم وطئها الموصي فهل يكون وطؤه رجوعا عن الوصية أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أنه ان عزل عنها لم يكن رجوعا كالاستخدام وان لم يعزل كان رجوعا كالاستيلاد (مسئلة) رجل أوصى الى رجل بتفرقة ثلث ماله وكان الوصي فاسقا لا تصح الوصية اليه فتسلم الثلث وفرقه فهل يجب عليه الضمان أم لا لكونه ماذونا له ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب ان الوصية بالثلث ان كانت لاقوام معينين كالفقراء والقراء وما أشبههم فانه يضمن لان تعيينهم بالتفرقة يحتاج الى اجتهاد والفاسق ليس من أهله (مسئلة) انسان أوصى الى رجل أمين في تفرقة ثلثه وتسليمه فصار بيده ثم ادعى انه فرقه فهل يقبل قوله في تفرقته من غير بينة أم لا يقبل ان أجيب بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب من الجواب أن الوصية ان كانت لاقوام غير معينين كالفقراء والصوفية فيقبل قوله من غير بينة وان كانت لاقوام معينين لا يقبل قوله من غير بينة لامكان الاشهاد

(مسائل المناكحات)

(مسئلة) رجل تزوج امرأة بشرط أن لا يطأها نهارا أو لا يطأها ليلا فهل يصح النكاح بهذا الشرط أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الشرط ان كان من جانب الزوجة بطل النكاح وان كان من جانب الزوج لا يبطل اذ هو حقه (مسئلة) رجل تزوج بحرة وأمة في عقد واحد فهل يصح نكاحهما أو يبطل نكاحهما أو يصح نكاح الحرة ويبطل نكاح الامة أو يصح نكاح الامة ويبطل نكاح الحرة ان أجيب فيها باحد هذه الاقسام مطلقا فهو خطأ * والصواب انه ان كان ممن لا يحل له نكاح الامة بطل نكاح الامة قولا واحدا

كان الامر بالعكس بأن ولدت أولا بنتا ثم ثانيا ابنا معا دفعة واحدة وقع الثلاث وان
ولدت الاول ابنا والولدان الآخران جاءا معا دفعة واحدة لم تطلق غير واحدة
سواء كان ابنين أو ابنا وبنتا وان ولدت الاول بنتا والولدان الآخران جاءا
دفعة واحدة طلقت طلقتين لا غير سواء كان الآخران ابنين أو ابنا وبنتا وهذه من
المسائل المستحسنة (مسئلة) رجل له ابن كبير فقير خائف من الوقوع في الزنا وله أمة
لم يطأها فزوج ابنه بامته وصح النكاح فقال لها الاب اذا مت فانت حرة وقال
لها الزوج اذا مات أبي فانت طالق ثم مات الاب فهل وقع الطلاق ام لا ان أجيب
فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الامة ان خرجت من
الثلث عتقت ووقع الطلاق لمصادفة الطلاق حريتها وان لم تخرج من الثلث ولم
تجز عتقها الورثة لم يقع الطلاق لثبوت ملك الزوج في جزء منها بالارث فيفسخ
النكاح فلا يصادف الطلاق محلا وان اجاز الورثة ففيه خلاف مشهور (مسئلة)
رجل وجبت عليه كفارة بعتق رقبة فاعتق عبدا قد سقطت خنصره وبنصره
وبقية أصابعه سليمة فهل يجزئه ذلك عن كفارته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الاصبعين الساقطتين ان كانتا من كف
واحدة فلا يجزئه ذلك عن الكفارة وان كانتا من كفين من كل واحدة
اصبع ساقطة فيجزئه ذلك (مسئلة) رجل طلق زوجته فشرعت في العدة
وعدتها بالشهور فانقضت الاشهر ثم جاءها الدم فهل تعتد على السلامة
أم تعود تعتد بالاقراء ان أجيب فيها باحد القسمين مطلقا فهو خطأ * والصواب
ان كانت كبيرة آيسة وعاودها الدم بعد ما تزوجت لما انقضت عدتها بالاشهر
فقد مضت عدتها على السلامة ونكاحها باق وان جاءها الدم قبل ان تتزوج
انتقلت الى الاعتداد بالاقراء على الصحيح وان كانت صغيرة فانها لا تنتقل الى
الاقراء بكل حال (مسئلة) رجل طلق زوجته في بيته فاعتدت فيه
وفلس الزوج فاراد الحاكم بيع البيت وفاء ديون الغرماء فهل يجوز بيعه أم لا
ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب انها ان كانت
معتدة بالحمل أو بالاقراء لا يجوز ذلك لجهالة المدة المستحق فيها السكنى
وان كانت عدتها بالاشهر فيجوز ذلك على أحد القولين كالدار المستأجرة في مدة
الاجارة (مسئلة) رجل اشترى جارية ولم يطأها واراد أن يتزوجها قبل

أسلمت قبل انقضاء العدة ثبت نكاحهما وان لم تسلم الى انقضاء العدة انفسخ نكاحها ﴿مسئلة﴾ امرأة لها عبد فآبق فتزوجت برجل على أن يرد عبدها الآبق وجعل رد العبد الآبق صداقها فهل يجوز أن يجعل ذلك صداقا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان المسافة التى يرد العبد منها ان كانت معلومة جاز ولزمه ذلك وان كانت مجهولة لم يجز ﴿مسئلة﴾ رجل تزوج امرأة وجعل صداقها أن يعلمها سورة من القرآن الكريم معينة كسورة الانعام مثلا والزوج لا يحسن تلك السورة فهل يصح ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان الصداق أن يعلمها تلك السورة بنفسه فلا يصح على الصحيح وان كان فى الذمة صح ويكون بالخيار ان شاء تعلم هو تلك السورة وعلمها اياها وان شاء علمها اياها بغيره ﴿مسئلة﴾ اذا أراد المسلم أن يتزوج ذمية واتفقا على أن يجعل صداقها شيأ من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أن تعلمها ذلك ان كان رغبة فى الاسلام فيصح وان كان للمباهاة لا رغبة فى الاسلام لا يصح ﴿مسئلة﴾ رجل تزوج بامرأة ولم يسم لها مهرا ثم دخل بها فهل يجب لها مهر وتطالبه بذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كانت المرأة مملوكة زوجها سيدها مملوكه فانه لا يجب لها مهر ولا تطالبه به وكذا لو كانت مشركة وفوضت بعضها فى الشرك ودخل بها الزوج فى الشرك ثم أسلما على النكاح فانه لا مهر لها ولا تطالب به لحصول الاذن منها فى الاتلاف فى دار الشرك ﴿مسئلة﴾ رجل له زوج حامل فقال لها اذا ولدت ابنا فانت طالق واحدة واذا ولدت بنتا فانت طالق طلقتين فولدت ثلاثة أولاد فيهم ابن وبنت فهل تطلق ثلاثا أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب * انها ان ولدتهم دفعة واحدة بان أخرجوا رؤسهم معا طلقت ثلاثا وان ولدت على التعاقب فان ولدت أولا ابنا ثم ولدت ابنا آخر وولدت الثالث بنتا فلا تطلق الا طلقة واحدة فان الابن الثانى لا تطلق به لان اذا لا تقتضى التكرار وبولادة البنت بانت والطلاق لا يقع مع البينونة فلم يقع عليها غير طلقة واحدة وان ولدت أولا بنتا وولدت الولد الثانى بنتا أخرى ثم ولدت الثالث ابنا طلقت طلقتين بالبنت الاولى ولا تطلق بالبنت الثانية لما سبق ولا بالابن المولود آخرا لانه به بانت والطلاق لا يقع مع البينونة وان ولدت أولا ابنا ثم ولدت الثانى بنتا أو

أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان الذي وجب عليه القصاص ومات ان كان قد قطع عضوا مقابلا بالدية الكاملة من رجل فسرى قطعه الى نفسه ومات فقطع الولي عضو الجاني المماثل للعضو الذي قطعه ولم يمت بقطعه فله أن يقتله قصاصا فاذا مات قبل أن يقتله قصاصا فليس له أن يرجع الى تركته بالدية وهي من الغرائب وان لم يكن الذي وجب عليه القصاص بهذه الحالة فللولي أن يرجع بالدية في تركته عند تعذر استيفاء القصاص في نفسه بالموت (مسئلة) اذا دخلت طائفة من غزاة المسلمين دار الحرب وأسروا وغنموا وكان في الاسارى أسير له زوجة في عقد نكاحه فهل ينفسخ في الحال نكاحه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الاسير ان كان بالغا لم ينفسخ في الحال لجواز أن الامام لا يرى استرقاقه وان كان صبيا غير بالغ انفسخ في الحال لانه بنفس الاسر يصير رقيقا فينفسخ في الحال (مسئلة) رجل مسلم دخل دار الحرب وأهله بها كفار فاسر أبويه وأولاده واختار تملكهم فهل يعتقون عليه أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان أباه والبالغين من ذكور أولاده لا يعتقون عليه لان الامام مخير فيهم بين القتل والاسر والاسترقاق والفداء والمن فلا يثبت في الحال لهذا المسلم الذي أسرهم ملك يحصل به العتق وأما أمه وبناته والصغار من ذكور أولاده فانهم يعتقون عليه أربعة أخماسهم ابتداء والخمس الباقي بالسراية ويقوم عليه هذا ان كان موسرا وان كان معسرا عتق عليه منهم أربعة أخماسهم وبقي الخمس الآخر منهم رقيقا لاهل الخمس (مسئلة) اذا رمى في المسابقة الى الغرض وكان فيه سهم له أو لغيره والشرط اصابة الغرض فاصاب برميه فوق السهم الثابت في الغرض فهل يحسب له ذلك ويعتد به أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب أنه ان كان بين فوق السهم المصاب وبين الغرض مسافة طول السهم لم يحسب له ذلك ولا يعتد به لا له ولا عليه لاحتمال الاصابة وعدمها لولا السهم وان لم تكن بينهما مسافة السهم بل قدر قريب بان كان قد نفذ في الغرض وبقي فوقه لا غير حسب له ذلك واعتد به اذ لولا الفوق لاصاب الغرض * فهذه ستون مسئلة مستخرجة من فوائد أهل التحصيل يحتاج المسؤل عنها في اصابة الصواب الى التفصيل فان أجاب على الاطلاق اثباتا أو نفيا فقد صد فيها عن سواء السبيل * وحيث تم النوع الاول فاتردفه بالنوع

أن يستبرئها هل يجوز له ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي مطلقا فهو خطأ
* والصواب انه ان كان قد اشتراها من امرأة أو من ولي صغير أو ممن كان قد
استبرأها ثم باعها فيجوز له أن يتزوجها وان كان قد اشتراها من رجل لم يستبرئها قبل
البيع فلا يجوز (مسئلة) رجل له عبد مأذون اشترى جارية واستبرأها فأخذها
السيد لنفسه هل يحتاج الى استبراء آخر أم يكفي الاستبراء الاول في يد العبد ان أجيب
فيها بأحد القسمين مطلقا فهو خطأ * والصواب ان العبد ان لم يكن عليه دين لغريم
لم يحتج الى استبراء جديد وان كان عليه دين يقضيه ويلزمه أن يستبرئها لنفسه ولا
يكفيه الاول لوجود تعلق الدين فاذا زال التعلق بالقضاء احتاج الى تجدد الاستبراء
(مسئلة) رجل له زوجة صغيرة وله أخ ولأخيه زوجة لها لبن فأرضعت زوجته الصغيرة
خمس رضعات فهل ينفسخ نكاحها بهذا الرضاع أم لا ان أجيب فيها بالاثبات
أو النفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان اللبن لأخيه انفسخ نكاح الصغيرة
لأنها صارت بنت أخيه فحرمت وان كان لغيره فلا ينفسخ نكاحها فان كونها
ربيبة لأخيه لا يوجب الفسخ (مسئلة) رجل له زوجة وهو معسر ولها عليه نفقة
فرضيت بالمقام معه بغير نفقة فهل يجوز ذلك أم لا ان أجيب فيها بالاثبات أو النفي
مطلقا فهو خطأ * والصواب ان الزوجة ان كانت حرة جاز ذلك وان كانت أمة
لا يجوز اذ الحق في الخيار لسيدها دونها (مسئلة) رجل وجب له القصاص على رجل
في نفسه فأحضر ليقتله قصاصا فهل له أن يعفو عن قتله على مال ان أجيب بالاثبات
أو بالنفي مطلقا فهو خطأ * والصواب ان كان القاتل عبد الرجل فقتل عبدا
آخر لسيده فقد وجب عليه القصاص للسيد فله أن يقتله قصاصا ولا يجوز أن يعفو
عنها على المال لتعذره لان السيد لا يجب له على عبده مال وان كان رجلا قد قطع
عضوا من رجل والعضو مقابل بالدية الكاملة كالذكر والانف واليدين وما أشبه
ذلك فاقتص المقطوع من القاطع ثم بعد ذلك سرى القطع الى نفس المجني عليه
فصار القطع قتلا فقد وجب القصاص في الجاني فللمولى أن يقتله قصاصا ولو أراد
أن يعفو عنه على مال لم يجز فان أرش العضو يدخل في دية النفس فلا يجب له شئ
بعدها وان كان القاتل غير ذلك فله أن يعفو على مال (مسئلة) رجل وجب عليه
القصاص في نفسه فمات قبل استيفاء القصاص منه وله تركة فهل لولي الدم أن يأخذ
الدية من تركته عوضا عن القتل الذي فات بموته أم لا ان أجيب فيها بالاثبات

ذهب بعض الاصحاب الى أنه يكون مشتركا بينهما وذهب بعضهم الى أنه ملك
للثانى دون الاول لحصول الازمان عقيب رمى الثانى ولم يحصل عقيب رمى الاول
والملك تابع للازمان فان اختلفا وقال كل واحد منهما أنا أزمنته بجراحتى
فهو ملكى ووقع الشك فى جراحة الاول هل أزمنته بالصيد وأثبتته أم لا فالقول
قول الثانى ويكون له لان الاصل بقاء امتناع الصيد الى أن يتيقن زواله فهذا حكم
الملك * وأما حكم الاكل فان كان الرامى الاول قد صير الصيد بجرحه الى حالة
المذبوح ولم يؤثر فيه جرح الرامى الثانى فانه يحل أكله وان كان قد أزمنه وما أوصله
الى حالة الزهوق بل فيه حياة مستقرة ورمى الثانى ان كان قد أصاب بالسهم مذبحه
فانه يحل أكله لكونه صار مذبوحا وان كان لم يصب بالسهم مذبحه بل جرحه فى غير
المذبح فازهقه فمات به فقد قال الشافعى رضى الله عنه انه يحرم أكله لانه صار
مقدورا عليه فصار حل أكله متوقفا على ذبحه ولم يذبح فاذا مات لم يحل وكذلك
لو مات من الجرحين الاول والثانى فانه لا يحل أكله لما أشار اليه من التعليل * واما
وجوب الضمان ومقدار ما يجب ففى الصورة التى ملكه الثانى دون الاول وفى
الصورة التى صيره الاول فيها برميه وجرحه الى حالة المذبوح وملكه فرمى الثانى
وجرحه فقد صادف ملك الاول فان كان برميه نقص شئ منه بان مزق الجلد فنقص
أو أفسد شيأ من اللحم فوجب عليه للاول ضمان ما نقص وفى الصورة التى أزمنه
الاول بجرحه ولم يوصله الى حالة المذبوح بل ملكه وفيه حياة مستقرة ففى الحالة
التى أصاب الثانى برميه مذبحه فذبحه فانه يجب على الثانى للاول ضمان ما بين قيمته
مزمنا ومذبوحا لانه ذبح ملك غيره وان كان أكله حلالا وفى الحالة التى أصاب الثانى
بجرحه غير المذبح فمات منه بان كان مزمنا فيجب عليه للاول جميع قيمته مجروحا
وفى الحالة التى مات فيها من الجرحين الاول والثانى فانه يجب على الثانى للاول
لكونه جانيا على ملكه وتختلف مقدار ما يجب على الثانى من الضمان باختلاف
حال الصيد ووقت موته فان كان موته قبل أن يتمكن من ذبحه فيجب عليه كمال
قيمته مجروحا لان فعل الاول كان سبب حل الصيد فلا حكم لسرايته وفعل الثانى
وقع مفسدا فتعلق به وجوب القيمة هذا هو الصحيح وان كان موته بعد أن تمكن
مالكه من ذبحه فلم يذبحه حتى مات من الجرحين فقد اختلف أقوال الاصحاب فى
مقدار ما يجب على الثانى للاول فذهب بعضهم الى أنه يجب عليه نصف قيمته لان
موته من سراية جرحين أحدهما مباح والآخر حرام فيخصه النصف وذهب بعضهم

الثاني وهو أكمل منه حسنا وأتم معنى ولا يصيب الصواب بجوابه فيه الا من صرف الى اكتساب العلم فلسافة كراوذهنا وهذا النوع على الخصوص كان السلطان الملك الكامل قدس الله روحه وجعل البركة في عمر المولى السلطان الملك الناصر قد جعل استعماله له واعتمده من جملة الاوراد اذا ورد عليه فضلاء البلاد وحضر لديه في أيام المواسم والاعياد جموع المحافل رعطاء الوراد فيسألهم من هذه المسائل ما يختبر به مقدار فضلهم ليرعاهم بقدره وينزل كلا منهم في رتبة استحقاقه من اكرامه وبره ويستبين بذلك الموافق والمخالف منهم بين خبره وخبره ولعمري ان النفس الكريمة المولوية السلطانية الملكية الناصرية الصلاحية أفاض الله عليها أنوار اليقين وجعلها من جملة عباده المتقين وان كان بصفاء جوهرها وذكاء خاطرها وكمال ادراكها ونور بصيرتها وما خصها الله به من تمام اليقظة وقوة الفطنة وجودة القريحة وذكاء الفطرة لا يحتاج الى ذكر مسائل يميز بها بين من دلاه بغروره فهو لابس ثوبي زور وبين من خصه الله من مشكاة الانوار بنور على نور لكن الاقتداء بمستحسنات حسنات السلاطين السالفين معدود من السنن والاقتفاء لآثارهم الجيدة من الفعل الحسن فأثبت لهم في هذا الكتاب المبارك من هذا النوع من تلك المسائل ليكون في الخدمة السلطانية بحيث يقف عليها ويجعلها ذريعة الى الاختبار وان كان مع نظره الشريف لا يحتاج اليها واقتصرت منها على القدر القليل حذرا من التطويل وذكرت صورة السؤال وكيفية الجواب وشيأ من التعليل

﴿مسائل أخرى﴾

(مسئلة) رجلان خرجا ليتصيدا فوجدا صيدا فقصداه ورمياه بسهميهما على التعاقب أحدهما بعد الآخر فجرحاه ومات بعد ذلك فما الحكم فهذه صورة المسئلة مع قلة لفظها وسهولة صورتها يتعلق بها أحكام كثيرة * الجواب فيها يتحرر بالنظر في ثبوت الملك في الصيد لمن حصل منهما وفي أكله هل يحل ام لا وفي الضمان هل يجب لاحدهما على الآخر أم لا وفي مقدار ما يجب من الضمان * والصواب في ذلك أما ثبوت الملك في الصيد فان كان الاول لما رماه جرحه وما أزمنه وبقي على ما كان عليه من الامتناع والثاني برميه أزمنه وأزال امتناعه فان الثاني ملكه دون الاول وان كان الاول أزمنه وأزال امتناعه دون الثاني كان للاول وان حصل الازمان وزوال الامتناع بالرميتين المتعاقبتين منهما فقد

واحد منهما طلق زوجته وتزوج بالتي كانت زوجة أخيه ثم ان الكبيرة أرضعت الصغيرة خمس رضعات فهل النكاحان باقيان أم ينفسخان أم ينفسخ نكاح الكبيرة وحدها أم ينفسخ نكاح الصغيرة وحدها (الجواب) أن النكاحين ينفسخان أما الكبيرة فان نكاحها انفسخ لانها صارت من أمهات النساء بسبب الصغيرة التي كانت امرأة زوجها وصارت الكبيرة حراما على الاخوين على التأبيد لا يجوز لاحدهما أن يتزوج بها لانها أم امرأة كل واحد منهما وأما الصغيرة فانفسخ نكاحها لانها صارت ربيبة فانها بنت امرأة قد دخل بها وتحرم عليه على التأبيد (مسئلة) رجل تزوج بامرأة كبيرة وثلاث صغائر وللكبيرة لبن فارضعت الكبيرة الصغائر الثلاث لكل واحدة خمس رضعات على الترتيب وان الكبيرة المرضعة ليس من الزوج فهل ينفسخ نكاح الثلاث أم لا ينفسخ منه شئ أم ينفسخ نكاح البعض دون البعض فما الحكم (الجواب) أنه ينفسخ نكاح الكبيرة ونكاح التي أرضعها أولا لانه صار جامعا بين الام وبنتها وأما نكاح المرتضعة الثانية من الصغار فان كانت الكبيرة المرضعة مدخولا بها انفسخ أيضا لانها ابنة امرأة مدخول بها فهي ربيبة وكذلك نكاح الثالثة أيضا ينفسخ لكونها ربيبة المدخول بها وان لم يكن الزوج قد دخل بها لم ينفسخ نكاح الثانية لانها لما أرضعتها كانت بائنة منه فلم يصر جامعا بينهما وأما الثالثة فقد صارت أختا للثانية فبطل نكاحها بارضاعها وهل يؤثر ذلك في فسخ نكاح الثانية فيه خلاف وجه انفساخها أن الاخوة بينهما ثبتت عند ارضاع الاخيرة دفعة واحدة فصار كما لو أرضعتهما دفعة واحدة ووجه أنه لا ينفسخ أن الحرمة تحدث عند ارضاع الثالثة فتخصها كما لو عقد على أخت زوجته فان الثانية تختص بعدم انعقاد نكاحها ويبقى نكاح زوجته فكذلك هذا ﴿مسئلة﴾ رجل له ثلاثة أولاد لهم عليه مال فطالبوه بما لهم به وقال للكبير على ألف درهم الا نصف ما للاوسط وللاوسط على ألف درهم الا ثلث ما للاصغر وللاصغر على ألف درهم الا ربع ما للاكبر فكم جملة ما لهم عليه وكم مقدار ما لكل واحد منهم ﴿الجواب﴾ أما جملة الذي أقر لهم به فهو ألفان ومائتا درهم وأما ما لكل منهما فان الكبير له ستمائة درهم وأربعون درهما والاوسط له سبعمائة درهم وعشرون درهما والاصغر له ثمانمائة درهم وأربعون درهما وبيان صحة ذلك أنه اذا أسقط من الالف نصف ما للاوسط ونصف الذي للاوسط ثلثمائة وستون تبقى ستمائة وأربعون درهما وهي التي

وهو اختيار أبي سعيد الاصطخري الى أنه يجب عليه كمال قيمته مجروحا لانه برميه أتلفه فضمنه وتنبني الاصحاب هذه المسئلة على مسئلة لا بد من العرض لذكرها وتفصيل حكمها فانها من المسائل الحسنة وبها انكشف مدار ما على الثاني من الضمان وهي أن نفرض أن الجرحين صدرا في صيد مملوك لانسان فمات من سرايتهما فان الضمان يجب عليهما فينظر الى ما يختص بالاول ويخصه من الضمان فنسقطه في مسئلتنا لكون الرامي الاول في مسئلتنا كان فعله مباحا والى ما يختص بالثاني ويخصه فنوجبه على الرامي الثاني في مسئلتنا فنقول صيد مملوك لرجل قيمته عشرة دراهم رماه رجل فجرحه فنقص من قيمته درهم ورجعت قيمته الى تسعة دراهم ثم رماه الثاني فجرحه فنقص من قيمته درهم آخر ثم مات من الجرحين واختلف الاقوال من الاصحاب في هذه المسئلة على خمسة أوجه (الاول) وهو اختيار المزني رحمه الله أنه يجب على الاول خمسة دراهم وعلى الثاني خمسة دراهم ووافقه أبو اسحق المروزي رحمه الله في الحكم وخالفه في التعليل وهذا بعيد لتفاوت القيمتين وقت الجناية (الثاني) أنه يجب على الاول نصف العشرة وعلى الثاني نصف التسعة وهذا وجه لا وجه له لما فيه من تضييع حق المالك (الثالث) وهو اختيار القفال أنه يجب على الاول نصف العشرة ونصف وعلى الثاني خمسة واعتبره بوجوب الجناية والسراية وهذا الوجه أيضا مدخول لما فيه من الزيادة على القيمة (الرابع) وهو اختيار أبي الطيب بن سلمة رحمه الله أنه جمع ما عليهما من الارش والسراية فكان عشرة ونصفا والمالك لا يستحق الزيادة فقسم القيمة وهي العشرة على الواجب وهو عشرة ونصف فجعل على الاول منها خمسة أسهم ونصف سهم من العشرة جمعا بين الامرين وهذا وجه أيضا مدخول لما فيه من اعتبار الارش مع سائر الجناية (الخامس) وهو اختيار صاحب التقريب اختاره امام الحرمين رحمه الله تعالى أن على الثاني أربعة ونصفا لا غير وعلى الاول تمام العشرة خمسة ونصف لكون الاول متسببا الى الفوات لولا الثاني فما يتعذر تقديره على الثاني يبقى على الاول وهذا أقرب الوجوه فاذا ظهرت الاقوال في هذه المسئلة فنقلها في مسئلتنا فكل ما اختص بالاول في هذه المسئلة سقط في مسئلتنا وكل ما اختص بالثاني وجب في مسئلتنا على الثاني للاول (مسئلة) أخوان تزوج أحدهما بامرأة كبيرة ووطئها وتزوج الآخر بصغيرة لا تحتمل الوطء ثم ان كل

وتصير أحدا وعشرين ألفا فيقسم على الخمسة والعشرين فيخرج ثمانمائة وأربعون وهو المقدار الذي للأصغر ﴿مسئلة﴾ خمس رجال تطهروا للصلاة وجلسوا في بيت فسمعوا صوت حدث من بينهم وأنكر كل واحد منهم أن يكون هو الذي أحدث ثم ان كل واحد منهم صلى اماما بالباقين في صلاة واحدة من الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فهل صحت صلاة الأئمة الجميع والمأمومين أم بطلت صلاة الجميع أم صحت صلاة الائمة و بطلت صلاة المأمومين أم صحت صلاة المأمومين و بطلت صلاة الأئمة أم صحت صلاة البعض و بطلت صلاة البعض ﴿الجواب﴾ ان صلاتهم الصبح والظهر والعصر صحيحة للأئمة والمأمومين ولا اعادة عليهم ولا على واحد منهم في شئ منها لجواز أن يكون الحدث المسموع من الامامين الباقيين في المغرب والعشاء فأما الصلاة الرابعة وهي صلاة المغرب فلا اعادة فيها على واحد منهم الا على من أم في الصلاة الخامسة لانه لما نفى الحدث عن نفسه وعن الثلاثة الذين صلى خلفهم واقتدى بهم من قبل في الصبح والظهر والعصر فقد أضاف الحدث الى الرابع ونسبه اليه ومن اقتدى بمن اعتقد حدثه لزمته الاعادة وأما الصلاة الخامسة وهي العشاء فالاعادة فيها واجبة على المأمومين الاربعة لانهم أضافوا الحدث الى الخامس وهو الامام فيها وانما لزمته اعادة الرابعة التي كان مأموما فيها وهذه من مستحسنات المسائل فرعها الاصحاب على مسئلة في اشتباه الماء الطاهر والنجس في الاواني اذا اجتهد فيها جماعة وهي من المسائل المشهورة بين العلماء ﴿مسئلة﴾ رجل له زوجتان اسم الواحدة هند والاخرى زينب فنادى احداهما فقال يا هند أنت طالق ثلاثا مع زينب وقال ما كان في نيتي الاطلاق هند فهل يقبل دعواه أم لا واذا لم يقبل دعواه فكم يقع على كل واحدة ثلاث طلقات أم طلقتان ﴿الجواب﴾ انه يقبل دعواه في أنه لم يرد بالطلاق الا هندا واذا لم يرد زينب فلا يقع عليها طلاق أصلا و يقع الطلاق الثلاث على هند دون الاخرى ﴿مسئلة﴾ رجل مات وخلف ورثته المستحقين لميراثه بنته وبنت ابنه وأخته لابويه وأمه فاقتسموا الميراث بينهم على الفريضة الشرعية للبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين وللأم السدس والباقي للأخت المذكورة ثم أقر انسان وقال لورثة فلان ألف درهم على فضر وطالبوه وقبضوها منه ومات عقب دفعها فكيف تقسمها بينهن وكم يكون لكل واحدة منهن منها ﴿الجواب﴾ نص الشافعي رضي الله عنه

للاكبر واذا أسقطت من الالف ثلث مال الصغير وثلث مال الصغير هو مائتان وثمانون درهما بقي سبعمائة وعشرون وهي التي للاوسط واذا أسقط من الالف ربع مال الكبير وربع الذي للكبير مائة وسبعون بقي ثمانمائة وأربعون وهي التي للاصغر فهذه صورة المسئلة وجوابها * وأما طريق استخراجها وكيفية العمل فيها فهو أن تؤخذ مخارج الكسور التي ذكرها في الاستثناء وهي مخرج النصف وهو اثنان ومخرج الثلث وهو ثلاثة ومخرج الربع وهو أربعة فتضرب الاول وهو اثنان في الثاني وهو ثلاثة تكن ستة ثم في الثالث وهو أربعة تكون أربعة وعشرين ثم يؤخذ الجزء المستثنى أولا وهو النصف من الاثنين ويؤخذ الجزء المستثنى ثانيا وهو الثلث من الثلاثة ويؤخذ الجزء المستثنى ثالثا وهو الربع من أربعة فتضرب الاجزاء الثلاثة بعضها في بعض وهي من كل مخرج واحد فتضرب واحدا في واحد ثم المرتفع من ذلك في واحد فلا يرتفع من الجميع غير واحد فيزاد على ما كان قد ارتفع من ضرب المخارج أولا وهو أربعة وعشرون فيصير الجميع خمسة وعشرين وهي المقسوم عليه فيحفظ لاجل القسمة ثم تؤخذ ما بقي من مخرج النصف بعد اسقاط الجزء المستثنى وهو واحد فيضرب في مخرج الثلث وهو ثلاثة تكون ثلاثة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من النصف وهو واحد فيضرب في الجزء المستثنى من الثلث وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على تلك الثلاثة فيصير أربعة فيضرب في مخرج الربع فيكون ستة عشر فيضرب في الالف فيكون ستة عشر ألفا فينقسم على الخمسة والعشرين المحفوظة أولا فتخرج ستمائة وأربعون وهو المقدار الذي للكبير ثم تعمل في الآخر كذلك فيؤخذ الباقي من مخرج الثلث بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقي منه وهو اثنان فيضرب في مخرج الربع وهو أربعة فيكون ثمانية ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الثلاثة وهو واحد فيضرب في الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيكون واحدا فيزاد على الثمانية فتصير تسعة فيضرب بها في مخرج النصف وهو اثنان فتكون ثمانية عشر ألفا فتقسم على الخمسة والعشرين المحفوظة فتخرج سبعمائة وعشرون وهو المقدار الذي للاوسط ثم يؤخذ الباقي من مخرج الربع بعد اسقاط الجزء المستثنى منه والباقي منه ثلاثة فيضرب في مخرج النصف وهو اثنان تكون ستة ثم يؤخذ الجزء المستثنى من الاربعة وهو واحد فيزاد على الستة فتصير سبعة فيضرب بها في مخرج الثلث وهو ثلاثة فتكون احدى وعشرين فتضرب في الالف

هم واحد وبصير للبنت الكبرى سبعة أسهم وللصغرى خمسة أسهم ﴿مسئلة﴾
عبد مملوك له ابن وبنت احرار فاشتريا أباهما فاعتق عليهما ثم ان الاب اشترى
عبدا وأعتقه ثم مات الاب فاكتسب العتيق مالا ثم مات كيف تقسم تركته وهذه
من المسائل المشكلة حتى قيل انه غلط في جوابها وأخطأ في اصابة صوابها
ار بعمائة قاض فضلا عن غيرهم فانهم قالوا انما هو المتبادر الى فهم من لم يكن قدمه
راسخة في التحقيق ولا لحظته العناية بعين التوفيق ان ميراث العتيق يكون
بين الابن والبنت اللذين اشتريا أباهما فعتق هذا العبد فانهما معتقا معتقه فورثاه
هذا غلط قبيح وخطأ فاحش والحق في الجواب أن جميع التركة للابن لانه عصبة
المعتق وأما البنت فانها معتقة المعتق ولاحق لمعتق المعتق مع وجود عصبة المعتق
من النسب والابن عصبة المعتق دون البنت فكان الميراث له فهذه عشر مسائل
كافلة بالمراد كافية في الغرض مع الاقتصاد

﴿مسائل حسابية﴾

﴿النوع الثالث﴾ في ذكر شيء من يسير المسائل التي يرتاض بذكرها الخاطر ويعتاط
بها المقتصر القاصر تصلح لطارحة من يتحلى بعقود الحساب ويتولى زعامة صدور
الحساب (مسئلة) رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشرائها منه فسألوه عن ثمنها
فذكره لهم فقال أكبرهم للاوسط هم ان أعطيتني ثلاثة أخماس ما معك من الدنانير صار
معي ثمن الفرس وقال الاوسط للاصغران أعطيتني أربعة أسباع ما معك من
الدنانير صار معي ثمن الفرس وقال الاصغر للاكبران أعطيتني خمسة
أثمان ما معك من الدنانير صار معي ثمن الفرس فكم كان ثمن الفرس دينارا
وكم كان مع كل واحد من الثلاثة من الدنانير ﴿الجواب﴾ أما ثمن الفرس
فانه كان ثلثمائة دينار وأربعين دينارا وأما ما كان مع كل واحد منهم من
الدنانير فان الاكبر كان معه مائتا دينار وثمانية دنانير وكان مع الاوسط مائتا
دينار وعشرون دينارا وكان مع الاصغر مائة دينار وعشرة دنانير واعتبار
ذلك أنه اذا أخذ ثلاثة أخماس المائتين والعشرين التي هي مع الاوسط وهي
مائة واثنان وثلاثون وأضيف الى ما مع الاكبر وهو مائتان وثمانية صار ثلثمائة
وأربعين دينارا وهو ثمن الفرس واذا أخذ خمسة أثمان المائتين والثمانية التي
هي مع الاكبر وهي مائة وثلاثون وأضيف الى ما مع الاصغر وهي مائة وعشرة
صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهو ثمن الفرس واذا أخذ أربعة أسباع المائتين

على حكم هذه المسألة وقال يقسم لمعرفة بين الورثة المعتبرة بالسوية ويكون بعد ذلك صفة مرتب ولا يكون مقسوما على الموارث فيصرف الى كل واحد من الفروض الاربع ويرجع الاصل المعتبر بها ﴿مسألة﴾ مات انسان وخلف مالا واخذ ورثته يقسمون التركة فاتت اليهم امرأة حبلى وقالت لا تقسموا فاني حامل فان وضعت بما ورثت هي ربما كان شركاء كم في التركة وان وضعت ابنا لم يرث هو ولا انا وان وضعت بنتين ورثتا وكذا او وضعت بنتا وابنا لم يرث منا احد فكانت هذه الحبلى من الميت ومن هم الورثة ﴿الجواب﴾ ان هذه الحبلى بنت من ابن الميت وصورة المسألة امرأة زوج وأب وأم وبنت وهذه بنت ابن مزوجة بابن ابن آخر فامات عنها وتركها حبلى وهي هذه التي قالت لم لا تقسموا فالزوج الميتة الربع وللابنة النصف ولابويها لكل واحد السدس فان وضعت هذه الحبلى بنتا ورثتا كلاهما السدس بينهما تكملة الثلثين لانهما في درجة واحدة فانهما تنسبان الى الميتة بانهما بنتا ابنها وتعول المسألة الى خمسة عشر فيكون للزوج ثلاثة وللبنت ستة وللاب سهمان وللام سهمان ولهذه الحبلى سهم واحد ولبنتها سهم واحد وكذلك ان وضعت بنتين كان السدس الباقي بينهما وبين بنتيها تقاسمنه سواء وان وضعت ابنا او ابنا وبنتا فلا شيء لواحد منهم لانهم صاروا عصبة بالذكر ولم يبق بعد الفروض شيء ليصرف الى العصبة ﴿مسألة﴾ رجل مملوك له بنتان حرتان وله أب مملوك فاشترت البنتان أباهما فعتق عليهما وصار حرا ثم ان الكبرى من البنتين اشترت هي وأبوها جدها فعتق عليهما وصار الجميع أحرارا فمات أبوهما ثم مات جدهما فكيف تقسم تركة الجد بعد تركة الاب ﴿الجواب﴾ أما تركة الاب فلا اشكال فيها فانها بين ابنتيه وأبيه للبنتين الثلثان وللاب الثلث وانما الاشكال في ميراث الجد وتفصيل الحكم فيه ان الجد قد خلف بنتي ابن فلهما الثلثان فرضا يبقى من التركة الثلث وللكبرى الولاء على نصف الجد لانها اشترت نصفه ولها نصف الثلث الباقي بولائها على النصف فيبقى السدس كان يستحقه مولى نصفه الآخر وهو ابنه وهو ميت ليس له عصبة فيكون نصيبه لمعتقيه والبنتان معتقتاه فيكون السدس بينهما نصفين فتصح المسألة من اثنى عشر سهما فلكل بنت منهما أربعة بحكم القرابة ثم للكبرى من الاربعة الباقية بحكم ولائها على الجد سهمان ثم السهمان الباقيان بينهما نصفان لكل واحدة

أدت من الخراج الواجب عليك فقال ثلث ما أديت وربع ما بقي وخمس جميع الخراج فكم هو جميع الخراج وكم الذي أدى وكم الذي بقي ﴿الجواب﴾ أما جميع الخراج فانه خمسة وخمسون وأما الذي أداه منه فسبعة وعشرون وأما الذي بقي منه فثمانية وعشرون وطريق استخراج ذلك أن تؤخذ مخرج الثلث وهو ثلاثة فيضرب في مخرج الربع وهو أربعة يكون اثني عشر فيسقط منه ما بين المخرجين وهو واحد بقي أحد عشر فيضرب في مخرج الخمس يكون خمسة وخمسين وهو مبلغ الخراج ثم تؤخذ المرتفع من ضرب مخرج الثلث في الخمس يكون سبعة وعشرين وهو المقدار الذي أداه الى الخراج والباقي من الخراج وهو ثمانية وعشرون ﴿مسئلة﴾ اذا أرسل السلطان فارسا بكتاب الى بلد بعيد وأمره أن يسير كل يوم سبعة فراسخ ثم عرض مهم آخر فاقتضى أن يلحق به الفارس فارسل نجابا بعد الفارس بتسعة أيام وأمره أن يسير كل يوم خمسة عشر فرسخا ليدرك الفارس وفي كم يوم يلحقه ﴿الجواب﴾ يلحق النجاب الفارس في سبعة أيام وعشر ساعات ونصف ساعة وهي نصف يوم وربع يوم وثمن يوم وطريق استخراج ذلك أن ينقص سير الفارس وهو سبعة من سير النجاب وهو خمسة عشر وتؤخذ الباقي منه وهو في هذه الصورة ثمانية فتحفظ ليقسم عليها ثم يضرب سير الفارس في عدد الايام التي قد سبق النجاب بها وهي تسعة أيام فتكون ثلاثة وستين فتقسم على المحفوظ أولا وهو ثمانية فيخرج من القسمة سبعة ونصف وربع وثمن وهو الجواب ﴿مسئلة﴾ نجاب سير في مهم الى بلد وأمر أن يسير في ذهابه مسرعا كل يوم خمسة عشر فرسخا وفي عوده مستريحا كل يوم تسعة فراسخ فمضى وعاد في عشرين يوما كم كان مهله في ذهابه وكم كان في عوده ﴿الجواب﴾ كان ذهابه في سبعة أيام ونصف وكان عوده في اثني عشر يوما ونصف وطريق استخراج ذلك أن تجمع فراسخ ذهابه ومجيئه فيكون أربعة وعشرين فرسخا وهي المقسوم عليه ثم تضرب فراسخ عوده في الايام التي ذهب وعاد فيها وهي عشرون فتكون مائة وثمانين فتقسم على الاربعة والعشرين المذكورة فيخرج بالقسمة سبعة ونصف وهو عدد أيام ذهابه وتضرب فراسخ ذهابه في الايام كلها تكون ثلثمائة فتقسم على الاربعة والعشرين يخرج بالقسمة اثنا عشر ونصف وهي عدد أيام عوده وبهذا القدر اليسير يكمل مقصود المذاكرة ويحصل الغرض من انشوار المحاضرة فان هذا

والعشرة التى هى سبع الاصغر وهى مائة وعشرون دينارا وأضف الى مامع الاوسط وهو مائتان وعشرون صار ثلثمائة وأربعين دينارا وهى ثمن الفرس وأما طريق استخراجها فهو أن تضرب المخارج بعضها فى بعض فتضرب خمسة فى سبعة يكن خمسة وثلاثين ثم تضرب فى ثمانية يكن مائتين وثمانين ويزاد عليهما ما يرتفع من ضرب عدد الاخماس وهى ثلاثة فى عدد الاسباع وهى أربعة ثم فى عدد الاثمان وهى خمسة وذلك ستون فيصير الجميع ثلثمائة وأربعين وهو ثمن الفرس ثم يؤخذ من مخرج الخمس وهو خمسة ويعزل منه ثلاثة أخماسه ويضرب الباقى وهو اثنان فى مخرج السبع يكون أربعة عشر فيزاد عليها عدد الاخماس مضروبا فى عدد الاسباع وهو اثنا عشر يصير ستة وعشرين فتضرب فى مخرج الثمن تكون مائتين وثمانية وهو مقدار مامع الاكبر ثم يلقى ذلك من ثمن الفرس فما بقى فهو ثلاثة أخماس مامع الاوسط فيزاد عليه ثلثاه فما بلغ يكون مامع الاوسط فتلقيه من ثمن الفرس فما بقى فهو أربعة أسباع مامع الاصغر فيزاد عليه ثلاثة أرباعه فما بلغ يكون مامعه ﴿مسئلة﴾ ثلاثة أشخاص مسافرون معهم ماتزودوه فى طريقهم من الخبز مع أحدهم ثمانية أرغفة ومع الآخر سبعة أرغفة ومع الآخر ستة أرغفة فرافقهم انسان لاخبز معه فجلسوا كلهم وأخرجوا الارغفة وهى أحد وعشرون رغيفا وأكلوها جميعهم أكلا على السواء فلما قاموا دفع اليهم الرجل الغريب أحدا وعشرين درهما وقال خذوا هذا عوضا عما أكلت من زادكم ثم فرقهم فكيف يقتسمون الدراهم بينهم ﴿الجواب﴾ صاحب الارغفة الثمانية يأخذ أحد عشر درهما وصاحب السبعة يأخذ سبعة دراهم وصاحب الستة يأخذ ثلاثة وتحقيق ذلك ان كل واحد من الاشخاص الاربعة لما أكلوا على السواء يكون قد أكل خمسة أرغفة وربعا فيكون الضيف قد أكل هذا المقدار مثل كل واحد منهم والذى فضل لصاحب الثمانية رغيفان وثلاثة أرباع والذى فضل لصاحب السبعة بعدما أكله رغيف وثلاثة أرباع والذى فضل لصاحب الستة ثلاثة أرباع لاغير والدراهم المدفوعة فى مقابل الخمسة والربع التى أكلها فيكون فى مقابلة كل رغيف أربعة دراهم فاذا قسمت على ذلك كان لكل واحد منهم ماتقدم بيانه وهذا مطرد فى كل ماجانس هذه الصورة ﴿مسئلة﴾ رجل عليه خراج ملكه فاحضره مستخرج الخراج لاستيفاء ما بقى عليه منه فقال كم

ذلك البيت من الاسماء والصفات السلطانية جميعه ثم ينظر في الجدول
المعمول للشهور وهو ما برأ علاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة بالشاطر في أعلا
الجدول فتوضع الاصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته الى محاذاة اليوم
أو الشهر المطلوب معرفة أوله ان كان شهرا أي يوم هو وان كان يوما فما كان
في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك انه اذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع
وأربعين وستمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فسنة [illegible] من سنوات
الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فبقيت ثمانية وثلاثون وبقي أربعة عشر
ففي الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة فاذا وضعت أصبعا على العشرة
الواحدة ثم مررت في الوسط الموازي لها ووضعت أصبعا على الاربعة ثم نزلت الى
محاذاة العشرة الواحدة التقت الاصبعان في بيت واحد فيه الاسم الكريم
السلطاني نصره الله وهو يوسف محفوظ لا زال في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر
في جدول الاشهر فيوجد الاسم الكريم محفوظ في الطرف الايسر من السطر
الاعلى منه فوضع الاصبع بازائه وتنزل الى محاذاة شهر شعبان فيوجد في محاذاته
اسم أوله وهو يوم الاربعاء ومحاذاة نصفه تحته يوم الاربعاء ومحاذاة أول رمضان
تحته يوم الخميس ومحاذاة أول شوال تحته وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق
العمل به دائما

النوع بين الانواع والاقسام بمنزلة الملح المستعمل في الطعام وقليله كاف وكثيره
بالمطلوب شاف ولولا ذلك لاطال القلم لسانه في ايراد صور هذه المستغربة المعاني
وتعداد مسائله المستعذبة المجاني فانه نوع لا يكاد يحصر غرائبه كاتب ولا يضبط
عجائبه حاسب * ولما انتهى الكلام في هذا المقام الى آخر هذه المسائل
الرياضية التي تنبسط القرائح في استخراجها وتنشط الخواطر لاستنتاجها فانها يكون
ختامها زفاف بكر من خدور افكار ذات صفات بارباب الاذهان والعقول نزلت
من خواطرهم الصائبة في ارحب منزل وافسح روض وانحطت عن ابصار
بصائرهم الصافية اعراض الاعراض ومعارضة الوسن فاحجم عن لقائهم
قاطعة عن معارجها وعدهم وانه من نتائجها كل حسين وحسن وهي لغة
موضوعة لاستخراج معرفة اوائل الشهور في جميع السنوات وحركات يستنبط بها
مواقيت الاهلة ومواسم الاوقات وفائدة تهدي اليها ويدل عليها ما يتضمن
الاسماء والاصناف فالالقاب السلطانية دليلها وعلى الصفات الملكية الناصرية
تعويلها وفي خدمته العالية مقرها ومقيلها ومن خدمة المولى السلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف تعريفها وتأصيلها فمن تأمل سرها بعين الدراية
عرف رمزها ومن تحمل عنها طلب الهداية فقد كشف كنزها وهذا الجدول
لايضاحها وفيه بيان مفاتحها ولما كانت الحاجة داعية الى معرفة اوائل
الشهور والمواسم المبنية عليها وقد تكون المطالع كاسية من ملابس الغيوم ما يحول
بين الاهلة وبين الناظرين اليها كان من فوائد العمل بهذا الجدول ان يؤخذ
جميع سني الهجرة من اولها مع السنة التي تريد معرفة اول اشهرها ومواسمها
فيسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة الى ان يبقى اقل من مائتين وعشرة
فتنظر في جدول الاعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد في اول الجدول
عن يمينه طولا فيه العشرات وفي اول الجدول فيه الآحاد فالآحاد من الواحد
الى العشرة والعشرات من العشرة الى المائتين وعشرة فتنظر الى العدد الباقي
بعد اسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتضع اصبعا على البيت
الذي فيه تلك العشرات واصبعا على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر
الاصبع في السطر الذي بازاء تلك العشرة عرضا وتنزل الاصبع في السطر الذي
تحت ذلك العدد من الآحاد طولا فحيث التقت الاصبعان في بيت واحد فتنظر ما في

أسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
المحرم	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت
عاشورا	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
ربيع اول	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جمادى الاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه
جمادى الآخره	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
النصف	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت
ذو العقد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد
ذو الحجه	الاربعاء	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
الوقفه	الخميس	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعه	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس

الاعداد / آحاد وعشرات	واحد	اثنين	ثلاثة	اربعة	خمسة	ستة	سبعة	ثمانية	تسعة
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	صلاح الدين	السلطان	يوسف
عشرين	المولى	يوسف	الملك	خدمة	صلاح الدين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى
ثلاثين	الملك	خدمة	صلاح الدين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	صلاح الدين	الملك
اربعين	صلاح الدين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	صلاح الدين	السلطان	خدمة	الناصر
خمسين	يوسف	الناصر	المولى	صلاح الدين	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف
ستين	المولى	صلاح الدين	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى
سبعين	السلطان	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	صلاح الدين	السلطان
ثمانين	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر
تسعين	يوسف	الملك	المولى	صلاح الدين	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف
مائة	المولى	صلاح الدين	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	صلاح الدين	الملك
مائة وعشرين	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	خدمة	صلاح الدين	السلطان	يوسف	الناصر
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	خدمة	صلاح الدين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	صلاح الدين
مائة وأربعين	خدمة	صلاح الدين	السلطان	يوسف	الناصر	المولى	صلاح الدين	الملك	خدمة
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	صلاح الدين	الملك	خدمة	صلاح الدين	السلطان
مائة وستين	الناصر	المولى	صلاح الدين	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك
مائة وسبعين	صلاح الدين	الملك	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	صلاح الدين
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	السلطان	يوسف	الملك	المولى	صلاح الدين	السلطان	خدمة
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الملك	المولى	صلاح الدين	السلطان	خدمة	الناصر	المولى
مائتين	الملك	المولى	يوسف	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الملك
مائتين وعشرة	صلاح الدين	السلطان	[illegible]	الناصر	المولى	يوسف	الملك	خدمة	[illegible]

أو غيره دونه [illegible] أن
نه صلى الله عليه وسلم [illegible] من
الدعوات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
(ومن ذلك) ما روى عنه صلى الله عليه وسلم [illegible] من
الدعاء بالكلم الجوامع قوله اللهم إني [illegible] ما علمت منه وما لم أعلم
وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها
من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل اللهم إني أسألك
من الخير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر
ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم ما قضيت لي من
أمر فاجعل عاقبته لي رشدا (ومن ذلك) الدعاء الذي أنزله جبريل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواه ابن عباس رضي الله عنه وهو يا من أظهر الجميل وستر
القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز
يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا منتهى كل شكوى يا صاحب كل نجوى
يا كريم الصفح يا عظيم المن يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يا ربناه يا سيداه يا مولاه
يا غاية رغبتاه أسألك يا الله أن لا تشوه خلقي بالنار (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه
أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك
أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك إلا غفر
الله له ما أصاب في ليلته من ذنب وإن قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب في يومه
من ذنب (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول حين يصبح وحين يمسي حتى فارق الدنيا اللهم إني أسألك
العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي
اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ
بعظمتك أن أغتال من تحتي (ومن ذلك) الدعاء الذي رواه عبد الله بن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي
بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها ألفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني

(خاتمة الكتاب وهي الدعاء)

وحيث نجزت معاقد الفوائد بسلاسله وحررت أنواع هذه القواعد السائغة
واشتملت مبانيها ومعاقدها على فنون من المعاني الدرر الطارفة وجمعت من
مهمات الصفات ومهمات الولايات ما قامت بجمعه فصاح الالسن الواصفة وآن
ختامه وانتظم عقد ما تم انتظامه أحببت أن أختم هذا الكتاب بما لا يسع نقضه وحكم
بما لا يسوغ تركه ورفضه وأردت أن أختم في [illegible] حقيقة الاشتغال به [illegible] وهو
المنبه على الذريعة الواصلة الى الله تعالى بعد الاشتغال بالطلب والوسيلة الكافلة
ببلوغ الامل في العاجلة والمنقلب والاشارة الى ما تمد الحبائل الى الله تعالى
أزمة الرغب والرهب ويسهل للنفوس الى اكتساب السعادة الابدية التي
يحوم من فاز بها دون العطب فرأيت ذلك من أعظم الاحكام وأنفس الاقسام
أنفع ما جرت به حركات الاقلام فجعلت هذه الاسباب خاتمة الكتاب
أسمى منازله الرحاب منتهى الفوائد والابواب فانه اذا ثبتت أقسام الكلام
على الافهام ورصعت جواهر الحكم والاحكام في تلك الاقسام فهذه الخاتمة
حلاها وكذا العادة أن بالحلواء ختام الطعام وهو الدعاء الذي هو سر عبادة
الصالحين وبالتمسك بعروته تدرك أحلاف مطالب المحتاجين وباقامة أوراده تربح
صفقة المفلحين فكم من داع سعد ببركة الدعاء وكم من ناج كفاه الله بدعائه شر البلاء
وكم من حاجة قضيت لطالبها بشرف ما دعا به من الاسماء وقد أمر الله عباده بدعائه
ووعدهم بالاجابة وأخبر على لسان نبيه بان لكل مؤمن في كل يوم دعوة مستجابة
أنزل في الكتاب العزيز وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال سبحانه وتعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع
اذا دعان وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال تعالى أمن يجيب المضطر
اذا دعاه وقال تعالى قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء
والعبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان يرد القضاء
الا الدعاء فعليكم بالدعاء وعلى الجملة فالدعاء عظيم ومقامه كريم ووجهه وسيم
وقدره جسيم فمن رغب في خير من خيرات الدنيا والآخرة أو رهب من شر من
شرور الدنيا والآخرة فليتضرع الى الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله ويدعوه
باخلاص نية وطهارة عقيدة في أن يرزقه الله مطلوبه أو يدفع عنه مرهوبه

أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين

(تنبيه) لما كان الدعاء والتضرع إلى الله تعالى مشروطا برقة القلب وصفاء الباطن وطهارة النفس وإخلاص النية رجعة الآمد وذلك لا يحصل إلا بتبصرة وذكرى فإنه لا يستراب في أن تذكير القلوب بأيام الله وتحريك النفوس بالوقوف بين يدي الله يكسوها من الرقة والصفاء ملابس الإسعاد ويهيئها إلى الاستعداد لسلوك سبل الرشاد ويوقفها للاحتفاظ بالزاد ليوم المعاد يوم ما لها من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد * ولذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مثل هذا المعنى لما ولي الخلافة إن أول من أيقظني مزاحم وكان هذا مزاحم مولى لعمر قال عمر حبست رجلا فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه فكلمني مزاحم في إطلاقه فقلت ما أنا بمخرجه حتى أبلغ به أكثر مما عليه فقال لي مزاحم يا عمر بن عبد العزيز إني أحذرك ليلة تمخض بالقيامة في صبيحتها تقوم الساعة يا عمر لقد كدت أنسى اسمك مما أسمع قال الأمير وفعل الأمير وصنع الأمير فوالله ما هو إلا أن قال ما قال فكأنما كشف عن وجهي غطاء فذكروا أنفسكم رحمكم الله فإن الذكرى تنفع المؤمنين * فهذا ما أوردته من الألفاظ المرققة للقلوب والكلمات المرغبة للنفوس في اجتناب الذنوب والأذكار التي بها أيقظ الصالحون قلوب الخلفاء والعظماء بحكم الوجوب بما هو عند اعتباره واختباره تذكرة للمتقين وفيه إن شاء الله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فمنه قول سعيد بن عامر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موعظة بكلمات من جوامع الإسلام وسعالمه قال أجل قال اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله ولا يخالف قولك فعلك فإن خير القول ما صدقه الفعل وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته ولا تخف في الله لومة لائم قال عمر رضي الله عنه ومن يستطيع ذلك يا سعيد قال من ركب في عنقه مثل ما ركب في عنقك * ومنه قول خولة بنت حكيم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة خرج عمر بن الخطاب

بها من كل سوء اللهم أعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الأنبياء والنصر على الاعداء اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي ولا أمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فاني أرغب اليك فيه وأسألكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (وأما) اسم الله الاعظم والاسماء الحسنى التي ما سئل بها الا أعطى ولا دعي بها الا أجاب وما قيل في ذلك فقد ذكرت تلخيص ما قيل فيه وفصلت تلك الاسماء الحسنى على ما وردت في الحديث المروي من طريق الترمذي رحمه الله في مختصر أوضحت فيه ذلك المسمى بزبدة المصنفات في الاسماء والصفات وفيه غنية ولا غنى عن اعادته ولكن نردف هذه الدعوات المذكورة والروايات المأثورة بما هو معروف بدعاء الاستخارة ودعاء الحاجة فانهما دعاآن مشهوران بما يجري الحوائج مخصوصان بذلك نقلا ووضعا مناسبان لما جعلا له عقلا وشرعا (أما الاستخارة) فقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته (وأما الحاجة) فقال عبد الله بن أبي أوفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له الى الله تعالى حاجة أو الى

الى رجل يطوف بالكعبة فقال يا ابن شهاب من الرجل فله رواه فقلت يا أمير المؤمنين هذا طاوس اليماني وقد أدرك عدة من الصحابة فارسل اليه سليمان فاتاه فقال عسى تحدثنا فقال حدثنا أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون الخلق على الله من ولى من أمر المسلمين شيأ ولم يعدل فيهم فتغير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب ظننت أنه أراد عليا عليه السلام قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعام في مجلس من مجالس قريش ثم قال ان لكم على قريش حقا ولقريش على الناس حقا ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا وائتمنوا فادوا فمن لم يفعل ذلك لم يتقبل الله منه صرفا ولا عدلا فتغير وجه سليمان واطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال حدثنا فقال حدثنا ابن عباس رضى الله عنه أن آخر آية نزلت من كتاب الله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فبكى سليمان فتركه طاوس وانصرف *ومنه ما رواه المدائني قال قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لسليمان بن عبد الملك ان بالباب رجلا يطلب الدخول فقال أدخله فدخل فقال له سليمان من الرجل فقال من عبد القيس بن قصي واني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام وان كرهته فان من ورائه ما تحب ان قبلته فقال قل يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال باعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حربوا الآخرة وعمروا الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الامانة تضييعا والامة خسفا وأنت مسؤل عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي لقد سللت علينا لسانك فقال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك قال فهل لك من حاجة في ذات نفسك لتقضى فقال أما حاجة دون عامة فلا ثم قام وخرج فقال سليمان لله دره ما أشرف أصله وأجمع قلبه وأذرب لسانه وأصدق نيته وأورع نفسه هكذا فليكن الشرف والعقل *ومنه ما كتب به الحسن البصري رحمه الله الى عمر بن عبد العزيز لما بعث اليه يقول له ذكرني بما أنتفع به وأوجز فكتب اليه أما بعد فلو كان لك يا أمير المؤمنين عمر نوح وملك سليمان ويقين ابراهيم وحكمة لقمان فان أمامك هول الموت ومن ورائه داران ان أخطأت هذه صرت الى هذه وهي الجنة والنار

من المسجد ومعه الجارود العبدي فاذا امرأة برزت على ظهر الطريق فسلم عليها عمر
رضي الله عنه فردت عليه السلام وقالت هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في
سوق عكاظ تصارع الفتيان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى
سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت فبكى
عمر رضي الله عنه فقال الجارود هيه اجترأت على أمير المؤمنين فابكيتيه فقال عمر
دعها أما تعرف هذه هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه فعمر
والله أحق أن يسمع قولها فانها هي التي انزل الله في حقها لما جاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله * ومنه
قول أبي بكرة وقد دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم
يمضي عليك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا
وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك حدا لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ الحد وما
أوشك ما يلحقك الطالب وأنا وأنت وما نحن فيه كلنا زائل وسنصير الى ما هو باق
في الآخرة ان خيرا فخير وان شرا فشر وما ربك بغافل عما تعملون * ومنه قول أبي
حازم لسليمان بن عبد الملك قال ابن أبي كثير الحج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة
قال هل بها أحد أدرك جماعة من الصحابة قالوا نعم أبو حازم فأرسل اليه فأتاه فقال
له يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون
الخروج من العمران الى الخراب قال صدقت يا أبا حازم ليت شعري مالنا عند الله
قال اعرض عملك على كتاب الله عز وجل قال أين أجده من كتاب الله قال أبو حازم
قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال فأين رحمة الله تعالى قال
قريب من المحسنين قال سليمان فكيف العرض على الله تعالى غدا قال أما
المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى
سليمان بكاء شديدا وقال كيف السبيل الى أن تصلح الاعمال قال تقسمون بالسوية
وتعدلون في القضية وتراعون أمر الرعية وذكر كلاما طويلا كان آخره أن قال له
سليمان ارفع يا أبا حازم حاجتك قال نعم تزحزحني عن النار وتدخلني الى الجنة قال
سليمان ليس ذلك الي قال هذه حاجتي قال فادع لي قال اللهم ان كان هذا سليمان
من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان من أعدائك فخذ بناصيته الى
ما تحب وترضى ثم تركه وانصرف * ومنه ما رواه الزهري قال نظر سليمان بن عبد الملك

وفضول صدقاتهم ثم قال هل من حاجة غير هذا قال نعم اتق الله يا أمير المؤمنين فى نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك لا والله ما معك من هؤلاء الذين تراهم أعوانك أحد ينفعك فأكب هشام يبكى وقام عطاء فلما كان عند الباب وأتباعه واذا رجل قد تبعه بكيس ما أدرى فيه دراهم أودنانير وقال ان أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال له فقال لا أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين ثم خرج لا والله ما قبل منهم شيأ * ومنه ما قاله الاوزاعى قال كنت بالساحل فبعث الى المنصور فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد على وأجلسنى وقال ما الذى أبطأ بك يا أوزاعى عنا قلت وما الذى تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قلت فاياك يا أمير المؤمنين أن تسمع شيأ ولم تعمل به فصاح بى الربيع وأومأ بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة قال الاوزاعى فطاب يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية ابن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك جاء عن ابن عباس فى هذه الآية مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الكبيرة القهقهة والصغيرة التبسم فكيف بما عملته الايدى وحصدته الالسن يا أمير المؤمنين بلغنى ان عمر بن الخطاب قال لو ماتت شاة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك فأخذ المنصور المنديل ووضعه على وجهه وبكى وانتحب الى أن رحمته ثم قلت يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وان أكرم الكرم التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهذه نصيحتى لك يا أمير المؤمنين والسلام عليك ثم نهضت فقال لى الى أين فقلت الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى فقال قد أذنت لك وشكرت نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه فلا تخلنى من مطالعتك اياى بمثلها فانك المقبول غير المتهم فى النصيحة قلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فأمر له المنصور بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا فى غنية عنه وما كنت لابيع نصيحتى بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه وصدق قصده فلم يجد عليه فى رده صلته * ومنه قول شبيب بن شيبة للمنصور

فاعمل لذلك والسلام ومنه ما روى ان [illegible]
الى طاوس كتابا يسأله عن [illegible] فأجابه [illegible]
رأيت عمر أتاه كتاب أعجب اليه منه كتب اليه سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فان الله
تعالى أنزل كتابا وأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما وضرب فيه أمثالا وجعل بعضه
متشابها فأحل يا أمير المؤمنين حلاله وحرم حرامه وتفكر في أمثال الله تعالى
واعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه واعتبر بأمثاله والسلام عليك ومنه ما روى عن محمد
ابن كعب وقد دخل على عمر بن عبد العزيز فقال [illegible] يا أمير المؤمنين انما
الدنيا سوق من الأسواق خرج منها الناس بما ضرهم [illegible] بما نفعهم
وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ولا لما كرهوا جنة واقتسم
ما جمعوا من لم يحمدهم وصاروا الى من لم يعذرهم فاتق الله يا أمير المؤمنين وانظر الى
ما تحب أن يكون معك اذا قدمت على ربك عز وجل فقدمه والذي تكرهه فاتركه
وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم واعلم أن ثلاثا من كن فيه
فقد استكمل الايمان بالله تعالى من اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا
غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له فخذها انفعك الله بها
ثم قام وخرج * ومنه قول زياد العبد مولى ابن عباس لعمر بن عبد العزيز وقد دخل
عليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد كيف حاله قال سيئ الحال
قال فان كان خصمين ألدين قال ذلك أسوأ لحاله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنيه
عيش قال والله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد الا وهو خصمك فعند الله تعالى
مطالبك ان قصرت في حقه فبكى عمر حتى رق له من حضره * ومنه ما رواه عثمان
الخراساني قال قال أبي كنت عند هشام بن عبد الملك وقد دخل عليه عطاء بن أبي
رباح سيد فقهاء الحجاز فلما رآه قال له مرحبا مرحبا ههنا ههنا فرفعه حتى مست
ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال هشام ما حاجتك
أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أهل الله وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم
فيهم عطاؤهم وأرزاقهم فقد تأخرت عنهم فقال نعم يا غلام اكتب لأهل المدينة
وأهل مكة بعطائهم وأرزاقهم معجلا ثم قال ثم ماذا يا أبا محمد فقال أهل نجد أصل
العرب وقادة الاسلام ترد فضول صدقاتهم فيهم قال نعم يا غلام اكتب بأن ترد فيهم

الجنة فبكى الرشيد ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي ولم يحاسبني عليه والويل لي
ان سألني والويل لي ان ناقشني قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا
قال الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هذه ألف دينار خذها فانفقها
عليك وعلى عيالك وتقو بها على عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق
النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم سكت فلم يكلمنا فخرجنا من
عنده فلما صرنا بالباب قال لي الرشيد يا عباس اذا دللتني على رجل فدلني على
مثل هذا هذا سيد المسلمين * ومنه قضية أبي العتاهية فان أمير المؤمنين الرشيد
زخرف مجالسه وبالغ فيها وصنع طعاما كثيرا ثم وجه الى أبي العتاهية فأتاه فقال
صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال له في الحال

عش ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت * لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقعت * في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال
الرشيد دعه فانه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا

﴿وآخر هذا الاملاء وخاتمه هذه الالفاظ﴾

وصية ونصيحة أخبرني بها أحد مشايخي الامام العلامة أبو زكريا يحيى بن القاسم
المدرس بالنظامية ببغداد المحروسة بمنزله بها في أوائل سنة عشر وستمائة قال
أخبرني بها تاج الاسلام أبو عبد الله محمد بن حمدس الموصلي قال أخبرني بها الامام
أبو حامد الغزالي رحمه الله وكتب بها لي بيدي الى الشيخ أبي الفتح أحمد بن سلامة
المدرس بالموصل يقول * فيما قرع سمعي انك تلتمس مني كلاما وجيزا في معرض
النصح والوعظ واني لست أرى نفسي أهلا لذلك فان الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن
لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل
والعود أعوج وقد أوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك
فاذا اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم

وقد قال له عظني وأوجز فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى لم يرض لك أن يجعل
فوق منزلتك أحدا من خلقه فلا ترض له من نفسك أن يكون عبد من عباده أشكر
منك له * ومنه ما رواه الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين الرشيد فقال
لي بمكة انظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض بنا اليه
فأتيناه فاذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها قال اقرع الباب فقرعته
فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين قال مالي ولامير المؤمنين فقلت سبحان
الله أما عليك طاعته فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة فأطفأ السراج والتجأ
الى زاوية فدخلنا فجعلنا نلتمسه بايدينا فسبقت كف هرون الرشيد اليه قبلي
فقال يالها من كف ما ألينها ان نجت من عذاب الله فقال له خذ لما جئناك
له فقال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن
كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي
فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم ان أردت النجاة من
عذاب الله فصم عن الدنيا واجعل افطارك الموت وقال له محمد بن كعب ان
أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم أخا
وأصغرهم ولدا فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة
ان أردت النجاة من عذاب الله فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره للمسلمين
ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت وأنا أقول لك اني أخاف عليك أشد الخوف
يوم تزل فيه الاقدام فهل معك من أصحابك رحمك الله من يشير عليك بمثل
هذا فبكى الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق بأمير المؤمنين فقال
لي يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به فلما أفاق قال زدني رحمك
الله قال يا أمير المؤمنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أمرني على امارة فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون
أميرا فافعل فبكى الرشيد بكاء شديدا وقال زدني رحمك الله فقال يا حسن
الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت
أن تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش
لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة

على سجيتها ووجدتني كما قال بعض الحكماء في الناس من يتزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر ولا أراني الا منهم ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موصي نفسي واياك بالحذر منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يأمل أن يمسي أو أمسى وهو يأمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فأوصيه ونفسي بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صل صلاة مودع ولقد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به ومن غلب عليه ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله وخشيته منه ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلا يزال في غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقني هذه الرتبة فاني طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى لنفسه الا بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فان خداعها لا يقف عليه الا الاكياس وقليل ما هم والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كثيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأشملها وأجمعها وقال عز وعلا في محكم القرآن الكريم ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها * فهذه اشارات نافعة ومذكرات جامعة صدرت ممن تقدم عصره وبقي ذكره ورقم في صحيفة أعماله ثوابه وأجره فالله سبحانه وتعالى يوفق لاعتبارها سامعها وينفع بها كل أذن تعيها وكرمه مسؤل في توفيق هاد وهداية وارشاد فان من وفقه الله تعالى يجعل لهدايته أسبابا ويفتح له بين يديه الى رشده أبوابا فتحصل له الهداية من حيث لم يحتسبها وتشمله العناية الربانية وهو لم يكتسبها * كما نقل عبد الله العماني

واعظين ناطقا وصامتا فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت ومن لم يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت نفسي بهما فقبلت وصدقت قولا وعملا وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا فقلت لنفسي أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت بلى فقلت قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فقد أوعدك الله بالنار على ارادة الدنيا وكل ما لا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وارادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله فان كان كذلك فما أجهلك وأكفرك وان كان المرض أشد عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالوعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقلت لها هبي انك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة يأتيك قاطع عليك ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت راغبة فيه وان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فكأنك مخرجة بالوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان ذلك منها قولا لا تحصيل وراءه ولم تجتهد قط في تزود الآخرة كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضاء الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولا تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف فانها لا تطمئن في أوائل الشتاء مالم تفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن يختطف منها فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذي لا يرخص في تركه الا الحمق ثم استمرت

قالا له ألا توصي قال لهما لا والله مالي مال أوصي فيه ولا لي على أحد دين فأوصي به ولا أخاف من الدنيا شيئا أوصي فيه فقال له أخوه الأمير يا أخي قل ما بدا لك وما شئت فإن عملي في يدي وأنا بين يديك فأوص منه بما أحببت واعهد إلي بما شئت لأفعله فسكت عنه ولم يجاوبه فقال أخوه التاجر يا أخي قد عرفت مكسبي وكثرة مالي فلعل في ذلك حاجة من الخير لم تبلغها إلا بالإنفاق فهذا مالي بين يديك فاحكم فيه بما أحببت ينفذه لك أخوك فأقبل عليهما وقال لا حاجة لي في مالكما ولكن أعهد إليكما عهدا فلا تخالفاني فيه أحرجتكما قالا اعهد قال إذا أنا مت فغسلاني وادفناني على نشز من الأرض واكتبا على قبري

وكيف يلذ العيش من هو عالم * بأن إله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده * ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فإذا فعلتما ذلك فأتياني كل يوم مرة ثلاثة أيام لعلكما تتعظان بي قال فلما مات فعلا ذلك فكان أخوه الأمير كل يوم يركب في جنده حتى يقف على القبر فينزل فينظر إليه ما تيسر ويبكي فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع جنده فنزل فلما أراد أن ينصرف سمع هدة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه فانصرف مذعورا فزعا فلما كان في الليل رأى أخاه في منامه فقال يا أخي ما الذي سمعت من قبرك قال لي تلك الهدة قيل لي رأيت مظلوما فلم تنصره قال فأصبح مهموما فدعا أخاه وخاصته وقال ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتبه على قبره غيري وإني أشهدكم أني لا أقيم بين أظهركم وترك الإمارة ولزم العبادة فكتب أصحابه عبد الملك بن مروان إليه في ذلك فكتب أن خلوه وما أراد قال فصار يأوي الجبال إلى أن حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع الرعاة فبلغ ذلك أخاه فأتاه وقال يا أخي ألا توصي فقال مالي مال فأوصي به ولكن أعهد إليك عهدا إذا أنا مت وجهزتني فادفني إلى جنب أخي واكتب على قبري

وكيف يلذ العيش من كان موقنا * بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكا عظيما ونعمة * وتسكنه القبر الذي هو آهله

ثم تعاهدني ثلاثا بعد موتي فادع لي لعل الله أن يرحمني فلما مات فعل به أخوه ذلك فلما كان في اليوم الثالث من إتيانه إياه جاء على عادته فدعا له وبكى عند قبره فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة في القبر كادت تذهب بعقله فرجع مغتاظا فلما كان

قال كان منا رجل يقال له مازن وكان بقرية من عمان يقال لها سمائل وبها صنم تعظمه بنو الصامت من طي ومهرة ويذبحون له ويعترون بالذبائح اليه وكان هذا مازن يعظمه قال مازن فعترنا يوما عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم وأنا عنده وليس عنده غيري

يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبي من مضر
بدين الله الاكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر

فقلت ان هذا لعجب وأخذني من ذلك ما أخذني ثم بعد أيام عترت عتيرة أخرى له فاذا بها سمعت الصوت بعينه من الصنم * اقبل الي اقبل * تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * فآمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت ان هذا لعجب وأخذني ما أخذني وقلت ما هذا الا خير يراد بي فبينما أنا كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فسألت ما الخبر وراءك فقال قد ظهر رجل من قريش يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ أمري فقمت الى الصنم فكسرته قطعا وركبت جملي حتى قدمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وهديت * فهذا لما كتب له القدر الرباني بقلمه وخط هدايته في سابق القضاء وقدمه أنقذه الله تعالى من الضلالة ساقه الى الهداية على لسان صنمه وقد تجري الاقدار في السابقة بحسن الخاتمة لأقوام ذوي قلوب غافلة وعيون نائمة فتوقظهم في آخر أمرهم وتورثهم من الآخرة عيشة راضية في سعادة دائمة * كما حدث صدقة بن مرداس البكري قال نظرت الى ثلاث قبور على شرف من الارض مما يلي بلاد طرابلس وعلى كل واحد منهم شئ مكتوب واذا هي قبور مسنمة على قدر واحد مصطفة بعضها الى جنب بعض ليس بينها غيرها فعجبت منها ونزلت الى القرية القريبة منها وقلت لشيخ جلست اليه لقد رأيت في قريتكم عجبا قال وما رأيت فقصصت عليه قصة القبور قال فحديثهم أعجب مما رأيت فقلت حدثني أمره قال كانوا ثلاثة اخوة أحدهم أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش والآخر تاجر موسر مطاع في ناحيته والآخر زاهد قد تخلى بنفسه وتفرد لعبادة ربه قال فحضرت أخاهم العابد الوفاة فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يصحب السلطان قد ولي بلادنا هذه أمره عليها عبد الملك بن مروان وكان في امرته ظالما غشوما متعسفا فلما حضرا عند أخيهم

من هداهم الله تعالى لنهجهم [illegible] وأتبعهم
بهم من جاء من الخلف من بعدهم [illegible] رضي الله
عنهم بالعبادة والزهادة في الدنيا والتفرغ لطاعته طريق [illegible]
[illegible] وسبيلا الى الله [illegible]
بتوفيقه وهدايته فقد [illegible] أقوام [illegible]
أقوام شرح لكل واحد منهم [illegible]
اليه فحمل الكل [illegible] وأعظم [illegible] عند الله [illegible] وقد
وأحب فاعليها الى الله تعالى [illegible]
وأقام الحق وبسط العدل وأحيا الشرع [illegible] ورفع الظلم [illegible]
ومنع المفسد وجبر الكسير [illegible] وأمر بالمعروف ونهى
عن المنكر وحمى حوزة الدين [illegible] أقرب الناس
الى الله منزلة وأقومهم طريقة [illegible] عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الناس [illegible] والله المسؤول
أن يوفق مولى السلطان لاقامة هذه السنن [illegible] ويجعله في الدنيا
والآخرة [illegible] من أهل [illegible]
الصفات [illegible]
[illegible] من أنصاره وجنوده [illegible]
وليكن هذا الدعاء ان شاء الله تعالى آخر
الكتاب ختام كلماته وتمام مقالاته [illegible]
[illegible]
[illegible] ان شاء الله
تعالى والحمد لله
وحده

في الليل اذا بأخيه قد أتاه في منامه قال فلما رأيته وثبت اليه وقلت يا أخي أتيتنا
زائرا قال هيهات يا أخي بعد المزار فلا مزار واطمأنت بنا الدار قال فقلت كيف
أخي قال ذاك مع الائمة الابرار فقلت فما أمرنا عندكم قال من قدم شيأ من الدنيا
وجده فاغتنم وجودك قبل فقدك قال فاصبح أخوه معتزلا للدنيا مخلعا منها
ففرق أمواله وقسم رباعه وأقبل على طاعة الله عز وجل قال ونشأ له ابن حسن
الشباب والهيئة فاشتغل بالتجارة فحضرت أباه الوفاة فقال له يا أبت ألا توصي قال
يا بني ما بقي لي مال لأوصي به ولكن اذا أنا مت فادفني الى جنب عمو متك واكتب
على قبري

وكيف يلذ العيش من هو صائر * الى جدث تبلي الشباب منازله
و يذهب حسن الوجه من بعد صونه * سريعا و يبلى جسمه ومفاصله

فاذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسك ثلاثا وادع لي ففعل الفتى فلما كان في اليوم
الثاني سمع من القبر صوتا اقشعر له جلده وتغير لونه ورجع مغموما الى أهله فلما كان
من الليل أتاه أبوه في منامه وقال يا بني أنت عندنا عن قليل والامر ناجز والموت
أقرب من ذلك فاستعد لسفرك وتأهب لرحلتك وحول جهازك من المنزل الذي
أنت عنه ظاعن الى المنزل الذي أنت فيه مقيم ولا تغتر بما اغتر به الغافلون قبلك
من طول آمالهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة وأسفوا
على تضييع العمر أشد الاسف فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الاسف على
التقصير أنقذهم من شر ما يلقاه المغبونون يوم الحشر يا بني فبادر ثم بادر ثم بادر
قال صدقة بن مرداس قال الشيخ الذي حدثني هذا الحديث فدخلت على الفتى
صبيحة ليلته من الرؤيا فقصها علينا وقال ما أرى الامر الا كما قال أبي ولا أرى الموت
الا قد قرب فجعل يفرق ماله ويتصدق و يقضي ديونه و يستحل من خلطائه ومعامليه
و يودعهم كهيئة رجل قد أنذر بأمر فهو يتوقعه و يقول قال أبي بادر ثم بادر ثم بادر
يعني ثلاث ساعات وقد مضت أو ثلاثة أيام وأنى لي بها أو ثلاثة أشهر وما أراني
أدركها أو ثلاث سنين وهو أكثر ذلك قال فلم يزل يقسم أمواله و يتصدق حتى
اذا كان في آخر اليوم الثالث من ليلة هذه الرؤيا دعا أهله فودعهم ثم استقبل
القبلة ومد نفسه وغمض عينيه وتشهد شهادة الحق ثم مات رحمه الله تعالى قال
فمكث الناس حينا ينتابون قبره من الامصار يصلون عليه وكم من أمثال هؤلاء

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول مصححه راجي عفو الباقي عبد الهادي بن موسى البولاقي قد تم بعون الله الملك المجيد طبع كتاب العقد الفريد للملك السعيد لمؤلفه عمدة أهل الزمان مظهر البدائع ومنبع العرفان ذي الرقائق الحسنة والدقائق المستحسنة أبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي رحمه الله وأجزل له الثواب وجعل الجنة مستقره ومأواه ولعمري انه لكتاب حري بأن يقتنيه الملوك والوزراء ويحوز تحريره المتوظفون والاجناد والامراء لما تضمنه من الآيات القرآنية والاحاديث الجامعة النبوية والنوادر العربية والحكايات ومهمات الاخلاق والصفات والسلطنة والولايات والامر والديانات فكان جديرا بطبعه وتيسير سبيل نفعه وذلك بمطبعة الوطن العامره ذات التحريرات الفائقة الباهره وقد وافق تمام الطبع واتمام التمثيل والوضع أوائل شهر جمادى الاولى من سنة عشر وثلثمائة بعد الالف من هجرة من حلاه الله تعالى على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وآل بيته وصحبه وأحزابه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون